

المرأة

التي يحتاج إليها العالم

امنحي واستقبلي ما تحتاجين إليه لكي تزدهري



nur ure

ليزابيفير

المرأة

التي يحتاج إليها العالم

امنحني واستقبلي ما تحتاجين إليه لكي تزدهرني



ليزابيفير

Originally published in USA under the title:

«NURTURE».

Copyright© 2008 by Lisa Bevere

This edition published by arrangement with FaithWords, New York, USA. All rights reserved.

المرأة التي يحتاج إليها العالم.

الترجمة : إيمان أسعد

المطبعة : سان مارك ت: ٢٣٤١٨٨٦١

الطبعة : العربية الأولى ٢٠١٠

حقوق الطبع محفوظة

Arabic Edition Copyright© 2010 by PTW, Translators and Publishers.

All rights reserved. No portion of this book may be reproduced, stored in a retrieval system or transmitted in any form or by any means-electronic, mechanical, photocopy, recording or any other- except for brief quotations in printed reviews, without prior permission of the publisher.

P.T.W للترجمة والنشر

تليفاكس : ٢٦٦٧٨٩٨٠ - ٢٦٦٧٨٩٨١ - (٢٠٢ +)



Prepare The Way
Translators & Publishers

E-mail: ptw@ptwegypt.com

www.ptwegypt.com

رقم الإيداع : ١٤٧٢٢ / ٢٠١٠

ISBN: 3 - 089 - 443 - 977 - 978

جميع الحقوق محفوظة. لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب. أو أي جزء منه. أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقلها. أو استنساخه بأي شكل من الأشكال. دون إذن خطي مسبق من الناشر.

أهدي هذا الكتاب لكل امرأة. مهما كان عمرها.
لكل امرأة تشتاق للتواصل مع أخريات.
لكل امرأة تشتاق أن تضع بصمة على العالم الذي تعيش فيه.
ولكنها تجهل الوسيلة.
فأنتِ. أيتها الجميلة. الحل ولسيت المشكلة. ونحن نحتاج إليك وإلى
إسهاماتك.
صلاتي أن تساعدك كلمات هذا الكتاب لكي تري حياتك تتسع من
كل جانب وعلى كل مستوى.
صلاتي أن يزدهر كنز مواهب الله داخلك وأن تجدي صوتك ومكانك
بين نساء أخريات يبحثن عنك.

إشادة بكتاب «المرأة التي يحتاج إليها العالم»

«لدى ليزا بيفير إعلان من قلب الله يخص بناته. سيساعد كتاب «المرأة التي يحتاج إليها العالم» المرأة - في مختلف المراحل العمرية - أن تعرف قصد الله وهدفه من حياتها. وفي نفس الوقت، أن تنال الشفاء والتعويض. في هذا الكتاب الرائع سيتلامس القارئ مع مصداقية ليزا وخفة ظلها وشفافيتها وشغفها بكلمة الله».

«دارلين سشيتش» قائدة تسبيح. كنيسة هيلسوچ، سيدني، أستراليا.

«تذكر ليزا بكل براعة في هذا الكتاب كل امرأة بمقدرتها الهائلة على إعادة الحياة لآخرين من خلال موهبة الرعاية. سيشعل هذا الكتاب رغبتك في الذهاب لما هو أبعد من ضعفك وألمك وعدم قدرتك. حتى ترين قوة الله الكامنة داخلك لمساعدة الآخرين على اكتشاف عظمتهم وهدف الله من حياتهم».

«جويس ماير» مؤلفة أكثر الكتب مبيعاً، ومعلمة لكلمة الله.

«لقد تفوقت ليزا على نفسها في هذا الكتاب! فرسالته مهمة جداً، ولا يمكن أن يكون لتوقيتها موعد أفضل من ذلك، وبأسلوبها المتفرد والمتجدد. تخبرنا ليزا بأننا في حاجة للنهوض حتى نتجاوب مع الدعوة والمسؤولية الموضوعة علينا لرعاية آخرين. فما أكثر المرحوحين والمتألين والمنعزلين الذين يبحثون عما نستطيع أن نقدمه نحن فقط. فالسماء تنادي النساء أن يأخذن أماكنهن. فهل لديك الجرأة لقراءة هذا الكتاب والتجاوب مع التحدي؟»

«هولي واجنر» مؤلفة كتاب «فتيات العلي» و«عندما تنسكب. هو ملك»

«لم تعد المرأة في وقتنا هذا تقوم بدورها كمقدمة لفن الرعاية. وكانت النتيجة أن توجهت البنات للبحث عن بدائل لملء الفراغ في حياتهن. إنها مأساة أراها اليوم في هذا الجيل الذي حرّم من الأم. في هذا الكتاب تشرح ليزا أهمية الرعاية وهي أهم الأدوار التي تقوم بها المرأة. استمعي إلى ندائها بالتغيير واجعليه حقيقة. هناك معركة يجب أن نخوضها ولكي نربح هذه المعركة. لابد أن تتخذ كل امرأة موقعها. وتقوم بدورها المعطى لها من الله بأن تكون حامية القلوب».

«رون» و«كاتي لوس» مؤسساً خدمات «تين مانيا»

«يشتاق قلب الله أن يرى البشر يزدهرون ويعيشون في ملء محبته وقصده وخطته لهم، وبينما يتحرك روح الله بسرعة في العالم في هذا الوقت الإستراتيجي من التاريخ، سيتجاوب الكثيرون من أبناء الله وبناته مع الحق الموجود في هذا الكتاب. وكشخص يرى ثمر وتأثير التنشئة في مناخ صحي وشمولي يشجع على الازدهار، سوف أكون أول من يشجع كثيرين على قراءة هذا الكتاب الرائع».

«بوبي هوستون»، كنيسة هيلسووخ، سيدني، أستراليا

«تعيش ليزا ما كشفت عنه الستار في هذا الكتاب، ولا تزال تبث الشجاعة والأمل والثقة في حياة الآخرين، وبالأخص في الجيل القادم. لقد فقدنا فن وقوة رعاية الآخرين، وفي هذا الكتاب - الذي لا غنى عن قراءته - حثنا ليزا أن نعيش بطريقة تعلن تميمنا لإرسالية الكتاب المقدس. قد يرثي البعض منا لحاله لأنه لم يحظَ بقدر كافٍ من الرعاية، ولكن بدلاً من أن نحيا بخيبة الأمل، نستطيع أن نطبق المبادئ التي جاءت في هذا الكتاب لكي نرعى الآخرين بالطريقة التي كنا نتمنى أن نرعى بها».

«كريس كين» مؤلف، ومدير خدمات «التأهيل والتمكين».

«تسطع موهبة ليزا بيفير المتميزة في هذا الكتاب؛ حيث تعبر عن شوق قلبها لرؤية حياة النساء تتغير، وفيه تتكلم بالحق بكل حماس وحنو، وبأسلوب يمكن أن يغيّر حياة الكثيرين. فإن كنتِ تبحثين عن الازدهار - وليس مجرد البقاء على قيد الحياة - كامرأة تعبد يسوع، فهذا الكتاب هو لكِ بكل تأكيد».

«بيث» و«مات ريدمان»، قائدا تسبيح ومؤلفا ترانيم.

«رفعت ليزا صوتها لتعبر عمّا في قلب الله، وعن دعوته للنساء في مختلف الأعمار أن يتحدن كما لم يتحدن من قبل، لقد حان الوقت لطرح الغيرة والتنافس وعدم الأمان والخوف من السقوط جانبًا، بينما نسعى لكي نقدم الرعاية لكل من يقتضي آثار خطواتنا، وبينما نتبع نحن أيضًا خطوات الرب».

«نانسي ألكورن» مؤسسة ومديرة خدمات الرحمة.

«بكل الشغف والحماس. أنصح بقراءة هذا الكتاب؛ لأن المرأة تحتاج أن تُرعى كما تحتاج أن تتعلم كيف تُرعى آخرين. تقدم ليزا في هذا الكتاب التعليمات بكل محبة. كما أن كلماتها ستؤثر على النساء بطريقة رائعة.»

«بيتي روبنسون» مقدمة برنامج «الحياة اليوم» "LIFE TODAY" فورتورث، تكساس.

الفهرس

- شكر وتقدير ١١
- (١) البحث عن الرعاية والترابط ١٣
- (٢) قوة وفاعلية الرعاية ٢٣
- (٣) تكوين العلاقات ٤٣
- (٤) من أخت إلى أختها ٦١
- (٥) كوني أمينة ٨٣
- (٦) الحدس والبديهة ٩٣
- (٧) مرشد ومنصح أم أم ١١٣
- (٨) أليصابات ومريم ١٢٧
- (٩) التدريب ١٤٩
- (١٠) خلق المناخ المناسب للرعاية ١٧١
- (١) التُّواح الذي ابتلع حياتي ١٨٧
- (١٢) دورك ٢٠٥
- الهوامش ٢٢١

شكر وتقدير

أتقدم بالشكر للعديد من بنات العلي الرائعات الجميلات. اللاتي كنَّ يرأسلني بأسئلتهن التي خدَّتني. وفي نفس الوقت أيدتني وعضدتني. أنتن بنات طال انتظاركن ونتطلع إليكن. لذلك ابقين بقوتكن وحريرتكن.

إلى أمي «شيرلي». ولكل أم اختارت أن تضع حياتها من أجل أن تزدهر حياة الآخرين. أشكرِك من أجل قوتك.

إلى صديقاتي «بوبي» و«كرستين» و«لورا» و«كاتي» و«تونيا» و«جينيفر» اللاتي كنَّ مصدرًا رائعًا للضحك والتأييد.

إلى «هولي» المحرّرة. أشكرِك من أجل ترتيبك لقصاصات الورق وإعادة الصياغة لكل ما كان له معنى ومغزى.

إلى زوجي الوسيم. لأكثر من ربع قرن. أشكرِك لأنك أحببتني جيدًا وضحكت معي. أنت رفيقي ومحط ثقتي. أصلي أن تزداد محبتنا كل عام.

إلى أولادي الأربعة الرائعين: أحب كل منكم حبًا لا يوصف بالكلمات.



1

البحث عن الرعاية والترابط

يبحث (فعل): تقصي دقيق وشامل بهدف إيجاد شخص ما أو شيء^١.

أكتب إليكم كأم وابنة في ذات الوقت ومن خلال هذه الصورة أستهل كتابي بدراسة لقصة تعتبر من الأدب الكلاسيكي للأطفال في أيامي كتبها شخص يُدعى "بي. دي. إيستمان" بعنوان "هل أنتِ أمي؟" (فإن كنتم لم تسمعوا عنها من قبل، سأحاول أن أرسّمها لكم بأفضل طريقة لكي تعرفوا المقصود منها). لقد كانت من بين أفضل قصص ما قبل النوم بالنسبة لي.. حيث تمتزج عناصر نجاحها ما بين مغامرة وخسارة وفكاهة وخاتمة سعيدة، وذلك من خلال السؤال الذي لا ينفك الطائر الصغير يكرره على مسامع شخصيات غير متوقعة. وبينما كنت أضحك من سخافة المغامرة الطائشة التي قام بها الطائر الصغير، ازداد شعوري بالاستقرار والأمان الذي نعمت به في حياتي.

وفي نهاية القصة، تنطفأ الأنوار وتُطبع على جبينني قبلة دافئة، ثم أُدفس بكل دفاء وحب حت الغطاء في سريري.. عندها كنت أتهد وأبتسم لنفسني متسائلة: "لماذا كل هذا العناء؟ كل شيء على ما يرام.. لم أكن مضطرة للبحث مثلما فعل صديقي الطائر.. أنا أعلم من هي أمي إنها من قرأت لي القصة. كيف يمكن لهذا الطائر الصغير أن يكون سخيّف إلى هذا الحد وفي حيرة من أمره؟"

مر أكثر من أربعة عقود على هذا الحدث وأصبحت أرى القصة من منظور مختلف.. أدركت الآن السبب وراء تلك الحيرة وهذا الارتباك. لم يسبق لهذا الطائر الصغير أن رأى ما كان يبحث عنه، أما بالنسبة لي فلم أعرف الحياة

بدون أم. من المحزن أننا نعيش اليوم في عالم يختلف كل الاختلاف عن العالم الذي كنت أعرفه. دعوني خلال الدقائق التالية استرجع معكم هذه القصة لأنني أؤمن أنها بالرغم من بساطتها. إلا أنها تعبر عن صرخة جيل كامل يبحث عن الابنة وعن الأم على حد سواء.

سؤال الطائر الصغير

تبدأ القصة بعصفورة أم فخورة تجلس في عشها على بيضة.. وفجأة تقفز البيضة. تنتبه الأم لحقيقة أن طفلها سيفقس أسرع مما توقعت.. فتقرر أن تطير بحثًا عن طعام. وبينما هي بعيدة تجمع الطعام.. يخرج الصغير من البيضة وفي ذهنه دور سؤال واحد: "أين أمي؟"

مشكلة ١: الأم تبحث عن طعام. الصغير يبحث عن أمه.

وبعد أن بحث الصغير يسارًا ويمينًا. اختار أن يترك العش لبدأ رحلة البحث عن أمه. يخطو الطائر الصغير أولى خطواته خارج العش فيهبوي مسافة طويلة حتى يصطدم بالأرض في الأسفل وتبدأ عملية البحث. يبدأ الصغير مغامرته فيمر بجانب أمه المنشغلة بصراعاها مع دودة صغيرة.

مشكلة ٢: الأم منشغلة جدًا حيث لم تنتبه لطفلها. الصغير لا يعرف شكل أمه.

كيف يمكن أن يحدث هذا؟ الصغير لا يتعرف على أمه لأنه لا يعرف شكلها والأم منشغلة جدًا بصيد الدودة حتى أن صغيرها بدا غير مرئي بالنسبة لها.

يستمر الصغير في سيره حتى يصل إلى مجموعة من حيوانات المزرعة فيطرح عليهم سؤاله "هل أنت أمي؟"

كان السؤال الأول من نصيب قطة صغيرة. فما كان منها إلا أن حملقت فيه وكل ما كانت تفكر فيه هو كم سيكون مذاق هذا الطائر رائع. ويواصل الصغير بحثه.

يقابل دجاجة فيسألها "هل أنت أمي؟" فترد باقتضاب "لا". ألم يكن بوسعها أن تكون أكثر لطفًا معه؟!

ثم يقترب من كلب نائم فيرد باستفاضة قائلاً "أنا لست أمك.. أنا كلب".
حسناً، لقد صار للطائر الصغير بعض المعلومات المفيدة.. فهو الآن يعرف
أن أمه ليست كلباً.

مشكلة ٣: سؤال صحيح .. مصادر خاطئة

بعد ذلك نجد بقرة، ولكنها عنيفة بعض الشيء في ردها "كيف يمكن أن
أكون أمك؟" (حقيقة أنها مدرة اللبن لا يجعلها أمًا).
كل هذا يجعل الطائر الصغير في مشكلة .. هل لبحثه جدوى؟ هل له أم؟

مشكلة ٤: كيف يمكن أن تتعرف على ما لم ترّه؟

بعد مرور بضع دقائق من الصمت.. أكد الطائر "إن لي أم.. أنا أعرف أن لي
أم.. فقط عليّ أن أجدّها وسأفعل. سأفعل!"
لم يعد الصغير يمشي، بل صار يجري ويعدو.. لقد تولد داخله شعور
بالإحاحية. نجده يجري إلى جوار سيارة منطلقة ثم يدرك أنه لا توجد حياة
في الهياكل المعدنية. يجري حتى حافة المرتفع ويتوقف فجأة بينما ينظر إلى
جدول المياه العميق ويرى مركباً على بعد فينادي عليه دون أن يسمع جواباً.
يرفع الطائر عينيه، فيرى طائرة تشق غمام السماء "ها أنا ذا يا أمي" إلا
أن الطائرة تبخر في الفضاء دون إبطاء ولو لثوانٍ.
وبدهشة شديدة يرى الطائر الصغير "شيء ضخّم" متجهاً نحوه.
فيهرول للقائه وبدون تردد ولو للحظة يقفز الصغير بين أسنان الكائن
الضخم وهو يصرخ قائلاً "أمي أمي. ها أنذا!"
وعندها يتكلم الشيء الضخم "شخير".
ويدلي الصغير بأول تصريح له "أنت لست أمي .. هذا صوت شخير". ثم
يتضح أن هذا "الشيء الضخم" ما هو إلا "ونش" (كان هذا الجزء مضحكاً
للغاية بالنسبة لي).

على الفور يدرك الصغير أن الصوت به شيء خطأ. هذا الشيء ليس أمه.
يحاول الهرب ولكن فات الآوان.. فألة الشخير قد بدأت في التحرك وذراعها
يحمل الطائر الصغير لأعلى ثم لأعلى. فيعتبره الهلع والخوف ويدرك أنه لا

يستطيع الهروب أو الاختباء. فهو الآن تحت رحمة "الشيء الضخم" الذي يحمله.

مشكلة ٥: "الشيء الضخم" ليس أمه. ولكنه الآن يتحكم في مصيره.

تتوقف آلة الشيخير. فيغمض الصغير عينيه ويبكي على أمه. وفجأة تتضح كل أجزاء اللغز عندما يلقي الشيء الضخم الطائر الصغير في عشه.

تعجب الصغير من هول المفاجأة فنجده يفتح عينيه الصغيرتين. وفي تلك اللحظة تأتي الأم وفي فمها دودة ولكن هذه المرة تجدها هي التي تطرح السؤال "هل تعلم من أنا؟"

بالتأكيد يعرف الصغير! فبعد أن راجع قائمة طويلة من الشخصيات التي لا يمكن أن تكون أمه. تجده يعلن قائلاً: "أنت أُمي".
نهاية سعيدة: صورة الأم والصغير يحتضنان بعضهما داخل العش.

ولادة أم

حسنًا.. كيف نتحدث اليوم إلينا هذه القصة التي دارت حول ما فقد وما وُجد؟ دعونا أولاً نأخذها بالتفصيل.

في البداية نجد أن هناك أم تنتظر بشوق ولهفة وصول صغيرها ولكنها لا تعرف أن الصغار يحتاجون أولاً أن يتعرفوا على من يرتبطون بهم. وهو عنصر يفوق في الأهمية حاجتهم إلى الطعام.

أذكر الوقت الذي ولدت فيه ابني الأكبر الذي وُلد مضطرباً قليلاً. كانت عملية الولادة صعبة. فبعد ٢١ ساعة من الانقباضات والحاض. قام الطبيب باستخدام ملقط معدني بارد للإمساك برأسه وإخراجه. وبإلها من طريقة صعبة ووقحة بعض الشيء للقدوم إلى هذا العالم!

جاء إلى العالم يبكي وبعد أن قامت الممرضة بمسحه وجفيفه ولفه في بطانية. أعطته - وهو يصرخ - إلى الأب لأنني كنت أجتاز المراحل الأخيرة من الولادة وخياطة الغرز. من موقعي على السرير. رأيت "جون" وهو مرتبك وفي حيرة لا حد لها.. كان يهزهز "إديسون" وهو في لفاقته فما كان من الصغير إلا أن يصرخ أكثر فأكثر.

شعرت بأن لا حول لي ولا قوة.. كنت غير قادرة على الحركة ولكنني كنت متأكدة أنني إن حملته وتحدثت إليه .. سيكون كل شيء على ما يرام. لذلك سألت: "هل أستطيع حمله الآن؟"

وجاءت الإجابة: "ليس بعد".

سألت وكان نفس الجواب حوالي أربع أو خمس مرات. توصلت إليهم "أعدكم بأنني لن أسقطه". إلا أنني في الحقيقة كنت في أشد حالات الضعف في حياتي وكنت لا أزال تحت تأثير حقنة الإبيديورال. كانت حالتي صعبة للغاية وبدأت الدموع تنساب من عيني.

ولابد أن إحدى الممرضات شعرت بحالي. لأنها جاءت وعدلت وضع السرير بحيث رفعت الظهر قليلاً وقامت بوضع الكثير من الوسائد التي أحاطتني بها من كل جانب. ولن أنسى طوال حياتي ما حدث بعد ذلك. توجهت الممرضة إلى جون وأخذت منه الطفل وتحدثت إليه بهدوء فيما هي قادمة نحوني لكي تضعه بين يدي. في ذلك الوقت كان يبكي بدون هوادة وعيناه مغمضتان.

عندما رأيت وجهه المتورم والمكدم، أدركت أن المعاناة التي تعرض ابني لها كانت أكثر من تلك التي كنت أعاني منها. قلت له: "آه يا صغيري.. أنا أسفة". في تلك اللحظة، توقف الصغير عن البكاء وحرك رأسه في اتجاه صوتي. قالت الممرضة: "هل رأيتم هذا؟"

نعم لقد فعلت: خفق قلبي بداخلي .. إنه يعرفني. لقد ميز صوتي على الفور.. لقد كان الصوت الذي سمعته طوال التسعة أشهر الماضية. أخذته في حضني وهمست في أذنيه قائلة: "كل شيء على ما يرام يا صغيري.. أنا هنا".

توقف إديسون عن البكاء فجأة وصار هادئاً تماماً. ثم فتح عينيه ونظر مباشرة إليّ.. لا أدري كيف أشرح أو أفسر الأمر. ولكن في تلك اللحظة تفتح شيء بداخلي وكأنه يُنبئ بولادة من نوع آخر قد حدثت للتو.

هناك قرة تحل على المرأة عند الولادة دوراً لتسعى في طلبها ولكنها قرة
تخترق أعماقتها

شيرلي نيلرمان

كنت أم. وكان ابني .. وكان هناك اتصال فوري. كانت نظراته تخترق قلبي وجعله أكثر اتساعاً وبدا وكأنه يدرسنني ويختبر أعماقي تماماً كما كنت

أدرسه وأتفرسه. كلانا كان يشتاق أن يعرف وأن يُعرف من الآخر. لم أتوقف عن النظر إليه. وبالرغم من أنه كان متورم ومليء بالكدمات، إلا أنه كان بالنسبة لي أجمل وأروع الأطفال الذين رأيتهم في حياتي. كان مثاليًا من كل جهة وبدا كل شيء آخر غير موجود.

لقد تعرف عليّ صغيري .. "أنت أمي!"

بعد وقت قليل، اقترحت الممرضة أن أقوم بإرضاعه وأتذكر أنني نظرت من حولي وتمنيت أن أفعل ذلك في جو أكثر خصوصية ودفئًا.. كان الأمر غريبًا لأنني كنت محاطة بالشاشات والخراطيم وستائر معدنية وأشخاص غرباء وتساءلت .. ماذا لو لم أمتلك ما يحتاج إليه ابني؟ ماذا لو كان ثديي فارغين من اللبن؟ ولكنني حاولت ولم يمض وقت طويل حتى غرق الصغير في نوم عميق وعلى وجهه علامات الأمان والرضا والإرهاق في نفس الوقت.

ولكن تُرى، ما معنى هذا الارتباط بين الأم والطفل اليوم؟ إنه لشيء ضروري أن يعرف الأبناء والبنات أولاً وقبل كل شيء أن لهم صلة آمنة ورابطة حميمة في هذا العالم الشاسع الاتساع. يحتاج كل منا أن يعرف أنه مقبول ومرحب به، الأمر الذي يجب أن يحدث حتى نتفتح ونزدهر وبدون هذه الصلة وهذا الرابط ما أسهل أن نضل الطريق.

الوضع المثالي هو أن يحدث هذا الرابط والترابط في بيوتنا وبعدها يمكن أن يحدث بطرق متنوعة ومتعددة أثناء رحلة الحياة. فإن لم تختبر أبدًا هذا الشعور، فربما حان الوقت لكي تفعل. إن كانت خبرتك عبارة عن انتهاك للأمان والثقة بدلاً من الرعاية والاحتضان، فلا زال هناك أمل في حدوث هذه الصلة والترابط الحميم.

يحتاج كل منا أن يعرف أنه مقبول ومرحب به.

يهدف هذا الكتاب إلى مساعدتك حتى تتخذ وضعك الحقيقي وتتمكن من تكوين هذه الروابط والعلاقات القلبية. يجب أن يُحاط الأبناء والبنات بالرعاية إن أردنا لهم الازدهار.

وحي في هذا العالم

عودة مرة أخرى إلى صديقنا الطائر، الذي نجده يصارع للخروج من الحيز

الضيق ليجد نفسه وحيداً فجأةً في هذا الفضاء الواسع. ألا يجب أن يكون هناك من يقول له: "مرحباً". من سيقدمه إلى العالم؟ أليس من المفروض أن يكون هناك شخص آخر خارج قشرة البيضة؟ ألا يجب أن يكون هناك أصوات غناء وطرب؟ أين الدفء؟

وأتساءل هل هي الرغبة في الانضمام إلى الآخرين هي التي تمدنا بالقوة اللازمة للهروب من الحيز الضيق؟

وهكذا يدخل الصغير إلى الحياة بدون حدود أو توجيه. صحيح قد يكون جوعان. ولكن أكثر من احتياجه إلى الطعام. كان احتياجه إلى معرفة من ولن يجب أن يأمن. إن الصرخة الأولى لهذا الطائر لم تكن "أين طعامي؟" ولكن "أين أمي؟" ألا يجب أن تكون هنا؟ ألم تكن تعلم أنني سوف أخرج من بيضتي اليوم؟ هل كانت تتربق قدومي؟ يجب أن أعرفها حتى أشعر بالأمان. وهناك سؤال آخر.. أين الأب؟ لماذا كان على الأم أن تترك العش لكي توفر للصغير حاجته من طعام؟

حسنًا. ربما يحتاج صغار العصفير في عالمنا الحقيقي إلى الطعام فقط. أما البشر فيريدون الدفء والترابط. صحيح أن الذكور من الطيور يقومون بتوفير الغذاء وحماية الصغار.. ولكن البشر لا يفعلون ذلك دائمًا.. ولكنه موضوع آخر لن نتطرق إليه الآن.

تساعد الأم صغارها على اكتشاف هويتهم. الأمر الذي لا يستطيع أن يفعله أي شخص آخر. فإنك لا تستطيع أن تطلب من أي شيء أن يقول لك من أنت وإلى من تنتمي. فمثل هذه الأسئلة يجب أن تُوجّه لمن لديه الإجابات. فما أسخف أن يتوجه الطائر إلى بقرة ليسألها: "هل أنت أمي؟" وربما أثار سؤال البقرة وعدم مبالاتها روح التحدي لدى الطائر وحقه في أن يكون له أم. أليس هذا تساؤلًا حول القيمة؟ وكأن البقرة تقول: "كيف تظن أنك تنتمي لي؟ أنا مختلفة تمام الاختلاف عنك!"

مثل هذا الموقف جعل الصغير يشك في كل ما كان يعرفه. هل هناك من يهتم بأمره؟ من يريده؟ من يرعاه؟ من يحبه؟ هل هناك من ينتمي إليه؟ هل يوجد من هو أكبر وأحكم منه.. شخص يعرف ويفهم احتياجاته؟ من هو المسؤول عن حمايته؟ من سيعلمه الطيران عندما يحين الوقت؟ كل هذه التساؤلات توجّه سعينا للحصول على الترابط والصلة.

ففي جو من الرعاية والاحتضان.. تتكشف الإجابات. الإجابات الموجودة لدى الأمهات الحقيقيات. يوجد شعور بالأمان الحقيقي عندما تكشف الأمهات

تلك الإجابات. حتى وإن لم يكن متأكدات من قدرتهن على الإجابة على كل الأسئلة. نحن في حاجة إلى الاطمئنان والأمان الذان نستمددهما من وجودهن. فلا يوجد احتياج مُلِح أكثر من الاحتياج لوجود شخص يرعى ويحتضن. أنا أعلم أهمية هذا الاحتياج. فأنا أسافر عبر بلاد العالم وأرى بنات ينتقلن من شيء لآخر قائلات: "ها أنا ذا" ولكن ما أكثر المرات التي لا تُسمع فيها أصواتهن. يصرخن. ولكن الأمهات منشغلات وتستمر عجلة الحياة في الدوران. مثل هؤلاء البنات موجودات في بيوتنا ومدارسنا. في الأسواق والكنائس.

إنهن موجودات في كل عصر وفي كل مكان.. جُدهن بين الممثلات الشابات الجميلات والطبيبات والمحاميات. وجُدهن أيضًا بين زوجات القسوس اللاتي يشعرن بالوحدة بالرغم من كل من حولهن. جُدهن بين ربات البيوت المنعزلات والمرهقات وجُدهن أيضًا بين طالبات الجامعات وفي السجون.

"الشيء الضخم" يحدث الآن

أعتقد أنه مثلما أسرع الطائر الصغير نحو "الشيء الضخم" كما يسميه "إيستمان". هكذا تجري كل فتاة بلا أم نحو "شيء ضخم" آخر يحدث الآن. هناك اجتياح وصحوة تحدث الآن من حولنا في العالم. النساء يقمن ليأخذن أماكنهن. يُسمعن أصواتهن ويتواصلن مرة أخرى مع قلوبهن. وجاوبًا مع ما يحدث. تنفتح الأبواب أمام النساء.. الطبيعة نفسها تصرخ طلبًا للدور الذي تلعبه النساء في تقديم الرعاية والاحتضان.

(الطبيعة) نفسها تصرخ طلبًا للدور (الذي تلعبه) (النساء في تقديم الرعاية) والاحتضان.

أؤمن أن لم الشمل بين الأمهات والبنات سوف يحدث بفضل تدخل هذا "الشيء الضخم". هذا "الشيء الضخم" يجمعنا من خلال التكنولوجيا بحيث تعرف كل منا أنها ليست بمفردها.. الصورة الكبيرة تتضح أمام عيوننا. العالم في حاجة إلينا أيتها النساء.. الأبناء والبنات في حاجة إلى أمهاتهم والنساء في حاجة إلى بعضهن البعض.

قلوبنا مريرة وتحتاج إلى ترابط حميم وأمن مع القادرين على شفاء ومساعدة الآخرين.

المشاكل كبيرة جداً والاحتياج عظيم. لذلك جأوبنا معهم لابد أن يكون حميم وعظيم أيضاً. فليس بوسع الحكومات الكبيرة ذات الأسلحة الفتاكة توفير الأمان والترابط الذان يبحث عنهما الإنسان. نعم.. قلوبنا مريرة وتحتاج إلى ترابط حميم وأمن مع القادرين على شفاء ومساعدة الآخرين. لم يكن "الشيء الضخم" هو ما كان يبحث عنه الطائر الصغير وهو ليس الشيء الذي يبحث عنه نحن ولكنه كان الوسيط بيننا وبين هذه الصلة وهذا الترابط. كان الجواب الذي يبحث عنه الصغير هو أمه. وبمفهوم أوسع أقول إن الرعاية هي الجواب الذي يبحث عنه الناس من أجل الترابط. في ذهول أسمع أصوات البنات تعلق وتنشأ بك معاً على شاشات التليفزيون وعبر شبكة الانترنت ومن خلال الكتب ووسائل الإعلام الأخرى. فإن استطعنا أن نتكلم نفس لغة الرعاية والقوة. سنكون قادرين على الترابط المطلوب. فما أروع القوة الكامنة في التكلم بنفس اللغة. لأنه عندئذ سيصير الحال .. مكنّاً.

اقرأ معي ما قاله الله عندما شرع الشعب قديماً في بناء برج بابل:

”وقال الرب هوذا شعب واحد ولسان واحد لجميعهم وهذا ابتداءهم بالعمل والآن لا تمتنع عليهم كل ما ينون أن يعملوه. هلم نزل ونبيل هناك لسانهم حتى لا يسمع بعضهم لسان بعض“. تكوين ١١: ٦-٧

عندما اختلفت لغاتهم. ارتبكوا ولم يستطيعوا إكمال بناء البرج. ربما لم يرد الله في ذلك الوقت أن يتركز الناس في مكان واحد. ربما كان يريدهم أن يملأوا الأرض وينتشروا فيها.

حدث ذلك منذ زمن بعيد. وقد ملأنا الأرض بالفعل. وها نحن نعيش في زمن مختلف. لا أعتقد أنه زمن يفرق فيه الله الناس عن بعضهم وإنما هي مرحلة يجمع فيها الشممل. أو من أن الله يجمع شمل البنات بالأمهات على كل المستويات. في السوق ومن خلال الإعلام وفي البيوت وفي الكنائس.

هذا التجمع النسائي والجوع والاحتياج إلى الرعاية هم الدافع الذي يدفعني للبحث عن البنات ومساعدتهن على التعافي واستعادة الحياة والأمان. أريد لهن النمو حتى يتمكن من الطيران. كما أريد أن أحوّل رؤوس

الأمهات المنشغلات حتى يلاحظن بناتهن اللاتي يبحثن عنهن. أريد أن أمكّن الجدّات حتى يقدمن التعزية التي لا يستطيع غيرهن تقديمها بهذه الكفاءة والكيفية. أريد أن يحصل هؤلاء النساء على الرعاية والاحتضان حتى يتمكنّ بدورهن من تقديم حياتهن للآخرين والاستماع إلى صرخات البشر. وبالرغم من مرور السنوات على قصة "هل أنت أمي؟"، إلا أنها أصبحت مأساة أكثر منها كوميديا. فما أكثر الصرخات المدوية والصادرة من جيل من البنات في كل العالم. يبحثن في وجوه نساء أخريات لعلهن يجدن أمهاتهن. وهذا البحث لا يأتي فقط من الأطفال الصغار، بل أيضًا من قبل هؤلاء اللاتي أدركن فقدهن لشيء ذا قيمة في حياتهن. فاجهن لشبهات الأمهات فقط ليجدن أن هذه البدائل ناقصة.

أريد أن يحصل هؤلاء النساء على الرعاية والاحتضان حتى يتمكنّ بدورهن من تقديم حياتهن للآخرين والاستماع إلى صرخات البشر.

أجبرت بعض البنات على الطيران خارج العش قبل أن يدركن القوة الكامنة في الارتباط بنساء أخريات فنجدهن ينتقلن من مكان إلى آخر دون استقرار أو راحة. ولأنهن لم يعرفن معنى الرعاية والاحتضان. جدهن يجهلن مبادئ رعاية الآخرين. وبعضهن تم هجرهن في العش فكان عليهن أن يصارعن من أجل البقاء. وأخريات جرحن من أقرب الناس في المكان الذي كان يجب أن يكون ملجأ للحماية والأمان. قد لا يتجرأ مثل هؤلاء على فرد أجنحتهن للطيران.

ربما تكوني واحدة من هؤلاء، وربما تكوني أمًا تريد أن تفعل شيئًا ولكنك لا تدري من أين تبدأين. وربما تكوني ابنة في أمس الحاجة إلى أم. وربما تكوني الاثنتين. تلعب المرأة دورًا مهمًا في الربط بين الحياة والعلاقات. فإن كنت امرأة، فأين من ترتبطين بهم؟ يا ابنة أين أمك؟ ويا أم، أين بناتك؟ ويا أخت، أين أصدقائك؟ ويا جدة، أين فتياتك الصغار اللاتي في أمس الحاجة إلى حكمتك؟

يحرك الله قلوب هؤلاء الذين يشاققون إلى رؤية هذه الروابط تتصل من جديد. فنحن في حاجة إلى لم الشمّل لكي نزهده وننمو. يا أخواتي، أعتقد أنه قد حان الوقت؛ فالرعاية والاحتضان هما لغة القلب الأنثوي وهما ما نحاول استرداده بينما نهبط واقفات مدركات وجود بعضنا البعض ونبدأ في الترابط معًا من أجل قوة وهدف.



٢

قوة وفاعلية الرعاية

يرعى (فعل): (١) تقديم الاهتمام الحاني والحماية إلى طفل أو حيوان صغير أو نبتة لمساعدتهم على النمو والتطور. (٢) تشجيع شخص أو شيء على النمو والتطور والازدهار والنجاح.^١

يا له من وصف رائع لما تحتاج كل ابنة لله أن تحصل عليه وأن تمنحه: اهتمام حان. حماية وتشجيع. يلاقي هذا التعريف صدى في قلبي لأنه السبب الأساسي في نمونا وتطورنا وازدهارنا. فنحن - وبغض النظر عن أعمارنا - لا نزال بنات العلي وبالتالي بنات الملكوت. أيتها النساء، سواء بنات أو أمهات، نحتاج أن نستيقظ ونستعيد قدرتنا على الرعاية والعناية والاحتضان ونحتاج أيضًا أن نستعيد أماكننا كمستقبلات ومقدمات لهذه القوة التي لا غنى عنها في الحياة.

هل نحن منشغلات بصراعنا من أجل البقاء بعيدًا عن نخصص الوقت للتأكد من ازدهار حياة من هم حولنا؟

إن الاحتياج أكبر وأعظم بكثير مما نعرف وأخشى أن مصطلح الرعاية والاحتضان صار أحد الفنون المفقودة والمهملة في شتى نواحي الحياة. هل نحن منشغلات بصراعنا من أجل البقاء بحيث لا نخصص الوقت للتأكد من ازدهار حياة من هم حولنا؟ ولكننا أيضًا نكون في كثير من الأحيان مجروحات وخائفات بحيث لا نفتح قلوبنا لاستقبال الرعاية من شخص آخر غير كامل.

لماذا؟ لأن كثيرات منا جرحن من أقرب الناس وحُذِلن من وضعن ثقتهن فيهم. بحثنا عن الرعاية، فما جئنا سوى الكبت والإهمال والسيطرة. هذا ما يحدث عندما يفقد البشر صلتهم وارتباطهم بأبيهم السماوي. يحاربون حتى الموت لحماية تقاليدهم الدينية ولكنهم يرفضون -دون أن يعلموا- عمل الله الآن على الأرض.

لكن تشجعن أيتها الجميلات، فنحن على أعتاب موسم جديد؛ فالسماوات تتواصل بكل مشاعر الدفاع مع القلوب المجرحة تلك التي مزقتها الحروب. كما يتعامل مع كل الساكنين على الأرض. في هذا الموسم الجديد. أوْمن أن بنات الله سيكونون أداة فعالة في عملية لم الشمل. فلا بد أن يُعلن قلب الله وجماله وحبه ورعايته لكل البشر.

الرعاية ليست مُكلفة.. إنها قابلة للتمدد والالتساع

قد يبدو لنا أن الآباء والأنظمة التعليمية وأماكن العمل والكيانات الحكومية وحتى كنائس الله قد سُئِدت لكي تسد احتياجات معينة بدلاً من تقديم الرعاية للقلب البشري. ويبدو أن الوقت والإمكانات لا تسعنا إلا لمثل هذه الأمور. ولكن الحقيقة هي أن الرعاية ليست مُكلفة.. إنها قابلة للتمدد والالتساع؛ فحياة أي إنسان تنسج وتمتد إذا توفرت لها الرعاية في أي من هذه الأنظمة وعندها لن تسعى هذه الكيانات للقيام بوظيفتها فحسب وإنما ستزدهر بالفعل.

تنشئة المدرس

أتمنى أن تكونوا قد تقابلتم مع ذلك الكنز الموجود داخل بعض المدرسين أو المدرسات الذين يعشقون التدريس: فهم يقدمون مادتهم بحماس وفرح حتى أنك تشعر إنهم لا يقومون بمجرد تأدية وظيفتهم وتسميع المعلومات، وإنما هم على اتصال وثيق وعلاقة قوية بالمادة التي يدرسونها. يدعونك إلى داخل المادة ويبذلون الجهد حتى تحب هذا البحر من العلوم بقدر ما يحبونه هم. في الجامعة، حظيت بمدرس من هذه النوعية وكان يدرس مادة الأدب الإيطالي. كان من بين المفضلين لدي في جامعة "أريزونا"

لأنه استطاع إحياء مادة التاريخ، وبطريقة ما شعرت برابطة تربطني بهذا الشعب الذي عاش على أرضنا منذ زمن بعيد.
كما انتهج نفس الأسلوب أحد المدرسين في مدرستي الثانوية: فقد جعل من مادة الكيمياء والفيزياء متعة ومرح حتى أنني أقبلت على دراسة مادته بشغف.

وربما كانت مدرّسة مادة المقال الإنجليزي في السنة الأولى لي في الجامعة من بين أفضل الأمثلة للأشخاص الذين قاموا برعايتي واحتضاني. للأسف لا أستطيع تذكر اسمها. في ذلك الوقت كان تخصصي هو الهندسة ولكن مادة المقال كانت إجبارية في تلك السنة. صدقوني عندما أقول لكم إنني كنت أبذل أقل مجهود ممكن فقط لأتمكن من النجاح فيها ولو بتقدير مقبول. كانت مدرسة المادة تهوى الكتابة والإنشاء. أما أنا فكانت أكرههما. كانت واجباتها وأبحاثها آخر شيء ألتفت إليه وأبذل فيه الجهد. لأن المواد الأخرى مثل العلوم والهندسة والرياضيات كانت تتطلب الكثير من وقتي وجهدي. فكانت أنتظر حتى آخر وقت لأبدأ في كتابة المقال المطلوب. كنت أبدأ في وقت متأخر من الليل وكنت أتمنى أن أذهب إلى الفراش بدلاً من عمل هذا الواجب. وكلما أمكن، كنت أكتب مقالتي دون استخدام أية مراجع حتى لا أضطر لتسجيل أسمائها. ونادرًا ما كنت أستخدم المسودة.. كنت فقط أكتب وأقوم بتسليمها كما هي دون إعادة كتابتها أو تنسيقها.
ولكنها وبطريقة ما رأيت في شيء لم ألاحظه في نفسي.

ذات يوم، وبعد أن صرفت كل الفصل، طلبت مني الانتظار قليلاً حتى تتحدث معي. وأتذكر مشاعر الخوف التي انتابني وخيبة الأمل لأنني أردت أن أذهب مع صديقة لي لحضور الفصل التالي. تعالت الضحكات والضوضاء الصادرة من زملائي وهم يغادرون الفصل وحاولت جاهدة أن أضع قناع اللامبالاة وانزلت في مقعدي للأسفل قليلاً.

جاءت المدرسة وجلست على كرسي شاغر بالقرب مني وقد أمسكت في يدها المقالة التي سلمتها وقالت "يا ليزا، أريد أن أسألك سؤال..". هكذا بدأت حديثها معي.

كنت مدركة تمامًا أنها انتفت كلماتها واختارت مكانها بعناية شديدة. أومأت قائلة: "حسنًا.. تفضلي".

وضعت المقالة أمامي فلاحظت أنها لم تعطيني درجة بعد.

"هل قمت بعمل مسودة لهذا المقال؟"

أشرت برأسي وأجبت بصراحة "لا".
 "وهل كتبت عناوين رئيسية أو رؤوس موضوعات؟"
 شعرت أنها أمسكتني متلبسة، بالرغم من ذلك كان في أسلوبها ما
 جعلني أشعر بالأمان وأكون صادقة معها فأجبت بتنهيد "لا".
 "كل ما فعلت إذا، أنكِ جلستِ وكتبتِ المقالة. حسنًا.. كم من الوقت
 استغرقكِ هذا الأمر؟"

عندئذ أدركت بأني على وشك الرسوب في هذه المادة وشعرت بالتوتر.
 فأجابت نيابة عني بعدما أحست بتوتري "هل استغرقك أقل من ساعة؟"
 أجبت بالإيجاب.
 "أقل من نصف ساعة؟"
 حسنًا.. ربما كانت زميلتي في الغرفة جاسوسًا عليّ.
 "نعم"

سكنت لحظة ثم نظرت إليّ. كنت مرتبكة ولم أعرف ما تهدف إليه. كل
 ما كنت أريده هو النجاح في هذه المادة وليس التفوق. كنت أيضًا مشوشة
 وقلقة لأنني سوف أتأخر عن فصلي التالي. نظرت عبر النافذة، ثم نظرت إليها
 وكنت أتمنى أن تقول كل ما لديها دفعة واحدة. نعم لقد سلمت المقال دون
 مراجعته.. لقد تعلمت الدرس.. هناك فصل آخر يجب أن أذهب إليه.
 "ليزا، يمكنني تقييمك في هذا المقال بدرجة مقبول أو جيد منخفض
 ولكن ليس هذا ما أريده. أريد أن أمنحك فرصة أخرى لإعادة كتابته".
 لماذا يتعين عليّ أن أفعل ذلك؟ فبالنظر إلى وضعي وظروفي جيد مرتفع
 يبدو خيارًا رائعًا.

أعطتني الورقة وقالت لي "لديك موهبة يا ليزا وأريد تشجيعك على
 تطويرها".

أرأيتهم.. لم أصدق ما سمعته في البداية لأنني كنت مشغولة بكيفية
 تحويل الموقف لصالحني. نظرت مرة أخرى إلى الورقة، وبالرغم من أنها لم
 تحتوي على درجات، إلا أنها قامت بتصحيح بعض الأخطاء الإملائية وأخطاء
 في علامات الترقيم. كم من الجهود يجب أن أبذل في هذه المادة؟ فسألتها
 والشك يراودني: "هل تريدني مني تصحيح هذه الأخطاء فقط؟"
 "لا، أريدك أن تعيدي كتابتها وصياغة العمل الذي بدأت به".

وافقت على الأمر بالرغم من عدم معرفتي بالشكل النهائي الذي سيكون
 عليه المقال. أخذت الورقة منها ووعدت بتسليمها في الفصل التالي. أتذكر

أني خرجت مسرعة ونزلت السلم وخرجت من باب الجامعة حيث أشعة شمس أريزونا الدافئة وبينما كنت أجدول داخل الحرم الجامعي، علت وجهي ابتسامة رقيقة. لقد رأى شخص آخر ما لم أراه في نفسي. كرهت إعادة كتابة المقال ولكنني تذكرت ما قالته "لدي موهبة" لقد غرست بذرة. وخلال الفصل الدراسي، حاولت أن أكون عند حسن ظنها وتقابلت معها أكثر من مرة خارج الفصل لمراجعة المقالات التي كنت أكتبها ثم واصلت المسيرة ولكنني لم أدرس هذه المادة بعد السنة الأولى من الدراسة الجامعية وكان ذلك في عام ١٩٧٨.

قالت: "لري موهبة". لقد غرست بذرة.

مرت السنوات دون أن أعير تلك الحادثة انتباهًا وفي عام ١٩٩١ بدأت تلك البذرة في العودة إلى الحياة مرة أخرى عندما كان زوجي على وشك البدء في تأليف كتابه الأول. جاهد بشدة لكي يحول أفكاره إلى كلمات مكتوبة.. كان يعلم ما يريد أن يقوله ولكن الصعوبة كانت في تدوين وصياغة تلك الأفكار. في البداية حاولنا تدوين عظامه، إلا أنها كانت تفتقر إلى المعلومات التي شعر جون بأهمية إعدادها، ثم قمنا بتعيين محرر ليعيد صياغة عظامه، ولم تنجح تلك المحاولة أيضًا. شعر جون بخيبة الأمل والهزيمة. وفجأة استرجعت كلمات مدرستي، فاقتربت من جون وقلت له "ربما أستطيع المساعدة!"

"كيف؟" ربما كان يتساءل، كيف سأفعل ذلك في حين فشل اثنان من المحترفين.

أجبت "أنا أعرف ما في قلبك، فقط قم بتدوين ما تريد أن تقول دون أن تقلق بشأن الكلمات أو النحو، وسأقوم أنا بإعادة صياغة المكتوب" ثم أضفت بقليل من التردد "يا جون، أنا أمتلك موهبة الكتابة". نظر إلي وعلى وجهه علامات الحيرة، فخلال زواجنا الذي دام عشر سنوات، لم نتحدث مطلقًا عن هذا الأمر. "كيف تعرفين إن كنتِ فعلاً تمتلكين موهبة الكتابة؟"

أجبت "منذ سنوات أخبرتني مدرسة مادة المقال الإنجليزي أنه بوسعي الكتابة، ولكنني لم أمارس تلك الموهبة قبل اليوم".
"هل حقًا ترغبين في عمل ذلك؟"

"يا جون، ماذا ستخسر؟ فقط اعطني ما لديك وسوف أعيد صياغته أثناء فترة سفرك التالي".

رأبته وقد علت علامات الارتياح والأمل على وجهه.. ثم سافر في رحلته وبدأت أنا العمل وعندما عاد إلى البيت وجد كلماته منسقة بالطريقة التي كان يريدتها. ولكن دعوني أكون صريحة معكم. هناك آلاف المؤلفين والكتاب الذين تفوق مهاراتهم مهاراتي ولكن بالنسبة لجون وفي تلك المرحلة من حياتنا، كنت أنا أكثر شخص مناسب لهذه المهمة.

كان لتوجيهات ورعاية تلك المدرسة الرائعة -والتي لا أنذكر أسمها- الفضل؛ لأن كلماتها التي نطقت بها منذ ثلاثة عشر عامًا استطاعت أن تتكلم إليّ في المستقبل في وقت كنت مستعدة لكي أسمعها. في الجامعة، كانت كلمات توجيه وتصحيح. ولكن عندما استرجعتها في المستقبل، كانت كلمات العناية الإلهية.

ما هو الشيء الذي يجب أن يستيقظ داخلك؟

أيتها البنات الجميلات، توقفن للحظة وفكرن: هل أصبحت بعض الإمكانات الكامنة في بعض جوانب حياتكن قيد النسيان؟ وهل يجب أن تستيقظ وتتطور؟ أعلم أنها موجودة.

للعناية والعناية القدرة على إبقاء وتطوير تلك الجوانب التي من شأنها أن تُحدث اختلافًا عظيمًا؛ فكل موهبة أو عطية أو إمكانية ممنوحة لنا هي لتطوير وتمكين حياة الآخرين. العالم في أمس الحاجة إلى ما تمتلكين بداخلك.

يا أيتها الأمهات اللاتي طار صغارهن من العيش، يوجد شيء في انتظارك في هذا الموسم. لأنه ليس موسم خسارة. وإنما موسم تغيير وإطلاق وتوسع. أما أنتن أيتها الفتيات اللاتي لم تتزوجن بعد، أقول لكن إنه ليس لديكن وقت للانتظار وإنما أن الأوان لكي تكتشفن من تكونون.

ويا أيتها الجدات، حان وقت الشفاء وتقديم حكمتكن: أن الأوان لكي تفعلن مع أحفادكن ما كننتم تمنين أن تفعلنه بطريقة مختلفة مع أولادكن.

(العالم في أمس الحاجة إلى ما تمتلكين بداخلك).

يتعلم الأطفال من البيئة التي يعيشون فيها. فعندما تفضل الأمهات في

تقديم الرعاية لأولادهم. نحصل على أولاد وبنات متمركزين حول ذواتهم. غير مرتبطين بأحد. يصارعون لأجل البقاء... أشخاص لديهم القدرة على القيام بوظائفهم ولكنهم يفتقرون إلى القوة التي تجعلهم يزدهرون. يشبهون منازلنا، التي برغم فخامتها وكبر حجمها، لا تصبح بيوتاً يملأها الدفء. فبدون عنصر الرعاية، ينشأ في مجتمعاتنا أطفال يستهلكون كميات هائلة من الموارد دون أن يردوا شيئاً لهذا المجتمع في المقابل. يستنفذون الوقت ونادراً ما يصرفونه لفائدة الآخرين. يأخذون المال ولا يتجرأون على منحه. يتزوجون فقط لينتهي بهم الأمر مطلقين، يضحكون ويسخرون من الآخرين دون أن يختبروا الفرح الحقيقي. ينتقدون الآخرين باحتراف ويهدمون أي شيء ولكنهم لا يعرفون كيف يبنون، يسعون وراء السلام دون أن يحصلون عليه.

بررت عنصر الرعاية، ينشأ في مجتمعاتنا أطفال يستهلكون كميات هائلة من الموارد دون أن يردوا شيئاً لهذا المجتمع في المقابل.

وبصفة عامة تشكل ثقافة المثل العليا انعكاساً لأنانيتهم. لماذا؟ لأنه مهما كان مقدار المال الذي يحصلون عليه أو عدد السيارات التي يمتلكونها أو الأصدقاء أو الجوائز والنياشين التي فازوا بها، فكل هذا لا يكفي لأن تكتمل كل الأجزاء معاً وتتواصل ولا يمكن لحياتهم أن تنسجم بالفعل مع حياة الآخرين. فهم مشغولون جداً بأخذ كل ما لهم وحماية ما يخصهم والمطالبة بحقوقهم وإساءة استخدام ما يملكونه. فإن لم تُصلح هذه الكسور وتعالج، لن يستطيع أي منا أن يظهر الحياة التي خلقنا لكي نعلنها للآخرين لأننا لا نعيش بمعزل عن الأنانية ومردودها من فقر. لقد خلقنا لما هو أعظم من مجرد تسديد الاحتياج ولكن إن كان تسديد الاحتياج هو كل ما قدم لنا، فذلك هو كل ما تعلمناه: "أنا محتاج إلى..." تذكروا معي الطائر الصغير الذي كان في حاجة لأن يرتبط بشخص بينما كانت الأم منشغلة في صراعها مع الدودة. لقد تضاءلت العلاقات الإنسانية لتصبح مجرد تسديد احتياج بدلاً من تجانس بين العقول والقلوب.

نحن في حاجة إلى ما هو أكثر من ذلك

والحقيقة هي أننا لا نجد حتى تسديد الاحتياج؛ فالفقراء لا يجدون من

يهتم بهم وتبقى النفس الانسانية أنانية. يبدو أننا لا نتجرأ على تقديم المزيد من أنفسنا؛ فنجد زوجات يزنون بتسديد احتياجات أزواجهن وأزواج يفعلون أقل ما يمكن لتسديد احتياجات زوجاتهم وآباء مشغولون بمجرد تسديد احتياجات أولادهم. موظفون يجاهدون لتسديد احتياجات مرؤوسيههم. مدرسون يعملون بجهد لتسديد احتياجات طلابهم. حكومات تسدد احتياجات شعوبها وكنائس تسدد احتياجات أعضائها. الجميع يتحركون ويشطبون على أمور مطلوبة في جداول أعمالهم. ولكن هل هذه هي حقاً الحياة؟

كسفراء للعلي وملك الملوك، يجب أن نبني علاقات سهارية مع سكان الأرض.

هل نحن حقاً مترابطون؟ هل نحن مزدهرون؟ وهل نعرف بالفعل الأشخاص الذين نعيش ونعمل معهم؟ هل نعرف من نقوم بتدريسهم؟ وهل نعرف من نتعلم منهم؟ هل نعرف من نعبد الله معهم؟ تُرى أين الرعاية الحانية والتشجيع؟ أين براهين وعلامات الازدهار؟ نحن مدعوون لما هو أعظم من تسديد الاحتياجات.. نحن مدعوون لبناء حياة وعلاقات مع الآخرين. كأزواج علينا أن نحب ونخلق جواً من الديناميكية يكفل للأبناء والبنات أن يزدهروا في علاقاتهم المقدسة مع الآخرين. كأمهات علينا أن نسعى نحو ارتباط قلبي مع أبنائنا وبناتنا من شأنه أن يخلق رابطة حميمة تكفل لهم الأمان والحب. وكسفراء للعلي وملك الملوك، يجب أن نبني علاقات سماوية مع سكان الأرض.

فعالية التشذيب

في معظم الأحيان لا ينمو الشخص لما هو أبعد من ذاته إن كان يعتقد أن العالم يدور حول نفسه. فأنا لا أشجع التذليل وإنما تقديم الرعاية؛ لأنه في معظم الأحيان يتعارض ما يريده الشخص مع ما يحتاج إليه. إنه المبدأ الذي علمه يسوع لتلاميذه:

”كل غصن في لا يأتي بثمر ينزعه، وكل ما يأتي بثمر يبقه ليأتي بثمر أكثر.“ (يوحنا ١٥: ٢)

تعتبر عملية التشذيب أو التقليم أمر لا غنى عنه في عملية تقديم الرعاية؛ فالأغصان التي لا تأتي بثمر يتم نزعها حتى لا تستهلك الغذاء. أما تلك التي تأتي بالثمار -وفيما بعد- البذار، يتم تقليمها أو تشذيبها حتى تأتي بثمر أكثر في المستقبل.

فإن كنت واحد من الأشخاص الذين اختبروا التشذيب في حياتهم، فلا بد وأنك تعلم جيداً أنها ليست بعملية مبهجة أو جذابة على الإطلاق. إلا أن التشذيب يختلف تماماً عن القطع. فالأخير هو استبعاد كامل عن الجذع أو المصدر الرئيسي. أما الأول فهو تقليم يسمح لقوة الحياة الموجودة في الكرمة أن تتدفق بسهولة وفاعلية من خلال الأغصان لتتمكن من تكوين الثمار.

ويحدث التقليم بطرق وأشكال متعددة؛ فالفلاح يمكن أن يقلم بعض الفروع. وقد يقطع أحد المارة عن طريق الخطأ أحد الفروع. وقد تهب عاصفة تتسبب في قصف كل الأغصان الضعيفة. وهكذا تستطيع أنت أيضاً أن تنقي كل ما هو غير صحي في حياتك وحياة أولادك.

تنمو في حديقة منزلي كرمة صغيرة تشق طريقها لأعلى العمود الحجري تحت البلكونة. لاحظت أن أطرافها الخشبية الصغيرة قد ألصقت نفسها بالعمود وقد امتدت لتخنق شجيرة أخرى. وفي فصل الصيف كنت أقضي وقتاً طويلاً في فك التشابك وإعادة وضعها مرة أخرى حول العمود حيث تقوم بتشبيك نفسها في نفسها للتسلق إلى أعلى وإلى الخارج.

لاحظت أن هذه الأغصان المتناثرة ذات ثمر قليل وفي معظم الأحيان بدون ثمر. ولم يتعدى ثمرها حجم حبات البازلاء. أما في الأغصان القريبة من أصل الكرمة، فكانت أجني الكثير من الثمار. لقد ازدهرت هذه الأغصان واثمرت بكثرة في كل موسم. أما تلك الأغصان التي لم تتمكن من تقليمها، فكانت تتطاير مع نسيمات الهواء غير مَحْمَلة بالثمار.

فإن لم يتم تقليم (الكرمة) وهي نبتة صغيرة ولينة، فلن تثمر عندما تنمو...
ما لم تعالج هذه المشكلة.

ولكي أكون أمينة معكم، دعوني أقول إنني كنت السبب في تلك الحالة التي كانت عليها الكرمة؛ ففي سنوات نموها الأولى، سمحت لها أن تنشر فروعها حول العمود، وكنت مهتمة بوضعها ومكانها أكثر من ثمرها. ولكن بعد أن نمت وثبتت جذورها، أهملت تشذيب فروعها في نهاية

الموسم بسبب موسم الشتاء الذي جاء مبكرًا ذلك العام وتساقط الجليد. لم أرغب في تشذيبها في درجة حرارة تقل عن الصفر ولم أشأ تعريض الأغصان الصغيرة للتقليم في هذا الطقس البارد في كلورادو. سوف أقوم بهذه المهمة عندما يأتي الربيع.

تشمل رعاية النباتات مراحل وفصول متعددة ولكن ما لم يتم تقليم الكرمة وهي نبتة صغيرة ولينة، فلن تثمر عندما تنمو ... ما لم تُعالج هذه المشكلة.

لأختي الصغيرة منطقتها الخاص، فهي تقول "لم أجد من يقدم لي الاهتمام الحاني والرعاية التي كنت في حاجة إليها عندما كنت صغيرة، لذلك فقد فات الأوان وأصبح من الصعب علي جدًا تقديمها للآخرين." لا تصدقوا كلامها ولو للحظة... إنها كذبة. وإلا فلماذا إذاً أقام الله كل واحد منا بالولادة الجديدة؟ لقد أعادنا مرة أخرى للبدائية بغض النظر عن السنوات والمواسم."

"أتم الآن أنقياء لسبب الكلام الذي كلمتكم به". (يوحنا ١٥ : ٣)

فإن كنت قد نلت الولادة الجديدة، فكلمة الله تنقي وتشذب الأغصان المتناثرة: لأن الرعاية والعناية الإلهية تخترق طريقها لتصل إلى حياتك. نعم قد تُزرع بذور فاسدة في قلبك ولكن من خلال التوبة وقبول الحق الموجود في رسالة المسيح المغيرة للحياة يمكن أن تننقى وتتطهر كابن وابنة لله. وعندئذ ستتمكن من تقديم الرعاية والعناية لآخرين حتى وإن كنت لا زلت في حاجة إلى التدريب على تقديمها بأفضل شكل ممكن.

المثل الذي رواه يسوع عن البذور

إن أردت أن تحصد ثمارًا جيدةً، عليك أن تبدأ ببذور جيدة. وفي المثل الذي رواه يسوع، لم تكمن المشكلة أبدًا في البذور، وإنما التربة الرديئة (حالة القلب) التي لم تهَيئَ مناخًا مناسبًا للنمو الصحيح. سقطت بعض البذور على الطريق حيث يمشي الناس فجاءت طيور السماء وأكلتها قبل أن تنبت. سقط البعض الآخر على أماكن مُحجرة ذات تربة ضحلة فنبتت سريعًا ولكنها ذبلت بسبب حرارة الشمس ولأن أصل الجذر لم يجد تربة تدعمه وترعاه. وبذور أخرى سقطت وسط الشوك فطلع الشوك وخنقها ومنعها

من الإثمار. أما المجموعة الأخيرة من البذور فوجدت تربة خصبة فأعطت ثمرًا ثلاثين وستين ومئة ضعف ما قد زرع. سُرح يسوع المثل كما يلي:

”الزارع الزرع الجيد هو ابن الإنسان. والحقل هو العالم. والزرع الجيد هو بنو الملكوت. والزوان هو الشرير. والعدو الذي زرعه هو إبليس. والحصاد هو انقضاء العالم. والحصادون هم الملائكة“ (مت ١٣: ٣٧-٣٩).

تُرى أين زرع الزوان؟ بين الحنطة! فلا توجد قطعة أرض مُخصصة لزراعة الزوان. ففي حديقتي تنمو الأعشاب الضارة دائمًا في الأماكن المروية جيدًا وأراها تنمو سريعًا محاولة خنق البذور التي زرعتها. إن إحدى الطرق الفعالة للتأكد من عدم وجود زوان هو تكثيف الشتلات بحيث لا توجد مساحة لنمو الأعشاب الضارة ولكن يختلف الأمر عند زرع البذور. فمثلًا عند زراعة القمح لا يمكنك التمييز بين النبتة الجيدة والرديئة إلا عند وقت الحصاد. ولهذا السبب سيتعين عليك رعاية المحصول بأكمله حتى يحين وقت الحصاد وعندها يمكنك فصل القمح عن الزوان. الله نفسه يفعل ذلك، فهو صالح للبار وغير البار حتى يأتي يوم الحصاد.

انتهاز الفرص

وتتخذ الرعاية والعناية أشكالًا ووجوهًا متعددة، فإن لم تحصل عليها في صباحك، من المهم أن تجدها وأنت أكبر سنًا. فإن كنت تريد أن تزدهر، فلن يكون اختيارك هو الحياة بدون رعاية. لذلك أصلي أن يتقدم الشباب الذين بيننا ويطلبونا بتقديم الرعاية التي هم في أمس الحاجة إليها.

تتغز (الرعاية) والعناية (أشكالًا ووجوهًا متعددة).

ويجب علينا، نحن الناضجين، أن نبحث عنهم باستمرار وأن نتحلى بالحكمة ونتسلح بكلمة الله حتى نكون مستعدين لتقديم البركة لهم بكل طريقة ممكنة.

لقد استمتعت مؤخرًا بلحظات كهذه مع ابني. كم كان اللقاء حانيًا ورفيقًا بالرغم من أنه كان في وقت متأخر من الليل. كنت متعبة جدًا

لدرجة أنني كنت سأفوت على نفسي تلك الفرصة الرائعة. عاد ابني إلى المنزل متأخراً بعد حضوره لاجتماع الشباب وكننت في انتظاره حتى أغلق أبواب المنزل. وبمجرد أن تأكدت من عودة الجميع ومن أنهم في طريقهم إلى الفراش، أسرعت في طريقي إلى الفراش أيضاً. أطفأت أنوار الدور الأرضي وسمعت ابني أليس يقول لي: "أعلم أن الوقت قد تأخر ولكن هل لي أن أتحادث معك قليلاً؟"

حسناً، لقد اقتربت من الخمسين من عمري وفي تلك المرحلة يكون النوم ساعة ينذر الحصول عليها. نظرت إلى الساعة ووجدتها قاربت على الحادية عشر. ولكن عندما نظرت إلى ابني وجدته جاداً فيما يقول فلم أستطع رفض طلبه. قلت له: "بالطبع، هيا بنا" ثم توجهت إلى الحمام الرئيسي والذي بدون سبب وجيه صار مكان المناقشات الخاصة والعميقة. سألته "كيف كانت مجموعتك الليلة؟" فبالإضافة إلى اجتماع الشباب، اشترك ابني في مجموعة تلمذة.

قال مبتهجاً وبحماس: "كانت رائعة". جلس على حافة كرسي التجميل وافتريشت أنا الأرض وعندها لاحظت وجود ورقة ملفوفة في يده. "يا أمي، هل تريدان رؤية ما معي؟" سألتني وهو يحاول فك الورقة الصغيرة الملفوفة. أراني اسمه وقد كتبه بحيث يشير كل حرف منه إلى رمز أو صورة تحدث الله إليه من خلاله. "كل رسم أو صورة ترمز إلى جزء من كياني أو إلى ما دعاني الله لكي أفعله".

استمعت إليه وهو يشرح لي بكل حماس أهم ما حدث في يومه والمناقشات التي جرت في المجموعة في ذلك المساء. أخبرني بأسماء كل الحاضرين وما قالوه وبعض التفاصيل الأخرى هنا وهناك وكأنه يرسم الصورة كاملة أمامي.

"تحدث كريج إلينا عن الغرض من حياتنا وشاركنا بالأمور التي يراها في كل منا؛ نقاط القوة وبعض الأمور الأخرى التي أعلنها له الله". ثم أخبرني أليس عن بعض الأمور الخاصة التي أخبره بها كريج. وبينما كنت أستمع إليه تذكرت الوقت الذي كنت أصغي فيه إلى جون عندما كان شاباً وأثناء دراسته المسائية في كلية اللاهوت عندما كان يعمل في مجال الهندسة وقد علا وجهه الأمل والجدية.

وفجأة تحول حديث أليس عما حدث معه خلال اليوم وركز بصره علي بالكامل وسألني: "أمي، إلى أي شيء في رأيك أنا مدعو من الله لكي أكونه أو أفعله؟" كانت لحظة مهمة جداً وكنت مدركة ذلك. كنت في مواجهة مع ابني الرائع، الشاب اليافع الذي علت وجهه البراءة وفي نفس الوقت الجديدة. كان وجهه معبر جداً عما يشعر به. ها هو يأتي بحثاً عن اليقين عند أمه في وقت متأخر من الليل.. لقد كان يبحث بكل اهتمام عما في قلب الله من نحوه. ركز بصره علي وعيناه العسليتين مفتوحتين لسماع كل الاحتمالات. وبالرغم من حساسيته المفرطة، إلا أنه جراً وسأل "ماذا ترين في؟" في تلك اللحظة من لقائنا معاً أدركت أن الاحتمالات بالنسبة لأليس غير محدودة. كنت أرى حياته تمتد وتتسع لتزيد عن حياتي أنا وجون. ترددت لأنني كنت أعلم أن ما أنا على وشك أن أقوله سيكون له تأثير مباشر على نفسه. أخبرت أليس في ذلك اليوم أنني لا أريد أن أضع حدوداً لما يريد الله له بسبب محدوديتي أنا وأخبرته أن الله يدعوها لأمر أعظم من أن أدركها أو أرسمها له. وجدت نفسي خائفة. خفت من أن أقول أكثر من اللازم، وخفت أن أرسم له صورة محددة التفاصيل أو أن أضعه داخل صندوق أصغر من حجمه. رأيتم، أنا أو من أن خطة الله له مملوءة بالآيات والعجائب. يا أختي الجميلة، هذا هو ما أو من به لك أيضاً.

إلى أين نحن ذاهبون؟

"آياته ما أعظمها، وعجائبه ما أقواها! ملكوته ملكوت أبدي وسلطانه إلى دور فدور".

(دانيال ٤: ٣)

أقول لكم بصدق إن الآيات التي رأيتموها حتى اليوم رائعة.. ربما ليست عظيمة بعد وربما لم أرى بعد آيات وعجائب يمكن أن أقول ما أعظمها ولكن دعوني أقول لكم إن المكان الذي نقف فيه والمكان الذي أتينا منه ليس هو المكان الذي نحن ذاهبون إليه.

إن ملكوت الله ليس كياناً راکداً خاملاً، وإنما ملكوت أبدي يمتد ويزداد في النمو ولن تكون له نهاية. ولا أقصد نهاية من ناحية الزمن، لأن الله غير محدود بزمن أو توقيت.

فنهاية الرحلة ليست في وصولنا إلى السماء، إنها البداية. عندها لن

يكون هناك حدودًا أو حواجز في الأفق السماوية. لن يكون هناك وجود لأسوار خرسانية أو حدود للكون. وإنما عالم بلا نهاية مع الإله الذي لا بداية له ولا نهاية. فإن فكرنا في الأمر كثيرًا شعرنا بالضيق لأن كياناتنا البشرية ومدة حياتنا الأرضية لا يجعلنا مستعدين لتلك الأبدية الشاسعة. الله غير محدود ويريد أن يكون أولاده على تلك الصورة عينها.

الله غير محدود ويريد أن يكون أولاده على تلك الصورة عينها.

"ماذا تريد في؟" إنه السؤال الذي يدور داخل كل طفل. إنه تسأول كل فتاة أيضًا. فإن لم يُطرح هذا التسأول على الأم، يجب أن يُطرح على الأب. فإن لم تأتي الإجابة داعمة بحيث تجعلك تشعر بالقوة والراحة، عليك أن تسأل أباك السماوي "يا رب، ماذا ترى في؟" وتأكد من أنه سوف يهمس بالإجابة في أذنك سيهمس بكلمات تُثري حياتك وتغير من نظرتك للأمور في كل المجالات. أتمنى أن تكونوا قد أدركتم أن الرعاية والعناية بأولادنا تعني ألا نردهم بما رأيناه أو ما عرفناه. نخطئ عندما نتوقع منهم القليل. لذلك لا تدع الخوف يضلك "إن حلمت لهم بالمزيد، قد يصابوا بخيبة أمل!" ربما خاب أملك أنت وتريد أن تجنّبهم الألم ... لا تفعل. فالأحلام الصغيرة غير صحية وغير آمنة. فإما أن يرث أولادنا مخاوفنا، أو مواعيد الله.

إن خيبة الأمل التي اختبارناها هي جزء من حياتنا ومن عالمنا وليس جزء من حياتهم هم؟ فقصّة حياتهم يمكن أن تختلف تمام الاختلاف عن قصتنا. قد تمتلئ حياتهم بصوت جديد وقد تتشكل هموضة مختلفة وقد تتطلب عدسات جديدة لكي يروا بها ما استأنمهم الله عليه. وقد نحتاج نحن إلى تليسكوب لكي نرى ما ينتظرهم ولكنهم يتحركون بسرعة كبيرة بحيث يحتاجون إلى رادار.

(الأحلام الصغيرة غير صحيحة، وغير آمنة). فإما أن يرث أولادنا مخاوفنا أو

مواهب الله

ماذا تعكس؟

في كثير من الأحيان نكون مرآة لأولادنا وبناتنا؛ ينظرون في وجوهنا ويأملون أن يروا انعكاسًا لذواتهم.

تُرى، ماذا يرون في عيوننا، وماذا نعكس لهم في كلماتنا؟ بماذا يشعرون وهم في أحضاننا؟ دعوني أصطحبكم لتروا من نافذة هذه الفتاة احتياجها الذي عبرت عنه بصوتها ومشاعرها.

عندما اسمعك تنادين: "يا ابنتي الجميلة" أشعر أن لي مستقبل ورجاء. فبرغم من كونك على بعد مئات الأميال مني. أستطيع أن أسمعك تقولين ما تكتبين. أشعر وكأني طفلة من جديد. وأنت أُمِّي. تلمسين وجهي بيدك الخائيتين وتهمسين بتلك الكلمات بكل نعومة في أذني".

أرأيتم ضآلة الجهود المبذول بالمقارنة بالتأثير العميق الذي يتركه الحب وتطبعه العناية؟

هم يريدون منا أن نتفحص حياتهم الشابة ونرى المواعيد ونشعر بالفخر بهم. قد يستغرق الأمر دقائق معدودة مثل تلك اللحظات التي حظيت بها مع ابني. وفي بعض الأحيان الأخرى تنعكس من خلال مشاهد عديدة ومتعددة حدث خلال اليوم. لا أريد أن يُحد أولادي بما يرونه فينا ولا أريد لهم أن يشعروا بالضغط نتيجة مقارنةهم بوالديهم. نحن موجودون كأباء وأمّهات لفائدة ولصالح أولادنا وليس العكس. فالله لم يجعلهم في رعايتنا حتى نعيش حياتنا فيهم، ولكنه أعطاهم لنا لكي نساعدهم ليذهبوا إلى ما هو أبعد من محدوديتنا على كل المستويات.

(لحقيقة) هي أننا نخشى ألا تكون حياتنا كبيرة بما يكفي للاحتواء مولعير
(الله) للأولادنا وبناتنا.

الحقيقة هي أننا نخشى ألا تكون حياتنا كبيرة بما يكفي لاحتواء مواعيد الله لأولادنا وبناتنا. أنا أسعى لوضع أولادي في المكان الصحيح دون حدهم. أسعى أن أكون ملهمة لهم. دون تصنيف. أحميهم دون المساس بالبذرة التي وضعها الله في داخلهم. أصلي أن أكون بركة لا لعنة. هل سبق أن رأيتم مثل هؤلاء الأبناء والبنات... إنهم رائعون. لا يخشون شيء، أقوياء.

أعمق مخاوفنا ليست أننا غير مؤهلين. وإنما أن تكون القوة الكامنة بداخلنا أعظم من أي قياس. نحن نخشى النور وليس الظلمة. من أنا لأكون ذكية، رائعة

الجمال. موهوبة؟ ومن أنتِ حتى لا تكونين كذلك؟ إنكِ ابنة الله. التواضع ولعب الأدوار الصغيرة لا يخدم العالم. فما الفائدة من الانكماش بحجة مراعاة مشاعر الآخرين حتى لا يشعروا بالدونية وعدم الأمان في التواجد بالقرب منا؟ لقد حُلقنا لكي نلمع. كما يتلأأ الأطفال. وُلدنا لنعلن مجد الله الموجود داخلنا - ليس داخل البعض منا. وإنما داخل كل واحد فينا. وعندما نسمح لنوره أن يشع من خلالنا. سنعطي الفرصة للآخرين دون أن ندري لكي يفعلوا مثلنا. وعندما نتحرر من مخاوفنا. مجرد وجودنا وسط الآخرين. سيحررهم أيضًا. ماريان وبيلامسون^١

يا له من تصوير رائع لأولاد الله. كل منا هو عمل لم يكتمل بعد لإعلان مجد الله. ويستطيع كل منا أن يختبر آيات ومعجزات السماء في تلك الأواني الخزفية المتعددة الأشكال. لقد حان الوقت لكي يشرق نورنا للناس دون أن يحده دين أو خوف. لكننا مع الأسف التحفنا ثوب الأكاذيب التي حدثنا وقمنا بوظائفنا بمحدودية لوقت أكثر من اللازم. لا تعط أولادك وبناتك هذا الثوب لأنه لن يليق بهم. نعم سوف تقدم حساباً لله من أجل تعطيلهم بأحمال وأثقال غير ضرورية.

قال: ”ويل لكم أنتم أيها الناموسيون! لأنكم تحملون الناس أحمالاً عسرة الحمل وأنتم لا تمسون الأحمال بإحدى أصابعكم“. (لوقا ١١: ٤٦-٤٧)

الله يراقب من سماه

عندما تتسلط الأضواء على الأولاد والبنات على خشبة المسرح الذي هو العالم. سينظر الله وسينظر العالم أيضًا. نعم لقد أصبح العالم مسرحًا صغيرًا؟ أهنأك وقت كان فيه سكان الأرض على اتصال أكثر من يومنا هذا؟ وهل كان هناك عصر تداولت فيه المعلومات والصور بهذا القدر من الحرية واليسر؟ علينا أن نقرر اليوم إن كنا سنجعل هذا التواصل خبيرنا وحياتنا أم للموت والدمار.

هل كان هناك عصر زاد فيه الصراع بين الخير والشر أكثر من تلك الأيام؟ إنه عصر تنحصر فيه أدارنا أو تمتد سواء كنا من بين المتفرجين أو اللاعبين.

”هاأنذا والأولاد الذين أعطانيهم الرب آيات، وعجائب في إسرائيل من عند رب الجنود الساكن في جبل صهيون“. (إشعيا ٨: ١٨)

الله يبحث عن أناس يجابون هكذا: "هاأنذا يا رب ولكني لم آت وحدي، ها أنا آت ومعى أولادي الذين هم عطية من إله السماء والأرض". كم يعجبني لسان حال قائل هذا العدد. فنحن لم نُخلق من أجل قوانين وأحكام وإنما لأجل آيات وعجائب للعالم.

فأينما أوجدنا الله على هذه الأرض سنكون إعلان عن آياته وصورة لعجائبه السماء تخترق الأرض.

بذور مختلفة = نباتات مختلفة

تعرف كل أم لديها أكثر من طفل أن جميعهم مختلفون. فكل منهم سُكِّل وخلق بتفرد لجد الله العتيد أن يستعلن من خلال شخصياتهم المتفردة والخاصة. ويا لها من حرية تشعر بها الأم والابن على حد سواء عندما نتوقف عن محاولتنا لتغييرهم ليصيروا مثلنا.

إنه لأمر رائع ومبهج أن نحتفل ونفرح باختلافهم. فكل منهم يتعلم بطريقة مختلفة ويحب بأسلوب مختلف وبطبيع بشكل مختلف.

”لكل واحد من البذور جسمه“ (١ كورنثوس ١٥: ٣٨).

يجب أن نخلق مناخًا يشجع كل واحد من أبنائنا أن يكتشف قدراته وإمكاناته الكامنة. وهذا هو المناخ الذي توفره الرعاية والعناية؛ فكل بذرة تحتاج إلى نوعية خاصة من التربة والغذاء والضوء تختلف عن البذور الأخرى إن أردنا لهذه البذور أن تنمو وتزدهر.

يا لها من حرية، تشعر بها للأم والابن على حد سواء عندما نتوقف عن محاولتنا لتغييرهم ليصيروا مثلنا.

يأتي كل منا إلى العالم كبذرة وليس كنبات ولكي نعرف خطة الله لحياتنا وحياة أولادنا يجب أن نحصل على قدر من الرعاية والعناية. ولكن الرعاية وحدها لا تكفي لأن البشر خُلِقُوا ليكونوا في رفقة مع شخص. وعندما تبزغ النبتة فوق سطح الأرض، تبدوا مثلها مثل أي نبات آخر؛ مجرد ساق صغيرة تحتوي على ورقتين رقيقتين متجهتين إلى أعلى لتتفتح في

ضوء الشمس. في تلك المرحلة. يكون النبات في مرحلة شديدة الحساسية: فالساق عرضة للخلع من التربة. لذلك يجب أن يكون هناك توازن بين كل العناصر اللازمة من ضوء وحرارة ورطوبة وتربة خصبة. ولكن إن كان هناك اختلال في هذه العناصر. ربما تكبر النبتة بسرعة أكبر من اللازم بحيث لا تسمح للساق أن ينمو ليكون داعماً لهذه الأوراق عندما تتفتح. ولكن بمجرد أن ينبت النبات في التربة ويستقر. فإنه يستغرق وقتاً وربما مواسم قبل أن تظهر الثمار التي تكشف عن نوع أو هوية هذا النبات.

”أنا غرست وأبولوس سقى، لكن الله كان يُنمي“. (١ كورنثوس ٣: ٦)

الله وحده قادر أن يهب الحياة داخل كل منا وهو قادر وحده أن يُنمينا؛ فهو يعطي البذور لهؤلاء الذين دعاهم أن يغرسوا ويعطي ماءً للذين دعاهم لكي يسقوا. وهناك من يحصدون. لكن كيف يمكن أن تطبق هذه المبادئ مع الذين أئتمنا الله على رعايتهم؟
للإجابة على هذا السؤال دعونا نرجع مرة أخرى إلى تعريف الرعاية والعناية.

تعريف الرعاية وتطبيقه على حياتنا

الاهتمام الحاني

لابد من استخدام هذا الأسلوب عند معالجتك للأمور الحساسة أو عند التعامل مع الصغار. فالاهتمام الحاني هو اهتمام صادق مصحوب بأسلوب رقيق لمعالجة أو توجيه حياة شخص آخر. فنحن نبيل إلى الحنو مع الأطفال الصغار لأن أرواحهم سمحة. فليس هناك ما يستدعي الشدة مع شخص يتطلع إليك.

”ونطلب إليكم أيها الإخوة: أئذروا الذين بلا ترتيب، شجعوا صغار النفوس. اسندوا الضعفاء. تأنوا على الجميع“. (١ تسالونيكي ٥: ١٤).

ويعتبر الحنو مطلوباً عند التعامل مع المجرحين. لأننا إن قسونا عليهم. لن تُشفى جراحهم.

الحماية

ما أندر وجود هذه الصفة في مجتمعنا. فنحن نعيش في عالم ينادي بالخصوصية "ليس من شأنك". ولكن الحقيقة هي أننا كمسيحيين يجب أن تكون لنا شركة مع بعضنا البعض. فإن رأينا شخص في خطر أو يسلك في طريق قد يؤديه، يجب أن نتدخل حتى نمنع هذا الأذى. فإن كنا بالحقيقة جسد واحد. فلا يجب أن نعيش في عزلة بعضنا عن بعض. فالأذى الذي يصيب أحدها يصيب الجميع. الحماية هي منع الأذى أو الخسارة من الحدوث. ولكي أعرف متى يجب أن أتدخل. أحاول قلب القصة وأقول لنفسني: "إن كنت مكان هذا الشخص. فهل سأرغب في تدخل الآخرين؟" فإن كانت الإجابة نعم، عندئذ يجب أن أتكلم. إنه أمر يختلف عن التطفل الذي يعني التدخل في شؤون الغير دون وجود دافع المساعدة.

فإن كنا بالحقيقة، جسر واحد فلا يجب أن نعيش في عزلة بعضنا عن بعض، فالأذى الذي يصيب أحدها يصيب الجميع.

التشجيع

وجدت على مدار السنين أن التشجيع هو أعظم هدية يمكن لشخص أن يعطيها أو يقبلها. والتشجيع معناه أن تهدي الآخرين الشجاعة والرجاء والثقة. فالعالم يمتلئ بأصحاب القلوب اليائسة والتي تخشى الخسارة على كل المستويات. فكلمات مثل "أنا أوأمن بك وبقدراتك" تحدث فرقاً كبيراً. من أنقى صور التشجيع أن تقوم بتشجيع شخص ما دون أن يعود ذلك عليك بأي فائدة.

ويمكنك تشجيع أشخاص لا تعرفهم. أتذكر أنني تلقيت مجلة في البريد فيها صورة لزوجين رائعين وعندما تصفحت المجلة وجدت المقالة التي كتبها الزوجة مناسبة للغاية وصورتها كانت مبهجة ومفعمة بالحرية. لم يسبق لي أن قابلت صاحبة الصورة ولم أعرف كيف أصبحت على قائمة البريد الخاصة بهذه المجلة. كنت على وشك أن أضع المجلة جانباً ولكني فكرت أن أقوم بالاتصال بها واخبرها برأيي في المقالة وفي الصورة... ولم لا؟

تصفحت المجلة وقمت بالاتصال بالرقم ولكن رد الجيب الآلي. شعرت بسخافة الأمر وأنا أحدث إلى ماكينة الرد الخاصة بشخص لم أقاله في حياتي، ولكني مع ذلك تركت رسالة صغيرة مفادها "أحسنيت العمل".

في اليوم التالي وصلتني باقة من الورد منها. كان اليوم السابق لمكالمتي لهذه السيدة يوماً عصيباً وكانت تصلي إلى الرب طالبة التشجيع وعندما استمعت إلى الرسائل المسجلة على التليفون ... سمعت صوتي على المسجّل.

كان لي امتياز تشجيعها عبر التليفون خلال الشهور التالية وبعدها تقابلنا وجهًا لوجه. لم تكلفني المكالمة إلا القليل جداً من الوقت والجهد ولكن ما أعمق التأثير الذي تركته على حياتها. وانتهى الأمر بصدقة رائعة أثرت حياة كل منا.

إن هذا المفهوم للرعاية سوف يكون أساس وجوهر علاقتنا بالآخرين وهو الأمر الذي سنناقشه لاحقاً. فالطبيعة تصرخ وتجيش طالبة من البنات والسيدات أن يكشفن جوهر الرعاية للآخرين.



٣

تكوين العلاقات

أشعر أنه من الضروري، قبل أن نكمل حديثنا، أن نتطرق لبعض المصطلحات الأنثوية التي سوف نستخدمها في هذا الكتاب. فكلما زادت معرفتي بالنساء، أحببتهم أكثر. ولكن عندما قمت بالبحث عن هذه التعريفات، وجدت أن الوصف ليس كافياً ولا يفي المرأة حقها؛ فعلى سبيل المثال وجدت من بين التعريفات المذكورة لكلمة «أم» أنها «مادة لزجة مكونة من خلايا تخمرية وبكتيريا توجد على سطح السوائل المتخمرة وتضاف إلى النبيذ أو العصائر لبدء عملية إنتاج الخل». هل لكم أن تتخيلوا ذلك؟ إنه تعريف جيد ولكنه يفتقر إلى القيمة. وفي المقابل عُرِّفت كلمة «أب» بمصطلحات وصفات متعددة وذات قيمة كبيرة.

ولسد هذه الثغرة، قمت بتسجيل وتدوين بعض التعريفات الخاصة بي لتكميل الوصف ولمساعدتي على شرح أفكاري. دعونا نلقي نظرة سريعة:

ابنة (اسم): نسل أنثوي؛ بنت أو امرأة أو أنثى حيوان تحمل الصفات الوراثية لوالديها والمصطلح الذكري المقابل لها هو ابن. ويستخدم الاسم بوجه عام ليصف العلاقة بين المجموعات أو العناصر.

والآن إليكم ما قمت بإضافته على التعريف السابق: الابنة هي مسرة والدها وكنز أمها لأنها تحرك أوتار القلب. هي الوريثة التي طال انتظارهم لها وهي أملهم في المستقبل. وككيان يحمل في داخله الحياة الكامنة، هي كنز إنساني مخلوق بواسطة الله ليتوج به خليفته ويكملها.

هي الوريثة التي طال انتظارهم لها وهي أملهم في المستقبل.

الابنة هي الاسم المؤنث الذي يجسد الحب والجمال والأمل والحنان. الابنة هي ابتسامات وأحضان وضحكات. هي باحثة عن الحق. تطرح الكثير من الأسئلة وتشتاق لأن تعرف من تكون. هي الصديقة والعزاء لك في أيام الكبر. إنها مثل لؤلؤة كثيرة الثمن.

أم (اسم): المرأة التي ولدت طفلاً (ويستخدم أيضاً كاسم للإشارة إلى الوالدة) «أم لثلاثة أبناء. هو مصطلح يطلق على المرأة المتقدمة في السن. أو امرأة وُلد منها أبناء»^٢.

بالإضافة إلى ذلك التعريف التقليدي وجدت أن الأم هي كل من وضعت حياتها لكي تهب حياة شخص آخر -سواء كان ذلك بالولادة الطبيعية أو بالتبني أو بإنقاذ شخص. وجدت أيضاً أن الأم هي المدافع عن الأولاد. هي أيضاً من يغير ويحمي ويرعى ويشفي المرضى. هي من تهب استجابة لصرخة طفلها في الليل. تصبح بارعة في القيام بأمر كثيرة في وقت واحد. الأم هي من تطعم وهي من تملأ الحياة بالدفء والجمال. هي من تمسح الدموع وتهدي المخاوف وتداوي الجروح. هي المعلم والموجه. هي الصديق موضع الثقة. من يقدم النصيحة سواء طلب منها ذلك أم لا. إنها صاحبة الإجابة على الأسئلة. وهي من تخبرك بمن تكون فنجدها تردد العبارة التالية: «لأني أمك .. هذا هو السبب!» وتشبه الأم البطانة الداخلية للصدفة ويطلق عليها أم اللألي أو عرق اللؤلؤ (وسوف نتحدث عن ذلك لاحقاً).

الجدة (اسم): هي أم والدك أو والدتك.

بالإضافة إلى ذلك وجدت أن الجدة هي هذه الإنسنة التي تعرف وتلك التي تحب. إنها صاحبة الإجابة على كل سؤال. على وجهها ابتسامة رقيقة ولا أحد يجيد فن الاحتضان مثلها. هي كاتمة الأسرار والشخص الذي يدافع عن الأم والابنة معاً. تقدم الهدايا العملية والترفيهية أيضاً. إنها حامية وجهات النظر والأسرار. تسمع وتصلي لأجل أبنائها القريبين والبعيدون. لديها ذاكرة تحتفظ بأفضل الذكريات وتقدم النصيحة إن طلبتها. الجدة

لم تعد تسأل من تكون لأنها اكتشفت بالفعل الغرض من وجودها. وتشبه الجدة القشيرة الخارجية للحيوان الرخوي. تلك القشيرة التي تحيط وتحمي كل ما هو ثمين في الداخل.

الجدة لم تعد تسأل من تكون لأنها اكتشفت بالفعل الغرض من وجودها.

كل تلك التعريفات التي رسمتها أمامكم. إنما هي انعكاس للجوهر النسائي في أفضل حالاته. والآن وبعد أن صعبت وعقدت الأمور. دعوني أشرحها وأبسطها لكم. تكبر البنات وتبدأ رحلة البحث عن أمور مثل الترابط والعلاقات والحب واليقين. يبحثن عن إجابة لتساؤلاتهن وكثيرًا ما يرددن السؤال «لماذا؟» وتكبر الأمهات وتصير لديهن الإجابة وكل ما يلزم لتسديد الاحتياجات ومنح الحب وتوقع الطاعة. هن أيضًا مشغولات وعادة ما تتردد كلمة «لأن...» على ألسنتهن.

الأمهات يقدمن حياتهن لكي يمنحن حياة لشخص آخر.

وتكبر الجدة في العمر وتصبح تجسديًا لحب الأم وللإجابات المتعلقة بالحياة ولكنها أيضًا تراقب وتنتظر وتطالب بالأحضان والقبولات. تردد وهي تربت على كتفك عبارة «دع الأمور تمر. الموضوع ليس على هذا القدر من الأهمية».

ربما لم يختبر معظمنا هذه المعاني الأنثوية في أصدق وأنبل صورها ومعانيها. لكن هناك بعض البنات والأمهات والجيدات المستعدات للارتباط بكم وتكوين علاقة معكم. لذلك دعوني أفتح أمام عيونكم طاقة يمكنكم أن تروا من خلالها كيف يبدو هذا الأمر.

ما هو شكل هذا الترابط أو هذه العلاقة؟

كنت أقوم بتوقيع بعض الكتب أثناء مؤتمر كان موضوعه «حاربي كفتاة». اصطففت الفتيات والسيدات في طابور طويل داخل قاعة الفندق

التي امتلأت بالقبلات والأحضان. وبينما كنت أحتضن إحدى السيدات لحث بعيني شذابة شقراء واقفة في الطابور أمامي. أدركت على الفور أنها مختلفة واسترجعت في ذاكرتي موقف مشابه. وشعرت بأني أعرفها لأن روحي تنبهت في داخلي.

خيرت وكنت على وشك أن أسألها إن كنا قد تقابلنا في وقت سابق ولكنني لاحظت أن شفيتها ترتعشان والدموع تملأ عينيها. عندئذ عرفت ما هي على وشك أن تقوله حتى قبل أن تهمس به في أذني قائلة: «لقد كنت أمًا بالنسبة لي بالرغم من أننا لم نلتق أبدًا... ولكن كيف لك أن تعرفي ذلك...» بدأ صوتها يخبو. فاقتربت منها وأخذتها في حضني. أنا أعرف تمامًا.

انحنيت وهيمت في أذني قائلة: «لقد كنتِ أمًا بالنسبة لي بالرغم من أننا لم نلتق أبدًا».

كنت أعرف تمامًا ما تشعر به في تلك اللحظة. لم تكن بحاجة لقول المزيد. أخذتها بين ذراعيّ بينما كانت تبكي وتلاشت أصوات الصخب من حولنا. وبعد أن قمت بتوقيع نسختها من الكتاب أعطيتها عنوان البريد الإلكتروني المباشر الخاص بي. «هذا العنوان لك أنت فقط.. رسالتك ستصل مباشرة إليّ. ولن يقرأ الرسالة شخص سواي».

مسحت دموعها وأومات برأسها بعد أن تعانقنا مرة أخرى. كان هناك صف طويل من السيدات ينتظرن توقيع نسخهن من الكتاب. كان عليّ متابعة العمل. ولكن شعرت أن شيئًا قد حدث أثناء هذا اللقاء؛ وكان رابطته قد نشأت من كلا الجنابين. بالنسبة لي أدركت أن ابنة جديدة اخترقت قلبي. استيقظت في اليوم التالي وملامح وجهها في مخيلتي. وحتى في هذه اللحظة أستطيع رؤيتها... شذابة جميلة وخائفة.

كنت واثقة من أنها ستكتب لي وعندما فعلت كان لا بد لي أن أكون هناك لأجلها. لم يمض وقت طويل قبل أن تراسلني. كانت كلماتها يملأها الخجل والخصوصية في نفس الوقت. كانت تخشى ألا أتذكرها ولكنني بالطبع تذكرتها. طرحت أسئلة كانت في حاجة لأن تعرف إجاباتها وكانت تحتاج إلى مشورة صادقة من شخص تشعر تجاهه بالأمان لأن والدتها لم تكن في حالة تسمح لها بالإجابة على أسئلتها الملحة.

أجبت على أسئلتها بأفضل ما لدي من معرفة ولم أستخف بكلماتها لأنني كنت مُدركة أنها تأخذ كلماتي على محمل الجدية أيضًا. كانت تسترجع ذكريات مظلمة ومخيفة وكان لي امتياز أن أمسك بيدها وهي تعبر هذه الفترة حتى وصلت إلى بر الأمان. كانت تشك في نفسها وفي تمييزها للأمور. في دوافعها والقيم التي تؤمن بها. كانت تتساءل إن كان بوسعها أن تكون زوجة وأم، وما هي خطة الله لحياتها. والحقيقة هي أنني لم أخبرها بأمر لم تكن تعرفها من قبل. كانت تعرف كل هذه الأشياء. كل ما فعلته هو أنني أعرتها قوتي حتى تؤمن وتعي وتثق في تلك الأشياء التي سبق وعرفتها وأدركت حقيقتها داخل أعماقها. كانت تقوم بالدور الذي يجب أن تقوم به كل ابنة... كانت تبحث عن الإجابات. البنات سيسألن أسئلة. فإن لم تُطرح هذه الأسئلة وإن لم تُعط لها إجابات فلن يكون هناك نمو وستضيع وجهات النظر الصحية. لذلك فإن دور الأم هو الإجابة على الأسئلة أو البحث عن تلك الإجابات. فالبنات يجعلن الأمهات أكثر واقعية وأكثر قربًا من الحقيقة فقط إن سمحنا لهن بذلك.

كل ما فعلته هو أنني أعرتها قوتي حتى تؤمن وتعي وتثق في تلك الأشياء التي سبق وعرفتها وأدركت حقيقتها داخل أعماقها.

كأم لأربعة بنين. أعلم أن البنات كنز لن أتمكن من الاستمتاع به لفترة طويلة. لم يكن مقدراً لي أن أقوم بتربية إحدى هؤلاء الأميرات من البداية للنهاية ولكن هذا لا يعني ألا أكون أمينة تجاه من يرسلهم الله في طريقي من وقت لآخر. يتطلب الأمر أمهات كثيرات (وأيضاً آباء) لتنشئة بنات أصحاء وناجحات في هذا الجيل كما يتطلب آباء كثيرين (وأيضاً أمهات) لتنشئة بنين يعيشون على أرضنا. قد يكون موسم رعايتهم قصير. لذلك يجب أن تكون الرعاية مكثفة ومركزة إن أردنا لهذا الجيل الواعد أن يحقق الخطة التي رسمها له الله ونسجها داخل أرواحهم.

وضع الله في حياتي خلال السنوات، الكثير من الفتيات الشابات. كم أحببت تشجيعهن وحثهن لطلب الإله الحي وتحقيق خطته الرائعة لحياتهن. البعض منهن يطرحن أسئلة حول مهارات التأليف ومن أين يبدأن، والبعض الآخر يريدن أن يعرفن آرائي حول موضوعات مختلفة. كل ذلك رائع وجميل ولكن الابنة تبدو مختلفة عندما تنظر إليها. فهي لا

تبحث عن قائمة طويلة من الأشياء التي يجب عملها أو تلك التي يجب الامتناع عنها. الابنة لا تبحث عن طرق ووسائل لإنجاح الخدمة لأن المرء يستطيع قراءة الكثير من الكتب لتعلم تلك المهارات. الأمر يختلف؛ فالابنة تريد أن تعرف ما هو أكثر من ذلك. تريد أن تعرف إن كنت أوّمن أن لديها القلب والروح اللازمان لإنجاح العمل؛ تريد أمّا تؤمن بها. تريد أن تعرف إن كنت سأتعرف عليها عندما يضعها الله في طريقي أم لا. الابنة حتاج أن تعرف أنها أكثر أهمية بالنسبة لك مما تبدو عليه لأي إنسان آخر.

يتكرر حدوث هذا الأمر عندما أقف لأحاضر أمام حشد كبير من مئات البشر. فمن بين كل تلك الوجوه أرى نظري وقد تركز على عدد قليل منهن. ربما كنّ نساء من عمري أو حتى أكبر مني سنًا. وربما كنّ شبّابات أصغر عمراً.

فمن بين كل هذا العدد من الحاضرات تنشأ رابطة حميمة مع هؤلاء فقط. أنظر إلى الحاضرات وأرى جوع في عيونهن وفي بعض الأحيان دموع وفي معظم الأحيان تعكس ملامح وجوههن استيعابهن لما أقوله وأشعر بأني أعبر عما في داخلهن وأنفوه بأشواق للوبهن. وفي كل مرة وبدون استثناء أجد أن هؤلاء السيدات هن من يتقدمن نحوي فأنظر إليهن وأخبرهن قائلة «لقد رأيتكن. لقد كنتن هنا معي... الله يتحدث إليكن».

وفي معظم الأحيان أجدهن يومئذ والدموع في عيونهن. يأخذني بالأحضان ويخبرني بما حدث معهن.

من المهم أن يعلمن أنني رأيتهن وما أكثر المرات التي شعرت فيها برغبة لكي أهمس بصلوات من أجلهن هناك وعندئذ.

لا أدري كيف أشرح لكم الأمر. ولكن بطريقة ما. أشعر أن هناك شيئاً مشتركاً بيننا في حمض الـ دي. أن. أيه. الروحي. أتقابل مع شابة وأشعر بأني أعرفها وعندما أسألها إن كنا تقابلنا تخبرني أنها قرأت كتبي. لكن الأمر لا يتعلق بي أو بك، وإنما بالبذرة السماوية التي زرعت في حياة هؤلاء النساء والتي يجب علينا كجدات أو أمهات أو أخوات أو بنات في بيت الله أن نباركها ونفرح بها.

لكن بطريقة ما أشعر أن هناك شيئاً مشتركاً بيننا في حمض الـ دي. أوت. أليه. للروحي.

نحتاج أن نطلق تلك البركة حتى وإن لم تُتَح لنا الفرصة لرؤية هذه البذور تنمو في حياتهم. إنها علاقة أساسها الله. قد تستمر للحظات قليلة وقد تمتد لموسم كامل مدته شهور أو سنين. تُرفع الصلوات، وتُقبل الكلمات في القلب، تُستقبل الأحضان ومُنح الشجاعة، وتُطلق البركة وقبل أن نعرف ما يحدث نشعر بوجود صلة قرابة بيننا - رابطة سماوية قد تشكلت.

هناك صلة قرابة

«لأن من يصنع مشيئة أبي الذي في السماوات هو أخي وأختي وأمي» (متى ١٢: ٥٠)

إن كل من يصنع مشيئة الله هو قريب يسوع. أليس ذلك رائعًا؟ ولكن الوعد لا يتوقف عند هذا الحد. فنحن لسنا ذوي قرابة للرب يسوع وحده وإنما ذوي قرابة لكل من يفعل مشيئة الله أيضًا. وعندما يربط الله البشر ببعض، إنما يفعل ذلك بهدف تعضيدهم بقوة شخصية أكبر ونمو روحي وأهداف للملكوت. لا يوجد سبب يدعو أي شخص أن يظل وحيدًا في عزلة عن الآخرين.

ولكن كيف نكوّن هذه الروابط أو العلاقات؟ ابحث عن مشيئة الله لحياتك ثم افعّلها وعشها وفي تلك الأثناء، ستتعرف على آخرين تشعر بالقرب والألفة معهم. فمن الطبيعي أن يتقارب ويتواصل الأشخاص الذين لديهم اهتمامات وأهداف متشابهة.

عندما يربط (الله) البشر ببعض، (إنما يفعل ذلك) بهدف تعضيدهم بقوة شخصية أكبر ونمو روحي وأهداف للملكوت.

والحقيقة هي أن حالنا سيكون أفضل بكثير إن كانت لنا علاقات صحية مع آخرين ولسنا بمعزل عنهم. وبغض النظر عن الكيفية التي تنشأ من خلالها تلك العلاقات (سواء كانت وجهًا لوجه أو من خلال الإعلام أو الكتب، إلخ) أو طبيعة هذه العلاقة (علاقة الأم بابنتها أو الجدة بأحفادها أو الأخت بأختها، إلخ) فإن ما يحدث يجعلك تدرك أنك مرتبط بهذا الشخص بالفعل.

يا له من شعور رائع ذلك الذي تشعر به عندما تكتشف أنك تنتمي إلى عائلة روحية مثل هذه. ويا لها من قوة تلك التي نختبرها عندما ندرك أننا مترابطون ومتصلون بعائلة الله على الأرض. فنحن لم نخلق لنعيش الحياة بمفردنا بل لنكون جزءاً من عائلة.

لأبر من تكوين رابطة) تصلنا بعضنا ببعض وتربطنا بالعرض (الإلهي) الذي
أوجدنا من أجله.

سنشعر برابطة وثيقة مع البعض. تشبه تلك التي بين الأخوات ومع البعض الآخر برابطة أكثر قرباً ودفناً مثل تلك التي بين الأم وابنتها. ومع آخرين ستكون مثل علاقة أولاد العم أو الخالة. ولكن الأخبار السارة هي أنه لا بد من تكوين رابطة تصلنا بعضنا ببعض وتربطنا بالعرض الإلهي الذي أوجدنا من أجله.

بعض من علاقاتي السماوية

لقد تعلمت أنه ليس بوسع الإنسان أن يفرض على الآخرين مثل هذه العلاقات. ولكن لا تدع هذا يحبط من عزمك لأنه من الطبيعي أن يرتبط الأشخاص الذين على صلة قرابة بعضهم مع بعض. أتذكر عندما تقابلت مع صديقتي "كرستين" أني أحببتها على الفور. وكأنها الأخت التي افتقدتها لزمناً طويلاً ليس فقط لأنها مرحلة؛ فلقد حصلت كل منا على الأخرى في لحظات قليلة. دار الحوار بيننا بكل سلاسة. وعلت الضحكات بكل تلقائية ولم تكن في حاجة لشرح أو تفسير ما نر به لأننا كنا نفهمه جيداً.

لقد فتحت قلبي لكرستين بسبب صديقة مشتركة لنا اسمها "ليا" سبق وأخبرتني بوجود هذه العلاقات الإلهية. كانت تعرف كل منا على حده ورأت في كل منا رغبة ودوافع مشتركة قبل أن تلتقي كل منا بالأخرى. وعندما تقابلنا، شعرنا بأن كل منا مناسبة للأخرى.

وتعتبر "جاكي" رفيقتي في السفر مثال آخر لهذه العلاقة. رأيتها أول مرة عندما كانت متدربة في الكنيسة التي نذهب إليها. في كل مرة كان فريقها يسافر للخدمة. كنت أسجل تاريخ الرحلة لكي أصلي من أجلها.

وعندما حدثت إلى فريق المتدربين لأول مرة، شعرت هي الأخرى بهذه الرابطة بيننا. بدأت في العمل كمتطوعة في مكتبنا وكانت تقرأ كتبي بشغف شديد. وفي يوم من الأيام، جاءت إلي وأخبرتني أن الله وضع على قلبها أن تعمل معي وفي الحال قمت بتعيينها.

عندما عاد "جون" إلى المنزل، أخبرته بأني قمت بتعيين مساعدة لي. كان جون يحاول إقناعي بتعيين مساعدة منذ وقت طويل. سألني عن المؤهلات التي تمتلكها فوجدت أنني لا أعرف الكثير عنها سوى أنها تعرف قلبي وأنها محل ثقتي. سافرت معي لأكثر من أربع سنوات وعندما يحين الوقت، سأجدها خلق بجناحيها عاليًا في السماء.

من الطبيعي أن يشعر أبناء الله بهذه الرابطة الحميمة أكثر من الأقران بالجسد.

من الطبيعي أن يشعر أبناء الله بهذه الرابطة الحميمة أكثر من الأقران بالجسد. ففي كثير من الأحيان أجد صعوبة شديدة في شرح السبب الذي لأجله أفعل ما أفعله. لأنهم لا يستوعبون السبب دائمًا. أنا متأكدة من أنك تشاركني نفس الخبرة مع بعض من أقاربك. ولكن وعلى النقيض، أستطيع أن أحدث مع أشخاص غرباء أتقابل معهم لأول مرة على متن الطائرة فأجدهم ينهارون ويبكون. فما إذاً معنى أن نكون أقارب أو مترابطين بعضنا مع بعض؟

يرتبط (فعل): ١ أن يكون على علاقة ذات معنى مع شخص أو على صلة بشيء. ٢ الربط بين شخصين أو أكثر... وفقًا لاتفاق في الأفكار.. أو وجود تشابه في وجهات النظر والاهتمامات. ٣ يروي قصة أو يصف حدث^٤

يعتبر التعريف الأخير هو المفضل لدي: يروي قصة أو يصف حدث. أليس ذلك جميلًا؟ هل يمكن أن يكون السبب في تكوين هذه العلاقات هو أن كل منا يجب أن يلعب دورًا في قصة حياة بعضنا البعض؟ في الحقيقة أنا لا أشك البتة في أن ذلك هو السبب الذي يجعل هذه الديناميكية في تفاعل مستمر.

الأم والجدة

حدثنا سلفاً عن الابنة، والآن فلنتحدث عن الأم والجدة. فبالرغم من كوني أم، إلا أنني أرتبط بالكثيرات من الأمهات والجيدات الأخريات، البعض منهن لم أتقابل معهن وجهاً لوجه. هن سيدات قمن برواية قصتهن بأن عشن حياتهن علانية وشاركنها دولياً حتى وصل جزء منها إليّ سواء في صورة كلمات أو أفعال كان من شأنها أن توقظ القصة المكتوبة في داخلي. البعض منهن كانت نموذجاً للقوة التي كانت تنقصني والتي كنت أحتاج إليها. قد لا نتقابل مع الشخصية وجهاً لوجه ولكن قد تشعل قصة حياتها شرارة في داخلنا.

تعلمك الأم أن تضحك على نفسك. والسبب في ذلك أن الأولاد يجدون أنه من الأسهل أن يرتكبون الأخطاء في وجود الأم عنها في وجود الأب. كل ما يحتاج إليه الأبناء هو أن يشعروا أنهم محبوبون وقضية الحب لجدها مستقرة ومركزة لدى الأم.

أمهات تعرفت عليهن

هناك أمهات أخريات قمن برعايتي وتقابلت معهن بالفعل، أولهن كانت سيدة ذات شعر أحمر، قليلة الحجم تدعى "دايزي أوسبورن". كانت المرة الأولى التي أستمع إليها. شعرت أنها تأسرنني وتخيفني في نفس الوقت. كانت مختلفة عن باقي السيدات المسيحيات اللاتي استمعت إليهن من قبل. فبينما كانت السيدات الأخريات في المؤتمر يتحدثن عن ارتداء الألوان التي تتناسب مع الموضة وفصول السنة وزينة الكريسماس، كانت هذه السيدة تتحدث عن إقامة الموتى واسترداد كرامة المرأة. كان الكون الواسع منزلاً لها. كما شملت نظرتها للجمال أكثر مما كنت أحلم أن أنظر إليه. لا أزال أذكر بكل وضوح الكلمات والنص الذي اقتبسته مساء ذلك السبت في أحد فنادق "دالاس". كانت تعيش قصص الكتاب المقدس التي كنت أقرأ عنها على صفحات كتاب مكتوب بالأبيض والأسود. تحدث بحماسها وكلماتها حياتي وأيقظت إمكانات في داخلي. وفي ركن الغرفة، حيث كنت أجلس، شعرت بجوع ورغبة عارمة في أعماقي وفجأة زادت قدرتي على الإيمان بالله. كنت وقتها شابة لم أتزوج بعد في الحادية

والعشرين من عمري وكنت معتادة على مغادرة المكان فور انتهاء المحاضرة. ولكن بعد أن انتهت دايزي من مخاطبة المجموعة الراقية من سيدات دالاس. وجدت نفسي أتلكأ قليلاً وأقترب من الطاولة التي كانت تجلس إليها. بالطبع تستطيعوا أن تتخيلوا كم كانت محاطة بمجموعة كبيرة من السيدات اللاتي تفاعلمن مع كلامها. لم أتوقع أن أحدث إليها... ماذا عساي أن أقول... أهلاً؟

كانت تعيش تخلص للكتاب (المقدس) التي كنت أقرأ عنها على صفحات كتاب مكتوب بالأبيض والأسود.

كنت منجذبة إليها وبمرور الوقت قل عدد المتجمهرين حولها. فاقتربت إليها وعندنا رأيت الجاكيث الأبيض الخاص بها والذي تركته على الكرسي (عجيب أن يتذكر المرء مثل هذه التفاصيل). قلت لنفسي «حتى إن لم تسنح لي الفرصة بالتواصل الشخصي معها. ربما أستطيع أن ألمس شيئاً يخصها. لا أعلم ماذا كنت أتوقع أن يحدث. ولكني أتذكر أنني بالفعل لمست الجاكيث. حاولت أن أبدو طبيعية ولكني كنت أسعى لما هو ليس طبيعياً. وعندما مرت السنوات، كنت قد قرأت كل كتاب ألفته دايزي. كنت وقتها قد تزوجت جون. بعدها أتحت لي الفرصة لأن أقضي الوقت مع دايزي. اختلف اللقاء عن ذلك الذي حدث مع الابنة التي ذكرتها في بداية هذا الفصل. لقد تعرفت عليّ. شيء ما في داخلها كان يعرفني. ربما كانت حادثة الجاكيث السخيفة، أو ربما لأنني كنت أعرف ما في قلبها وكنت أقدر الحق الذي سجلته في مؤلفاتها. سواء هذا أو تلك، كنا مترابطتين. لقد قرأت كلماتها وعرفت آمالها ومخاوفها ولاحظت أنها عندما كانت في مثل عمري، لم تكن مختلفة كثيراً عني.

في كل مرة كنت ألتقي فيها بدايزي كانت تشجع وترعى المواهب التي أودعها الله في حياتي. في كل مرة كنت أتقابل معها. كانت تغمرني بكلمات التأييد والحكمة التي كانت تسقط مثل اللؤلؤ والجواهر في أعماقي. كانت تقدم لي الدروس التي تعلمتها في أوقات الشدة والضيق بكل أمانة وبدون مقابل ... كانت بمثابة كنز بالنسبة لي. من بين العبارات التي أثرت في حياتي بشدة كانت «ليكن الماضي معلماً لك ومستقبلك صديقاً». ومن أعظم العطايا التي أهدتني إياها كان إيمانها بدعوة الله

لحياتي. لقد اختارت أن ترى شيئاً في داخلي لم يسبق أن رآه الآخرون. لقد أحببني بشكل جيد.

من أعظم العطايا التي أهدرتني إياها كانت إيمانها برعوة الله لحياتي.

كان شوق قلب دايزي اوسبورن أن ترى كل ابنة للعلي حرة ومؤهلة لإتمام إرسالية الله لحياتها. وقبل أن تموت كانت قد لمست حياة كثيرين من كل أنحاء العالم أثناء كرازتها بقوة إنجيل السماء. لقد شهدت حول العالم الموتى يقومون والعمي يبصرون والبرص يبرأون. والشحاذون العرج يمشون. كانت تنطق بكلمات تمتلئ بالحياة والقوة وكانت ترى المأسورين بأرواح شريرة يتحررون. ومع ذلك كان لديها وقت لتصرفه في تشجيعي. ربما رأيت في ملامحي التي يعلوها الخوف والحجل. ابنة لها في المستقبل.

آخرون تركوا آثارهم في حياتي أيضاً. أتذكر حادثة مضحكة بعض الشيء. كنت أحضر أحد مؤتمرات «المسيح للأُم» وكنت أُلحظت لمجموعة من السيدات هناك وكانت "جوي دوسون" تلقي محاضراتها في المساء متحدثت عن مخافة الرب. كنت أجلس في الصف الثاني وأستمع لما تقول. كنت أكنّ كل مشاعر الاحترام لهذه المتكلمة الرائدة التي تنطق بالحق. لم يسبق لي أن قابلتها من قبل ولكنني سمعتها أثناء بعض المقابلات في برامج مختلفة. وبعد أن انتهت من تقديم رسالتها الدقيقة والدسمة. قامت بامتحاننا ببعض الأسئلة التي كانت تطرحها من على المنبر وكنا نسجل إجاباتنا ونحن جالسون في مقاعدنا.

اجتهدت لحل الأسئلة وكنت أنظر إليها بمجرد أن أنتهي من الإجابة. وفي واحدة من هذه اللحظات، نظرت إليّ وأشارت بيدها. نظرت حولي. لم يكن هناك من يجلس عن يميني أو يساري ولم يكن هناك من يجلس خلفي مباشرة. لذلك اعتقدت أنها تشير إليّ. فأشرت إليها أنا أيضاً ولكن ببعض من التردد.

استمر الامتحان وعندما نظرت لها ثانية وجدت جوي تتمتم بشفتيها كلمات «أحبك». تفاجأت مرة أخرى ونظرت حولي ولم يكن من بين الحاضرين من يستقبل هذه المشاعر. فرددت بشفتي قائلة «وأنا أيضاً».

ماذا يحدث؟ هل تعرفني بطريقة ما؟ هل قرأت لي كتاباً أو رأيتني على شاشة التليفزيون؟ تفاجأت من هذه المشاعر الجياشة الصادرة من تلك

المرأة العظيمة. عندما انتهى الفصل. اقتربت منها وعندما كنت أمامها تقريباً. لم تتعرف عليّ. وفجأةً علا وجه جوي ابتسامة كبيرة عندما اقتربت منها فتاة شابة. كانت تجلس ورائي بعدة صفوف.

كانت تلك الفتاة هي المقصودة بمشاعر جوي على طول الخط. حسناً. شعرت بمدى سخاقتي. فقد كنت على وشك أن أحتضنها... لو كنت فعلت لشعرت هي أيضاً بالإحراج. ذهبت إلى غرفتي وضحكت على نفسي. هل كنت في حاجة ماسة إلى عمل علاقة مع أم لدرجة أنني استقبلت ما أرسل إلى آخرين؟ يا له من أمر محرج!

بعدها بعدة سنوات. أتحت لي الفرصة لقضاء يوم كامل مع جوي دوسون لم تبخل فيه عن سكب قلبها وكل ما تعرفه لعدد من الحاضرين الذين التفوا من حولها. كانت كريمة جداً حتى أنها قضت اليوم بأكمله معنا. وعندما سألتها إن كان من الممكن أن نلتقي مجدداً. سألت الرب أولاً في الصلاة قبل أن تعطينا الإجابة وعندما أعطاه الله الضوء الأخضر. سكت كل ما في قلبها لنا.

كانت صريحة للغاية وهادفة. جئنا بهدايا وتقدمات لنشكرها على وقتها وعملها في ملكوت الله. أما هي فصلت من أجل بركات الله لنا كأفراد نعيش في أوان خزفية على الأرض. حذرنا من الحماسة وطلبت منا أن نتصل بها إن كنا في احتياج لأي شيء.

كانت هناك علاقة يجب أن تتكون ... ولكنني كنت مرتبكة قليلاً بشأن الظرف ومنتسرة قليلاً بشأن التوقيت. ولكن لما كان الوقت مناسباً... أتحت الفرصة.

أمهات وبنات في احتياج شديد

أؤمن أن هناك احتياج شديد لتكوين علاقات صحية بين النساء من كل الأعمار. وهذا ما أراه في ازدياد شديد أينما سافرت. ما أكبر عدد هؤلاء التعيسات والمنعزلات. وهناك من تشتاق إلى تكوين مثل هذه العلاقات ولكنها لا تعرف إلى ذلك سبيلاً. قد يكون الأمر غريباً في البداية. ولكن يجب أن نبدأ من مكان ما. على الأمهات أن يبحثن عن البنات وعلى البنات أن يبحثن عن الأمهات. وعندما يتعرفن على بعضهن البعض. عليهن

انتهاز الفرصة لتكوين هذه الروابط الإلهية على كل المستويات مهما كانت الظروف.

لقد رأيت الله يستخدم إصبعي ليؤكد لسيدة كنت أمر بجوارها أنه معها كل الأيام. الأمر قد لا يتطلب منا أن نتكلم إليهم في كل مرة. ربما نظرة تكفي أو إشارة أو ابتسامة. كل إنسان منا يشترق أن يشعر الآخرون بوجوده. كلنا نحتاج إلى لمسة دافئة أو إلى القبول. وفي ضوء هذا الكلام أقول إن بيت الله هو المكان الذي يجب أن يشعر فيه الجميع بالدفء والأمان. ولكن لا يجب أن تقتصر رعايتنا على المجتمع المسيحي. نحتاج أن نذهب إلى الآخرين ونلمس حياتهم أينما ذهبنا.

هناك بنات كثيرات يبحثن وينتظرن. هن في حاجة لأن نلاحظ وجودهن أم في بيت الله. كم نحتاج إلى عدد كبير من هؤلاء الأمهات اللاتي يبحثن ويصلين من أجل إعلان لهؤلاء البنات. وعندما يجدوهن. يقومن باحتضانهن وتعليمهن وإرسالهن في طريقهن مسلحات ومؤهلات. الصلاة هي البداية وبعدها يجب أن نبدأ العمل.

« هكذا الإيمان أيضاً إن لم يكن له أعمال ميت في ذاته ». (يعقوب ٢: ١٧)

يجب أن نفعل شيئاً جازباً مع الاحتياج الذي نراه. قد نتقابل مع نساء في غنى عن الغذاء والملبس ولكنهن في احتياج شديد إلى الحق والقوة (لكن إن كان لهن احتياج جسدي. فيجب سد هذا الاحتياج أولاً). يجب أن نطعمهن المن والسلوى من كلمة الله الحية.

لكن لا يجب أن تقتصر رعايتنا على المجتمع المسيحي، نحتاج أن نذهب إلى الآخرين ونلمس حياتهم أينما ذهبنا.

والصلاة التشفعية لا تكفي إن لم نتعرف ونتجاوب مع احتياجات البنات اللاتي يضعهن الله في طريقنا كل يوم. وفي خدمتنا «ماسينجر انترناشونال» نقوم بتوفير بعض الموارد للسيدات حتى يتمكن من فتح قلوبهن وبيوتهن للبنات الجريحات من كل الأعمار. فإن قمت بإدخال الجرحوحين إلى عالم من الأمان والحميمية داخل بيتك. يستطيع الله أن يصنع عجائب

ويجري شفاء. تتوفر هذه الموارد الآن. لذلك أنت بلا عذر. ما أسهل عمل مشيئة الله في هذه الأيام.

في إمكانك أن تفتح أو تغلق قلوب كل من تقابلهم. فقط إن اخترت عن عمد أن تصنع روابط بينك وبينهم. تعتبر "أوبرا" من بين المحاورين الرائعين لأنها تتواصل بفاعلية على كل المستويات سواء مع الجمهور أو مع الضيوف. إنها تسعى عن قصد لتكوين روابط يدركها ويشعر بها كل من يشعر بالوحدة من الرجال والنساء. هدفها هو زيادة مستوى الوعي وتزويد الناس بالقوة والفاعلية ولكنها لا تترك الأمر عند هذا الحد بل تمكن الناس وحثهم على العمل باستخدام ما تعلموه.

إن كان هذا ما يحدث في الاستوديو أو على شاشات التلفزيون. أفلا يمكن أن يحدث أيضًا في بيوتنا؟ ولماذا لا يحدث في بيت الله أيضًا؟ هل لأن الناس يشعرون بالأمان أكثر وهم بمفردهم وعلى كراسيهم في منازلهم عنه وهم جالسون على المقاعد في الكنيسة؟ وماذا عن علاقات مثل تلك التي تنشأ في الأسواق. وفي المدارس. وحتى في بيوتنا؟

أم اللآلئ

لقد بدأت هذا الفصل ببعض التعريفات. والآن اسمحوا لي أن أختمه بقصة. منذ عدة سنوات سافرت إلى هاواي واستيقظت صباح يوم مطر ومليء بالغيوم وكلمة «أم اللآلئ» تتردد في ذهني. فلا أحد يستطيع أن يتجول في هاواي دون أن يرى محل لبيع اللآلئ ولكني لم أفكر من قبل في «أم اللآلئ» أو عرق اللؤلؤ. ذهبت في نزهة عبر الجزيرة وتوقفت عند محل مجوهرات وبسبب حالة الطقس. كان الحُل خاليًا من الزبائن. تحدثت مع الموظف الموجود هناك وعرفت منه معلومات فتحت عيني ومنحتني بعدًا جديدًا للأمومة وروعة مفهوم الرعاية.

ما أجمل اللؤلؤ الذي ينمو في مياه تاهيتي الصافية! هناك تتكاتف كل عناصر الطبيعة لكي تشهد ميلاد هذا الجمال. ومن الجدير بالذكر أن كل ما يتعلق باللؤلؤ يأتي في مصطلحات مؤنثة مثل «أم اللآلئ» أو «لؤلؤة» كاسم لفتاة. وتشبه القوقعة التي تستوطنها اللؤلؤة رحم الأم إلى حد كبير. يبدأ تكوين اللؤلؤة كرد فعل لدخول بذرة أو مثير داخل تخوم حيوان رخوي مثل المحار أو الحلزون. يبدأ الحيوان الرخوي في عزل المثير بتغطيته بطبقات

دائرية الواحدة تلو الأخرى من عرق اللؤلؤ أو «أم اللآلئ» وبهذا ومع مرور الوقت يتكون اللؤلؤ. تستمر هذه العملية طالما ظل الحيوان الرخوي على قيد الحياة.

أرأيتم؟ تتسبب البذرة أو المثير في إحداث جرح للحيوان الرخوي مثلما يتسبب الجنين في إحداث جروح لتثبيت نفسه داخل الرحم. فتكون نتيجة هذا الجرح أن يخرج للوجود شيء جديد ورائع يبدأ في النمو. وفي داخل رحم المرأة تتشكل حياة ويتفاعل الجسد على الفور بأن يخلق ظروف داخلية ترعى هذا النمو. في تلك الأثناء تُشفى أجزاء الرحم الداخلية من الجراح التي سببها الجنين المُحصب وتتصل البذرة بكل ما تحتاج إليه لكي تنمو وتزدهر.

فإذا نظرت إلى الجزء الداخلي من قوقعة الحلزون. ستري درجات الألوان الخاصة بـ «أم اللآلئ» وستكتشف درجات من الألوان تبدأ بالأسود وتنتهي بالأبيض الناصع بما في ذلك درجات اللون الرمادي والأخضر والوردي والأصفر. ومن الجدير بالذكر أن كل لؤلؤة لا تعكس كل هذه الألوان وإنما درجة لون واحد فقط بكل جماله ورونقه.

نعم تمتلك «أم اللآلئ» الكثير من الألوان ولكنها لا تنقل إلى ابنتها «اللؤلؤة» سوى درجات لون واحد في جمال لا مثيل له. تعكس كل لؤلؤة وجهًا واحدًا للأم بطريقة تشع جمالاً ورونقًا. تدلل الأم هذه الابنة في جو من الأمان داخل القوقعة وفي نفس الوقت تحيطها بطبقة بعد الأخرى من عرق اللؤلؤ حتى يحين الوقت الذي تخرج فيه الابنة من داخل القوقعة.

وهكذا ينمو الجنين الرائع الجمال داخل حدود الأمان في رحم الأم حتى يحين وقت الولادة. هناك من يقول إن الرحم هو أقوى عضو في جسم الإنسان. إلا أن هذه القوة تتولد إجبارًا حيث يتمدد الرحم لمدة تسعة أشهر يحمل في داخله تلك الحياة الجديدة ويقوم برعايتها ولكن عندما يحين الوقت المعين يبدأ في الانقباض بعنف على فترات تتقارب حتى يحين وقت خروج الطفل.

ويعكس رد فعل الحيوان الرخوي ذلك الرجاء أيضًا؛ فما كان مؤلمًا بالنسبة للأم يصبح جمالًا لا يقدر بثمن يكمن في تلك الابنة. لذلك دعونا نستمر في وضع طبقة بعد الأخرى من عرق اللؤلؤ بأن نتعلم ونتعامل مع أمور الحياة بطريقة جيدة.

فما كانت مؤمناً بالنسبة للأمم يصعب جمالاً لا يقرر بثمن يكمن في تلك الابنة.

هل يمكن أن يكون الحجر الكريم الذي زُينت به أساسات سور المدينة المذكور في (رؤيا ٢١: ٢١) هو إشارة لما ساهمت به النساء في أسباط إسرائيل الإثني عشر؟

« يشبه ملكوت السماوات إنساناً تاجرًا يطلب لآلئ حسنة، فلما وجد لؤلؤة واحدة كثيرة الثمن مضى وباع كل ما كان له واشتراها». (متى ١٣: ٤٥-٤٦)

في الفصل التالي سنتحدث عن شكل العلاقة بين الأخت وأختها.



ع

من أخت إلى أختها

أخت (اسم): ١ فتاة أو سيدة تشترك في بنوية نفس الأب والأم مع شخص آخر.
صديقة مقربة وبالأخص لامرأة أخرى. (صفة) تنتمي إلى أو على صلة وثيقة بشيء
ما.^١

تُرى، ماذا يقول الكتاب المقدس عن الأخت؟ لقد قمت بمسح لكلمة الله
ووجدت أن كلمة أخت ذُكرت ٣٥٧ مرة، منها مئة مرة للإشارة إلى الصداقة
أو الأخوة ومئة مرة فقط للإشارة إلى الأخوات الإناث. ومعظم المرات التي
وردت فيها هذه الكلمة كانت للإشارة إلى صلة القرابة بداية من «أليشباع
بنت عميناداب أخت نحشون...» وختامًا بـ «يسلم عليك أولاد أختك المختارة»
لم أجد في كل هذه الشواهد ما يُلهِم، وعندما قمت بمراجعتها، لم أجد
ذكر لامرأة استطاعت أن تتواصل أو ترتبط بعلاقة صحية مع امرأة أخرى.
ففي العهد الجديد نقرأ عن الأختين مريم ومرثا اللتان تذرمتا وتصارعتا حول
بعض المهام المنزلية في المطبخ أو لجذب اهتمام يسوع. وفي العهد القديم
نقرأ قصة ليئة وراحيل اللتان تزوجتا رجل واحد... وهو ما لا أسميه بعلاقة
فعالة ومؤثرة.

لا يوجد أيضًا ذكر لوجود صداقة صحية بين امرأتين من نفس العمر. قد
تنساءلون «ولكن ماذا عن راعوث ونعمي أو مريم وأليصابات؟» لم تكن أي
منهن من نفس عمر الأخرى... كانت هناك امرأة كبيرة في العمر وأخرى
صغيرة. لا أريد أن يعتقد أي منكم أن عدم الإشارة لوجود صداقة بين امرأتين
في الكتاب المقدس يعني أن الله لا يهتم أو لا يقدر العلاقات، فما أكثر
الأمثلة الموجودة لعلاقة أو ارتباط حقيقي بين الرجال سواء كانوا على صلة

قربانة أم لا. لقد تكونت هذه العلاقات الأخوية في معظم الأحيان من خلال خبرات وأزمات مشتركة. وقد يبدو أن هناك علاقة أخوة ومحبة بين الرجال بينما لا توجد علاقة أخوة ومحبة يستحق ذكرها بين النساء. فنادرًا ما نجد امرأتين تتحدان معًا أو تنشأ بينهما علاقة صداقة حقيقية ذات معنى مع امرأة أخرى من نفس العمر. بل يكون العكس صحيحًا في معظم الأحيان. فالواحدة تغار من الأخرى سواء بسبب مركزها أو علاقاتها. وهذا نموذج من العلاقات لا أريد أن أحذو حذوه.

عندما اكتشفت كل ما سبق، كان عليّ أن أطرح السؤال: لماذا؟ هل كُتبت على النساء ألا يصبحن أصدقاء؟ لماذا لا نحتفل بعضنا ببعض؟ هل من الأفضل لنا أن نبقي في عزلة ووحدة. كل منا في بيتها الخاص؟ ألا يوجد لنا في بيت الله مكانًا على مائدته؟ أم هل نحن مدعوات للجلوس ولكن ليس للمشاركة الفعالة؟ أم أن هناك تواصل وديناميكية بين النساء - سواء كنّ على صلة قرابة أم لا - لا بد أن تُكتشف وتُفعل؟

لما كنت في حيرة من أمري، صرخت إلى الله، وإليكم إجابته: «لقد حان وقت كتابة الفصل بالبنات... لذلك اخبري كل بناتي أن يكتبن قصصهن بطريقة جيدة».

اخبري كل بناتي أن يكتبن قصصهن بطريقة جيدة.

وعندما فكرت في هذه الكلمات، تذكرت العدد الموجود في سفر الأعمال:

«الكلام الأول أنشأته.... عن جميع ما ابتدأ يسوع يفعله ويعلم به». (أعمال ١: ١)

لقد بدأ يسوع عملاً وأعطانا الامتياز أن نكملة بروحه. فهل تفهمين الغرض الذي وُلدت لأجله؟ نحن نعيش في زمن الاسترداد والشفاء كبنات للعلي. وكما يشكل الرجال خالفات في المعارك، هكذا يجب أن نتحد نحن أيضًا من أجل أغراض خاصة بنا. إنها ليست حركة تخص السيدات في الكنيسة فقط، إنما هي رابطة لكل امرأة أياً كانت وجهتها في الحياة.

ذهبت مؤخرًا مع جون لحضور مسابقة أقامتها مدرسة ابنا الثانوية. كانت غالبية الحضور من البنات في مقتبل العمر وكانت هناك عشر فرق متسابقة من بينهم فرقتين للبنات. كنت أراقب الفتيات وهن يشجعن

بكل حماس فرق الأولاد ونادراً ما كن يصفقن أو يشجعن فريق البنات. كان الفرق شديد الوضوح حتى أن زوجي التفت إليّ وسألني «لماذا لا يصفقن لبعضهن البعض؟»

قلت له هامسة: «هكذا هو الحال!»

يبدو أن زوجي لاحظ لأول مرة عدم تعضيد البنات لأفراد جنسهن. أما أنا فكانت أعرف وبعد انتهاء المسابقة، ذهبت مع جون لتهنئة الفتيات اللاتي اشتركن في المسابقة وعندما ذهبنا إليهن وجدناهن وقد جمعن معاً وبدا لي شعورهن بالخجل. أما الصبيان فكانوا على النقيض من ذلك يقومون بتهنئة بعضهم البعض ويتنافسون على لقب صاحب الفضل في هذا الانتصار. توجهت إلي واحدة من البنات ووضعت يدي على كتفها وقلت «أحسنت! كم كنت سعيدة وأنا أراكن تشاركين في المسابقة».

أيد جون تشجيعي لهن بقوله «لقد كنتن رائعات!»

نظرن إلينا وفي عيونهن نظرات شك «حقاً؟»

«بالطبع» أكدنا لهن الأمر ولكن لم يقتنعن بالمرة. لقد شعرن بأن جمهور الفتيات لم يقدم لهن الدعم الكافي فانسحبن من على خشبة المسرح بعد نهاية العرض الخاص بهن. في نفس الوقت كانت المجموعات الأخرى تحتفل بالنصر في صخب وبأصوات مرتفعة. بينما بدت الحيرة والضياع على وجوه البنات.

أيتها الأخوات، نحتاج أن نبدأ في التصفيق لبعضنا البعض. والأمهات يحتجن لأن يصفقن لبناتهن وللأمهات الأخريات. وعلى البنات أن يشجعن الأمهات وبعضهن البعض. وعلى الجميع أن يصفقن للجدات! فلماذا تمنع الدعم والتأييد عن بعضنا البعض؟ هل لأننا نشعر بالتهديد وعدم الأمان؟

أيتها الأخوات، نحتاج أن نبدأ في التصفيق لبعضنا البعض.

لن يأتي المسيح ثانية لأجل كنيسة ولا لأجل جيش من الجنود. بل سيأتي لأجل عروسه. نعم، هكذا يصف الكتاب المقدس العلاقة بين المسيح والكنيسة ككل وسيأتي لكي يستلمها نقية بلا عيب أو نقص لذلك نحتاج لأن نتأكد من خلوها من أي خدوش.

أعدوا العروس

لا شك أن كلمة "عروس" مصطلح مؤنث وهذا يعني أن النساء عليهن أن يبدأن العمل ويصبحن جزء من هذا الاستعداد. فهل توكل العروس مهمة تزيينها لرجل؟ لم يسمح في الكتاب المقدس لرجل سوى الخصي (من هو غير قادر على الإيجاب) أن يدخل إلى محارم النساء، أما مهمة تزيين العروس وتجميلها فكانت من اختصاص النساء. فالمرأة هي التي تقدم المشورة للعروس في همسات وبدموع وبضحكات وتطرح الأسئلة وتثير القضايا وتشارك بما في قلبها. المرأة هي التي كانت تقوم بالطقوس القديمة الخاصة بالاستحمام والتطهير. فالأخت هي من تقوم بترتيب شعر العروس ووضع مساحيق التجميل التي تضي رونقاً خاصاً على العروس. المرأة هي التي تنسق الورود وتنشر العطور وهي التي تقوم بترتيب حفلة ما قبل الزواج وتقدم الهدايا المختلفة حتى يمتلئ بيت العروس بالجمال والحب والضحكات. المرأة هي التي تشاركها بأصدق النصائح لكي تزيل مخاوفها وتشجعها. وفي مثل العذارى الحكيمات والجاهلات، استيقظت الحكيمات وملأن مصابيحهن زيتاً لكي يضيئن طريق العروس عندما دقت الأبواق إيذاناً بوصول العريس. المرأة هي التي تشارك العروس فرحها وأشواقها حتى يحين ميعاد الزفاف.

يا له من امتياز ومسؤولية في ذات الوقت ألت نحتفل بالعروس ونعمرها من أجل العريس للقادم.

وبعد الصليب، قامت مجموعة من النساء بغسل جسد الرب يسوع ومسحه ووضعه في الأكفان استعداداً لدفنه. من غيرهن كان من الممكن أن يوكل الرب يسوع إليه مثل هذه المهمة في ذلك الوقت شديد الحساسية؟ أستطيع أن أراهم وهم يتعاملون بمنتهى الرقة مع جسد يسوع بعد أن فارقت الحياة، ويغسلونه بالعطور والزيت والدموع. فهل سبق أن لمس التلاميذ جسد الرب يسوع بهذه الطريقة؟ وبنفس الطريقة ستقوم النساء مرة أخرى وبنفس المشاعر المتأججة بتجهيز العروس. ها هو آدم يضع حياته من جديد حتى يُخلق حواء. يا له من امتياز ومسؤولية في ذات الوقت أن نحتفل بالعروس ونعدها من أجل العريس القادم.

المرأة: حامية القلب

ما أروع الصورة النبوية المرسومة لما يجب أن يحدث، ولكن لكي نرى هذا الجمال مُعلنًا يجب أن تتغير العلاقات بين النساء تغييرًا جذريًا. فقط أريدكم أن تعلموا أن ما أعرفه عن هذا الموضوع هو جزء من كل. وما أتنبأ به هو جزء من كل، وعليّ أن أنتظر حتى يتحقق الكل. نعيش اليوم في زمن التدفق حيث يمتد جسد المسيح لكي يسد الثغرات الموجودة حاليًا، كما أننا نعيش في عالم لا يزال فيه صراع بين الأوضاع القائمة وتلك المفترض أن تكون، إلا أن الله يقوم بعمل هذه التعديلات مبتدئًا من الداخل إلى الخارج. ومَنْ أكفأ من النساء لهذه المهمة؟ أليس دورنا هو الإثمار وتهيئة المناخ لحياة جديدة أثناء عملية الحمل؟ وما هي الكنيسة حَمَل وتلد أمهات وبنات.

مرة أخرى ومنذ البداية، أعد الله للمرأة أن يكون لها تلامس خاص مع يسوع. لقد كنا هناك عندما أعلن الملاك خبر ميلاد عمانوئيل للعدراء. كنا هناك عندما دبت حياته في بطن العدراء مريم حتى ما تسري الحياة فينا في يوم من الأيام. فهل عرف الرجل يومًا معنى الحمل؟ لقد كنا هناك وقت آلام المخاض، كنا هناك لكي نُرضع ونرعى الطفل يسوع. لقد تعرفنا على المسيح وهو لا يزال طفلًا في الهيكل. كنا هناك نتمسحه برغم الإدانة والتدين بعطور غالية الثمن في غرفة يملأها الرجال. كنا هناك عند الصليب نراقبه وهو يتألم ويموت، كنا هناك عند القبر. وكنا أول من نشاهد قيامته بينما اختبأ تلاميذه من الرجال خوفًا.

كانت المرأة شريك حميم في خطة الله لفداء البشرية، وما قد حان الوقت لنكون شركاء أيضًا في مجيئه الثاني. يضع الرجال خططًا للحرب، أما النساء فينظمن الأعراس... كلا الأمرين موجود في الأفق. إنه وقت الاستعداد.

يضع الرجال خططًا للحرب، أما النساء فينظمن الأعراس.. كلا الأمرين موجود في الأفق.

قد يحكم الرجال أُمًّا وبمالك، أما المرأة فهي حامية القلوب (كما أني أؤمن أنها تستطيع أن تحكم أُمًّا أيضًا) ما أعظم معرفة القلوب! فهل استطاعت الحكومات أن تغير قلوب البشر؟ قد تتحكم في سلوك الناس

بفرض الرقابة على حرياتهم، ولكنها لا تستطيع -مهما كانت الفرائض- أن تأسر قلب إنسان. نعم، تقوم مالك وتسقط أم، أما القلب فيبقى إلى الأبد. الله وحدة يعرف ما في قلب الإنسان وهو وحده له السلطان أن يغيره.

فها (بترأه (الله) في قلوبنا سيتر ليشيل حياتنا ويملاً (أفواهنا ويعلمكم تصرفاتنا).

تتمتع المرأة بقدره هائلة على التواصل الحميم مع قلوب البشر للتأثير فيها سواء بطريقة إيجابية أو سلبية. فما ابتدأه الله في قلوبنا سيمتد ليشمل حياتنا ويملاً أفواهنا ويحكم تصرفاتنا وعندها ستؤثر أفعالنا على حياة الأفراد والجماعات ومن ثم الأمم والشعوب. فإن كان القلب صحيحاً، فسيؤثر دفاً مشاعره على كل من يتواصل معهم.

نحن في حاجة إلى الجنسين

هل أدركتم السبب الذي لأجله يحاول العدو أن يعزل المرأة ويسحقها ويجعلها تشعر بالخوف؟ إن صرنا مكسورين وبلا قوة، سيظل قلب العروس مكسوراً ولن يجذب جمالها آخرين إذا خبا هذا الضياء بداخلها. فالمدعوون إلى العرس لا يركزون أنظارهم على أنفسهم وإنما على ما ينتظرونه بفرح وشغف. دعونا نتأمل للحظات الأعداد النبوية التالية:

« هكذا قال الرب: سيُسمع بعد في هذا الموضع الذي تقولون إنه خرب بلا إنسان وبلا حيوان، في مدن يهوذا، وفي شوارع أورشليم الخربة بلا إنسان ولا ساكن ولا بهيمة، صوت الطرب وصوت الفرحة، صوت العريس وصوت العروس. صوت القائلين: احمدوا رب الجنود لأن الرب صالح لأن إلى الأبد رحمته». (إرميا ٣٣: ١٠-١١)

لقد خلق الله الرجل والمرأة لكي يفرحا ويضحكا معاً ولكي ترتفع أصوات البنين والبنات بفرح لا ينطق به وتسبيحات ولكي يملأ الكون بضحكاتهما. مثل هذه المشاعر لا يجب أن تختبئ، في الآيات السابقة يرسم لنا الكتاب المقدس صورة لرجل وامرأة يفرحان معاً ويعلنان رحمة الله التي لا نهاية لها ولكن يجب ألا يُحد

هذا الإعلان بجدران الكنيسة فقط. بل يجب أن يمتد ليصل إلى الشوارع ويسمعه الجميع. ما أجمل وأبهج أن يتحد صوت العريس مع العروس. البنين مع البنات لإعلان حب الله العجيب ورحمته الأبدية. لكن مع الأسف، فقد كثيرون براءتهم وبهجتهم فلم يقدرُوا أن يروا أو يختبروا رحمة الله.

وكما يحتاج الرجل إلى المرأة، هكذا يحتاج البنون والبنات أن يروا ملء صوة الله في الشكل الإنساني (تكوين ١: ٢٧). فالرجل يمثل القوة والمرأة تمثل القلب. وكما أن القوة بدون عاطفة تصبح قاسية، هكذا القلب بدون سلطان يصبح هش وضعيف.

كيف نكوّن علاقات ذات معنى؟

أيتها البنات الرائعات، إلى من نذهب عندما نئن قلوبنا في داخلنا، إلى من نتوجه عندما نشعر بالوحدة والعزلة؟ بالطبع، علينا أن نلتجئ أولاً إلى أبينا السماوي وهذا يعني أننا يجب أن نكون صادقين بشأن احتياجاتنا ورغباتنا في تكوين علاقات مع بنات أخريات يقيمهم الله من أجلنا. نحتاج أن نطلب منه أن يعلن لنا ماذا يجب أن يحدث حتى نتمتع بعلاقات صحيحة وهنا سوف يمتحن الله دوافعنا حتى نكون صادقين. أما هو فسيدعونا بأسمائنا ويرسلنا كل واحد وفقاً لنقاط القوة الخاصة به. عندئذ سنحتاج لأن نجتمع مع من لهم أفكار مشابهة؛ مع نساء نشترك معهن في نفس تردد الموجة حتى يكون لنا الفكر الصحيح وحتى يتحول تركيزنا من على ذاتنا فنمد يد العون لآخرين. أعلم أن الأمر سيكون صعباً ولكنه ضروري جداً. فلا غنى لنا عن الارتباط بسيدات وبنات أخريات أصحاء ومفعمات بالحياة والجمال والحرية وفي نفس الوقت التقوى ومحافة الرب.

أنا شخصياً على علاقة بمجموعة أعتبرها بمثابة كنز في حياتي. إلا أنني عضوة جديدة فيها لأنهم أصدقاء منذ أيام الجامعة أما أنا فقد دخلت تلك الدائرة مؤخراً فقط منذ عدة سنوات. ويا له من امتياز وبركة أن يقوموا بدعوتي إلى حياتهم.

سيرعوننا بأسمائنا ويرسلنا كل واحد وفقاً لنقاط القوة (الخاصة) به.

نحن مجموعة من ست سيدات وفي بعض الأحيان تنضم إلينا سابعة أو ثامنة. كل منا زوجة وأم (مجموع أولادنا هو ٢٨ ابن وابنة). كل منا امرأة لها خدمتها الفعالة مع زوجها. ثلاث منا رعاة. وإثنتان قادة إرساليات أما الأخيرة فتنادي بالحق وسط شباب بلادنا. عندما جتمع معاً، نتخلى عن الألقاب والوظائف التي نشغلها ونتذكر أن ذلك هو الوقت الذي جتمع فيه معاً كبنات لله.

نعيش في ثلاث ولايات مختلفة وواحدة منا تعيش خارج الولايات المتحدة ولكننا نجعل من اجتماعنا في بداية كل عام أولوية. جتمع يوم الأحد ونفترق يوم الثلاثاء وخلال هذا الوقت القصير نضحك معاً ونبكي معاً. نعترف لبعضنا البعض ونشجع بعضنا البعض. نلعب معاً ونصلي معاً. نناقش كل موضوع وأي موضوع في جو من الراحة وعدم الإدانة. وعندما يطرأ احتياج معين، نشترك معاً في حياة بعضنا البعض وفي بعض الأحيان نطلب مساعدة أزواجنا. عندما جتمع نشارك بنجاحاتنا وصراعاتنا خلال العام المنصرم. نطرح الأسئلة ونتشارك في الإجابات. قد لا تتفق على طول الخط ولكننا نحترم اختلاف الرأي ووجهات النظر. لقد استجاب الله لكل الصلوات التي رفعناها أمام عرش نعمته ونحن مجتمعين معاً نصلي لأجل بعضنا البعض.

نشترك جميعنا في هدف واحد وهو أن نعيش الحياة بطريقة صحيحة ونريد أن نفعل ذلك بالتفاعل مع نساء أخريات. فقد عشنا سنين طويلة رأينا فيها هؤلاء الذين بدأوا مسيرتهم بطريقة رائعة ولكنهم أنهوها بغباء شديد. من منا يريد ذلك؟ البعض منا يعظ بجرأة والبعض الآخر يتكلم بنعومة. بعضنا جاء من بيوت مثالية والآخر من بيوت محطمة. تتمتع كل منا بنقاط قوة متباينة ووجهات نظر خاصة. إلا أننا متصلات ببعضنا ببعض داخل هذه المجموعة.

تقابلت معهن لأول مرة في "دالاس" وشعرت وقتها بالتوتر لأنني لم أكن أعرف سوى واحدة منهن وكنت أتساءل: ماذا لو لم تقبلني الأخريات؟ ماذا لو لم أنسجم مع المجموعة؟ ماذا لو تسببت في تفریقهن؟ ما أكثر المرات التي كنت فيها مثل عيار غير موجه في التجمعات النسائية. كنت على وشك الاستسلام. إلا أن "كاتي"، وهي الصديقة التي فكرت في دعوتي للانضمام إلى المجموعة، كانت تتمتع بطيبة قلب ونعمة خاصة حتى أنني قلت لنفسني لو أن الأخريات مثلها، فلن تكون هناك مشكلة على الإطلاق.

جلسنا كل إلى مقعدها حول مائدة العشاء المستديرة. وبدأنا الحديث بالأشياء التي نريد تحقيقها من اجتماعنا معًا. شعرت بالقليل من عدم الراحة في البداية ولكن كان الأمر مهمًا. كان علينا أن نتعرف على بعضنا البعض وعلى السبب الذي جتمع لأجله. ولولا هذه المقدمة لما شعرت أي منا بالأمان والطمأنينة. لم تكتفِ أي منا بالمشاهدة أو الملاحظة. بل أبدت كل واحدة فينا اهتمامًا وأصغت جيدًا للأخريات. مرت بضع ساعات وبدأت الأضواء تخبو قليلاً وأضفت أضواء الشموع دفنًا علي وجوهنا.

طرحت أسئلة لم تمتلك أي منا الإجابة عليها. فاتفقنا أن نبحث عن الحق وأن نكون على دراية أكبر بالأمر عندما جتمع معًا في العام القادم. تعهدنا برعاية البنات والشابات. فهل سنبدل الجهد ونبحث عنهن في كنائسنا وفي الدوائر الأخرى المؤثرة؟

البحث عن الابنة

كيف سيحدث ذلك؟ امتلأت حياتنا بالمشاغل ولكننا عصفنا أذهاننا. كانت كل منا على دراية بالاحتياج وعلى علم بثقل المسؤولية الموضوعة على أكتافنا.. لقد حان وقت الوصول إليهن... كيف لنا ألا نتجاوب مع هذه الاحتياجات. اعترف البعض منا بخجلهن من الفتيات الشابات وما يواجهنه من تحديات. وشعرت الغالبية العظمى أنها غير مؤهلة للتجاوب مع هذه الاحتياجات. إلا أننا اتفقنا جميعًا أن نسمح لله أن يفتح قلوبنا أمام هذه الفرص.

وقبل أن نغادر مائدة الطعام مساء هذا اليوم حدث أمر غريب. همست "جنيفر". وهي امرأة شقراء كانت تجلس مقابلي. بصوت رقيق «كنت أعلم أننا سوف نكون أصدقاء يا ليزا». قالت ذلك ووجهها يشع بابتسامة دافئة. لا بد وأن الحيرة علت ملامح وجهي لأنها استطردت لكي تشرح لي الأمر قائلة: «لقد رأيتك منذ عدة سنوات على شاشة التلفزيون وكنت مقتنعة بأننا سنصبح أصدقاء لدرجة أنني كتبت خطابًا إليك ولكني لم أرسله حتى الآن لأنني لم أرد أن تعتقدي أنني إنسانة غريبة الأطوار. وقلت لِنفسي إنني أحب هذه المرأة وسوف تحبني هي أيضًا إن تقابلنا ذات يوم ... وها نحن اليوم!»

بالطبع كانت على صواب... لقد أحببتها بالفعل. كم كان عناقنا دافئاً مُرحباً. لكن هذا الدفء لم يشملني أنا فقط وإنما يشملك أنتِ أيضاً. هل سمعتِ ما أقول؟ هناك نساء أخريات يبحثن عنك ليحظين بصدافتك ولكنهن لا يعرفن كيف يتقربن إليك. ربما جُدهن في المدارس أو الأسواق يبحثن عن صديقة لهن. أنا أعلم أن هناك بنات في بيت الله يبحثن عن رفيق لهن. نساء حول العالم يبحثن عن شخص يفهم أحلامهن ومخاوفهن وهو دور تقوم به المرأة بكل جدارة.

هل سمعتِ ما أقول؟ هناك نساء أخريات يبحثن عنكِ.

افتحي عينيك وانظري حولك. أنا أوْمَن أن الله يقرب بناته من بعضهم البعض ومن الأمهات والجَدات. يقيم علاقات ويوجد ديناميكيات أسرية وسط شعبه وهناك سنجد نقاط القوة فينا. فعندما نتحد ببعض تقل ضعفاتنا وتزداد أرضدتنا. فصديقاتي يرين فيّ أموراً لم أرها في نفسي. يبحثن عن الأفضل فيّ بالرغم من معرفتهن الأكيدة بأنني غير كاملة ولكن لأننا أخوات. أجدهن يلاحظن عمل أبانا السماوي في حياتي.

يشعر (الأخضر) بالأهمية عندما نغني (لهم).

أنظر إلى نفسي عادة بعين الناقض أو القاضي فأنفحص عن قرب أخطائي وفشلي وكثيراً ما أقسو على نفسي. ولكن عندما أتواجد مع أخواتي فإنهن يمنعن أفكاري من سلوك هذا السبيل لأنهن مشغولات جداً بالصلاة من أجل رؤيتي وبتزويدي بالقوة التي أحتاج إليها. أنا أيضاً أنظر إليهن بنفس الطريقة. فلكل منهن قيمة كبيرة لديّ. إنهن استجابةً لصلاتي.

«الدهن والبخور يفرحان القلب، وحلاوة الصديق من مشورة النفس» (أمثال ٢٧: ٩)

إن مشورة النفس أو المشورة القلبية صارت كنز يندر وجوده هذه الأيام. فما أصعب أن يجد الإنسان صديق يتحلى بالأمانة والإخلاص والصدق. كما أن اللقاء مع مثل هذا الصديق له عذوبة وحلاوة يمكن أن تملأ جو المكان كله. تذكرني أن البخور هو نوع من الصلاة أي صلة مع العلي.

«لأنه حينما اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمي فهناك أكون في وسطهم» (متى ١٨ : ٢٠)

من المهم أن نتحدث معًا عندما نجتمع ولكن من المهم أيضًا أن نستمع. فالإنسان يشعر بالشفاء والراحة عندما يجد من يستمع إليه. كنت طرفًا في مشاجرة كلامية مؤخرًا غاب فيها المنطق وفي تلك الأثناء سمعت الروح القدس يهمس في أذني قائلاً «فقط استمعي - كل طرف يريد أن يعرف أن الآخرين سمعوا القصة من وجهة نظره». نعم. يشعر الآخرون بالأهمية عندما نصغي إليهم باهتمام. فماذا سنخسر إن استمعنا إليهم؟ حتى وإن لم نتوصل إلى حل أو نتيجة. هناك شعور بالراحة مجرد أن يدرك الشخص أن هناك من يستمع إليه ويفهم وجهة نظره... حتى وإن لم نتفق معه. ما أجمل أن يتواجد المرء في جو يشعر فيه كل طرف بالقيمة ويدرك أنه مدعو للمساهمة والمشاركة بما لديه.

كانت لي خبرة مشابهة مع تلك التي كانت لجنيفر. كنت أشاهد شريط فيديو لحفل ترانيم. وتحركت الكاميرا الخاصة بالمصور لتلتقط الجالسين في الصف الأمامي من الكنيسة ولحّت زوجة الراعي وعندما رأيتها. شعرت بأنها شخص لا بد أن أتعرف عليه. هل كان السبب أنني رأيت جزءًا مني فيها؟ لا أعلم. قمت بإعادة هذا الجزء وتوقفت عند صورتها واقتربت لأشاهدها عن قرب وقلت لزوجي «يا جون. تلك هي زوجة الراعي وأشعر أنها شخص يجب أن أتعرف عليه - شخصية سوف أشعر بالراحة في الوجود بالقرب منها!» لا بد أن جون اعتقد أنني غريبة الأطوار فها أنا أشير إلى امرأة سمراء تتعبد إلى الله وعيناها مغمضتان وبداها مرفوعتان. ولكي أكون صريحة معكم كنت وقتها أشعر بصعوبة في التواصل مع سيدة في مركز قيادي. بدت مختلفة تمامًا عني ولكن في تلك الليلة والتي مر عليها أكثر من عشر سنوات. نظرت إليها وشعرت أنه بإمكانني أن أكون على طبيعتي مثلها: حرة وهائمة أثناء وقت العبادة.

هناك علاقات تنتظر كل من يتجرأ للبحث عن واحدة.

تغيرت أمور كثيرة في العقد الأخير وأصبحت النساء جزءًا من الخدمة وهناك مئات. إن لم يكن آلاف من هذه النوعية من النساء في كل العالم. لذلك أقول إن هناك علاقات تنتظر كل من يتجرأ للبحث عن واحدة.

العلاقات تناسب بشكل طبيعي

بالطبع يجب أن تناسب العلاقات بشكل طبيعي دون فرض أو إكراه. اجتمعت مجموعتنا في العام التالي. بعد أن بقينا على اتصال بعضنا مع بعض مشجعين ومؤيدين. تبادلنا الهدايا وكنا نشأتق إلى اجتماعنا معًا مرة أخرى.

كان لقاءنا الثاني في العام التالي (كان الثاني بالنسبة لي فقط) أكثر غنى وديناميكية واتفقنا جميعًا على أن هناك نساء أخريات في حاجة لفرصة مشابهة للتواصل مع آخرين كما نفعل نحن. لذلك وضعنا خطة عمل واتفقنا أن تقوم كل منا بدعوة ست سيدات وبالتالي ستتكون لدينا سبع مجموعات كل منها يتكون من سبع سيدات. وضعنا قائمة بموضوعات للمناقشة وقمنا بدعوة سيدات رائعات البعض منهن أمهات والبعض الآخر جدات ووجهنا الدعوة لسيدات فعّالات في خدمتهن.

(الشيء الصحيح في التوقيت الخاطئ يظل عزم تواصل!)

لم تسر الأمور كما سارت من قبل في مجموعتنا بالرغم من أننا دعونا مجموعة رائعة من السيدات. لم يكن السبب في ذلك أن أجزاء البازل لم تكن صحيحة. ولكننا لم نتوافق معًا في ذلك الوقت. لقد فقدت الحميمية والديناميكية التي كنا نتمتع بها في مجموعتنا المكونة من سبع سيدات. لقد صار لدينا الهيكل ولكن كان ينقصنا التواصل القلبي. صار لدينا الشكل ولكننا افتقرنا إلى المضمون. ولم يكن السبب عدم توافر الرغبة. فكل من هؤلاء السيدات كن يبحثن عن التواصل والعلاقة التي تربطنا ببعض. لقد كانت وجهات النظر وتوقعات الأفراد أكبر من أن تسعها المجموعة.

مثل هذه العلاقات لا يمكن أن تُفرض ولكن يمكن أن تُنمى وتُراعى. فالشيء الصحيح في التوقيت الخاطئ يظل عدم تواصل. تتكون العلاقات الإلهية عندما يكون التوقيت صحيحًا. ولكن إن لم يكن كذلك. فالأمر يشبه محاولة ولادة طفل قبل موعده. فبالرغم من رغبة الجميع في الحصول على هذا المولود، إلا أن الأمر لن يحدث ما لم يكن التوقيت مناسبًا.

استعد لبناء علاقات مع آخرين

ولكن كيف نرعى ونعزز العلاقات؟ الق نظرة على العدد التالي:

«الحديد بالحديد يحدّد، والإنسان يحدّد وجه صاحبه» (أمثال ٢٧: ١٧)

لاحظ أن الكتاب لم يقل إن النحاس يحدّد الحديد وإنما «الحديد بالحديد يحدّد». ولكي نصبح حادين. يجب أن نكون. نحن ومن نُجتمع معهم. مصنوعين من نفس المادة. قد يختلف الشكل أو المظهر الخارجي إلا أن الأصدقاء يتشابهون في الجوهر والعقيدة. وهكذا يحدث: حيث ينشط كل واحد صاحبه بدلاً من أن يصيره كسولاً. عندئذ سيُشحذ مظهرك الخارجي وسيكون هناك حديدًا لكي تخرج من دائرة راحتك. فما الغرض إذاً من شحذ أو سنن أي أداة؟ الغرض هو أن تصبح أكثر فاعلية ودقة. فهل تعلم أن احتمال إصابتك نتيجة لاستخدامك سكين غير حاد أكبر بكثير من استخدام آلة حادة؟ فالسكين الحاد يتطلب جهداً وضغطاً أقل من ذلك الذي يتطلبه سكين غير حاد.

إن سبق لك أن جرحت بواسطة سكين غير حاد. فأنت تعلم جيداً أن الجرح يستلزم وقتاً أطول لكي يبرأ بعكس الجرح الذي تسبب فيه سكين حاد. نحتاج أن نشحذ بعضها البعض في علاقاتنا. لقد انقضى عصر التكاتف لتسلق السلم الاجتماعي. فإلله يطيح بمثل هذه السلالم التي تستند على الهياكل الضعيفة التي صنعها الإنسان. الله يبني بيته من حجارة حية تم حديدها وشحذها بدقة حتى تتوافق مع بعضها البعض بدقة.

«كونوا أنتم أيضاً مبنيين - كحجارة حية - بيئاً روحياً كهنوتاً مقدساً. لتقديم ذبائح روحية

مقبولة عند الله بيسوع المسيح». (١ بطرس ٢: ٥)

إنه وقت الاستعداد لبناء العلاقات؛ فإن إلهنا وأبيننا السماوي يكرّم كل حجارة على حدة حتى نكون معاً بناء لسكنى الروح القدس. يا له من تشبيه. فأى منا لن يستطيع أن يكون حسب قصد الله له بدون تلك العلاقات الإلهية. والآن دعونا نمتحن الأسباب التي لأجلها لا تقوم النساء

بتكوين علاقات هن في أمس الحاجة إليها وسنعمل ذلك من خلال إلقاء الضوء على المعوقات التي تقف أمام تكوين مثل هذه العلاقات.

لماذا لا تقوم النساء بتكوين علاقات مع بعضهن البعض؟

الحسد

بحسد (فعل): ينظر بخصومة، يشعر بالألم وعدم الراحة والتعذيب أو إثارة التعاسة لرؤية تفوق أو نجاح شخص ويكون مصحوباً بنوع من الكراهية وعادة برغبة في القضاء على الشخص وسعادة عند رؤيته محبط. ينبع الحسد من الكبرياء والطموح.^١

والآن وبعد أن قمنا بتعريف وتحديد تلك المشاعر. نحتاج لأن نتعامل معها. يعتبر الحسد أمر غير منطقي وغير عقلائي ولكنه مع الأسف ينتشر بصورة كبيرة بين بنات العلي وهو من أكثر المشاعر التي يستخدمها العدو مرة تلو الأخرى لكي يفرق ويهدم الروابط والعلاقات. نعم إل هنا أعظم من عدونا وفي كثير من الأحيان يحوّل تلك القوة المدّمة ويستخدمها لكي يحقق مقاصده. ولكن أريدكم أن تدركوا أن مشاعر الحسد لا تهدأ حتى تدمر الشخص أو الهدف. فالحسد لا يبني العلاقات وإنما يدمرها. ويسعى للحصول على مكانة الشخص الآخر في الجسد وهي مكانة لا يجب أن نتخلى عنها لأنها عطية من الله. فهو الذي اختارنا. لذلك لا تسمح لقوة هذه المشاعر أن تهدمك أو تفسلك.

والحسد هو أخطر أعراض مرض عدم تقدير قيمة الذات؛ فلنل منا ما

يستطيع أن يقدمه دورنا الآخرين.

إيلزابيث أوكنور

حسد أبناء يعقوب أحاهم يوسف بسبب تفضيل أبيهم يعقوب له. كما كرهوا اختلاف نظرتهم للحياة عن نظرتهم ورفضه أن يُحد بضيق أفقهم. لقد أثار سخطهم، فكيف يتجرأ أن يحلم بينما هم يعيشون حياة بدوية قاحلة؟ كيف له أن يذهب للاطمئنان عليهم وهم الأكبر منه سنًا! سوف

يضعون نهاية لخيالاته وكبريائه. سوف يطيحون بأحلامه مرة واحدة وللأبد. سيضعونه في مكانة أقل منهم بكثير. سوف يبيعونه لحياة العبودية واليأس.

لكن الحقيقة هي أن الله استخدم مشاعر الحسد التي شعر بها إخوته لكي يعلي قدر يوسف ليصبح في يوم من الأيام في وضع إستراتيجي يسمح له بإنقاذ الجميع.

لقد فعل الله نفس الأمر مع يسوع. فالكتاب المقدس يخبرنا أن يسوع أُسليم وصُلب حسداً فنقرأ أن بيلاطس

«عرف أن رؤساء الكهنة كانوا قد أسلموه حسداً». (مرقس ١٥ : ١٠)

لقد أزعج رؤساء الكهنة بيلاطس باتهاماتهم ليسوع لفترة طويلة مكررين شتى أنواع الجرائم ضده. إلا أن اعتراضهم لم يكن أبداً على سلوكه في الهيكل أو عدم ولائه لروما أو لقيصر... كانوا يكرهونه لأنه كان أفضل منهم وكان الشعب يعلم ذلك جيداً. كتب "صموئيل جونسون" قائلاً: «كل من يحسد شخصاً آخر يعترف بدنو مكانته».

لقد جاء خلاص الله للشعب في العهد القديم على يد يوسف كتمهيد لما سيفعله يسوع لأجل كل واحد فينا في العهد الجديد. لقد قصد إخوة يوسف به شرّاً ودماراً. تماماً كما أراد رؤساء الكهنة إلحاق الأذى والهلاك بيسوع. إلا أن قصد الله كان خيراً. يا لها من مفاجأة وصدمة في ذات الوقت لإخوته (وللكهنة) عندما اتضح أن الشخص الذي حسدوه وغاروا منه كان هو الحل لمشكلة الحصاد.

وفي قصة يوسف. كان الحل هو الطعام وقت المجاعة. ومع رؤساء الكهنة كان الكفارة الذي رفع خطاياهم وخطايا العالم أجمع. من الواضح إذاً أن الله يقلب الحسد ويستخدمه للخير إذا لزم الأمر.

الغيرة

الغيرة (اسم): إحساس أو شعور بعدم راحة عندما يظهر على الساحة شعور بالخوف من خصم قد يسلبنا حب شخص نحبه أو الخوف من أن يستمتع شخص آخر بامتياز نرغب فيه لأنفسنا. خوف مرتقب أو خوف من شر على وشك الوقوع.^٢

تتلازم مشاعر الغيرة مع الحسد. إلا أنها تختلف قليلاً عنه؛ فالحسد هو شكل من أشكال الكراهية أما الغيرة فهي نوع من أنواع الخوف.

(الغيرة تقتلنا بمنجر عرم (الثقة) بالنفس).

ليسلي جرميوتتر

سوف نركز على الطبيعة المدمرة للغيرة ولكن دعوني أقول إن هناك غيرة إلهية نجدها عندما غار الله على شعب إسرائيل وعندما غار بولس الرسول من طاعة أهل كورنثوس. فالكتاب لم يقل إن المحبة ليست غيرة وإنما «المحبة لا تحسد». ولكن عندما تأخذ الغيرة مساراً خاطئاً فإنها تدمر العلاقات.

«لأن الغيظ يقتل الغي، والغيرة تبت الأحمق». (أيوب ٥: ٢)

في معظم الأحيان يقترن الشعور بالرفض مع مشاعر الغيرة. فعادة ما ننظر حولنا ونتخيل أننا يجب أن نحصل على البركات والعلاقات التي يتمتع بها الآخرون. أيتها الابنة الغالية على قلب الرب، لا يجب أن تسير الأمور على هذا النحو. فهناك مكان مخصص لك على مائدة الرب. لا يوجد نقص في الحب أو الحياة أو الجمال أو العلاقات. بل يوجد فيض وغنى لا حد له. لكننا لن نراه إذا كنا مشغولين بالنظر إلى حياة شخص آخر نحسّر قائلين: «فقط لو...» ويا لها من كذبة. فلم يقصد الله لأي منا أن نعيش حياة شخصية أخرى. بل قصد الله لك أن تعيش حياتك بشغفٍ وعرفان بالجميل. فإن كنتِ تتمتعين بأقل ما ترغبين فيه، فالأمر يرجع لك؛ إما أن تعيدي كتابة قصة حياتك، أو تقومي بتغيير نظرتك للأمور ولكن لا تقحمي نفسك في قصة شخص آخر. ولا حاولي سرقة دور شخصية أخرى. كلنا نحتاج إليك لكي نتمم المقاصد التي خلقنا الله لأجلها.

(الغيرة تجلب (اللعة) التي نخشاها على حياتنا

دوروثي ويلس

تعتبر الغيرة مضبعة للوقت. لأن تمني الحصول على حياة شخص آخر لن يضمن لك السعادة الحقيقية وإنما ستجدين نفسك في حيرة شديدة فلا

أحد يعرف آلام الآخرين وأفراحهم. أقول لكم إنني عشت بما يكفي وتعلمت أن الأشخاص الذين كنت أعتقد أن حياتهم مثالية من وجهة نظري كانت في الحقيقة حياة فارغة بمعنى الكلمة. فما أكثر النساء اللاتي يتمتعن بشهرة واسعة وبريق ولكنهن على استعداد للتضحية بكل ذلك في مقابل أن يجدن من يحبهن بالفعل.

كلنا نحتاج إليكِ لكي نتمم المقاصر التي خلقنا الله لأجلها.

هناك علاقات وصدقات تكفي للجميع ولكن عندما نعتصر العلاقات التي لنا مع آخرين بشدة. فإننا نفقدها الحياة. لذلك علينا جميعاً أن نحمي العلاقات الصحيحة والزيجات دون خوف فالخوف مشير سيئ لأنه يقودنا دائماً إلى الاتجاه الخاطئ.

أرجو أن تكوني قد فهمت قصدي. فأنا لا أشجع الإهمال في علاقتك بالآخرين. فلا يجب أن تشعر أي منا بالراحة عندما يصرف الزوج أوقاناً طويلة منفرداً بامرأة أخرى. فليس من الحكمة أن نضعهم في هذا الموقف وليس جيداً أن تنشأ علاقات حميمة بين الجنسين إن لم يكونا زوج وزوجة. ولكن يجب ألا تشعر بالغيرة عندما تصرف صديقتك وقتاً مع صديقة أخرى. بل كوني شاكراً لأن حياتها غنية بعلاقاتها مع آخرين ولا تجعلها تشعر بالذنب.

ولا يجب أيضاً أن تحدي نفسك بصديقة واحدة مقربة إليك. فنحن في حاجة إلى أكثر من صديقة واحدة مقربة فكل منهن تختلف عن الأخرى. فهناك من تتمتع بقدرة على إعطاء النصيحة وهناك من جعلنا نضحك. وهناك أيضاً من تحثنا لكي نصير الشخص الذي يريدنا الله أن نكونه. وما أصعب أن نجد شخصاً واحداً يقدر أن يفعل كل ذلك ويخرج أفضل ما فينا.

نحن في حاجةٍ إلى أكثر من صديقتك واحدة مقربة.

وهذا يقودنا إلى معوق آخر يرتبط إلى حد كبير بمشاعر الغيرة.

المنافسة

المنافسة (اسم): نشاط الغرض منه التفوق على آخرين أو الفوز بشيء. كلمات مصاحبة: ند، خصم، حرب، صراع، المضاد، صداقة.^٤

قال "بنجامين فرانكلين" ذات مرة «لكي تكتشف عيوب فتاة، امتدح صديقة لها». يا لها من عبارة مُحزنة ولكني أخشى أنه على حق! فمِنذ أن قالها منذ أكثر من قرنين وهي حقيقة مقبولة. ترى، ألم يحن الوقت لتغيير هذا الأمر بين بنات العلي؟ تذكروا أننا لسنا في سباق مع بعضنا البعض وإنما نحن عاملات معًا وسط صراع بين النور والظلمة. فإن قلنا أمر من شأنه أن يقلل مكانة شخص آخر في عيون من حوله حتى نتعادل على أرض المعركة، فتأكدوا من أننا انحدرنا وخسرنا.

لاحظوا أن الصداقة هي عكس المنافسة وهذا يعني أن الصديق الحقيقي لا يتنافس مع صديقه، فالصداقة لا يجب أن يكون محورها الأنشطة أو الممتلكات وإنما ماذا يعني كل منا للآخر. يا لها من حقيقة لا يدركها معظمنا إلا في وقت متأخر من حياته. صلاتي هي أن تتعلم البنات في سن مبكر هذه الحقيقة حتى يكنَّ قادرات على اتخاذ القرارات الصحيحة فيما يتعلق بصداقاتهن؛ فتكون لهن علاقات صحيحة غير مبنية على التنافس. وهل تعلمين أن المنافسة تنشأ عادة عندما تحيطين نفسك بأصدقاء يجعلونك لا تقبلين نفسك كما هي؟ وأنا هنا لا أقصد الأصدقاء الذين يكونون بمثابة إلهام لك ولكني أقول إنه من الخطأ أن نتوحد إلى أشخاص بغرض دراسة حياتهم لكي نتمكن من هزمتهم في إحدى المباريات. إليك هذا الخبر السار: هناك مكان يتسع لنا جميعًا. هناك احتياج لكل فرد فينا حتى نصل للهاكين ونرى العالم ينال الشفاء.

العالم في احتياج شديراً لشخص مثلك. هناك احتياج شديراً لشخص مثلك.

نعم، هناك "جويس ماير" الرائعة والتي تركز من خلال وسائل الإعلام والحملات الكرازية لكي تصل إلى العالم برسالة المسيح ولكن هل تنافست مع آخرين لكي تصل إلى ما وصلت إليه؟ لا. لقد رأت أن هناك احتياج لنشر الحق بطريقة عملية واختارت أن تسد هذا الاحتياج. وهناك "بث موور" المحلصة والتي تعلم كلمة الله من خلال تقديم دراسات كتابية

في كل أنحاء العالم، فهل حاولت أن تفوز بسباق معين؟ لا. لقد أحببت كلمة الله من كل قلبها. وماذا عن "دارلين زيش" - هل فازت بمسابقة في العبادة والتسبيح؟ لا. هي فقط حُب الرب وتريد أن ترى الجميع يدخلون إلى محضره بفرح وحرية.

هناك مكان لآخرين، فالمقاعد والأماكن لم تمتلئ بعد. العالم في احتياج شديد لشخص مثلك.

عندما تسمعين في المرة القادمة شخص يمتدح صديقة لك، اتفقي معه. بل وأضيفي لوصفه لها، فليس هناك ما يمكن أن تخسريه إن فعلت. وإن استطعت أن تتركي النميمة والاعتياب في بيت الله، ستكتشفين أنه من الممكن أن تكوني صديقة حقيقية لآخرين.

النيمة:

النيمة (اسم): حوار يتعلق بشائعات أو حقائق شخصية أو خاصة وبالأخص بخبث ومكر.^٥

لاحظ أنه حتى الكلام عن أمور حقيقية في حياة شخص آخر تعتبر نيمة، وهنا أقول لكم ولنفسى أيضًا إنه حتى لو كان الكلام صحيحًا، يجب ألا نكرره ونعيده على مسامع الآخرين. أنا أعرف أنني لم أتعلم هذا الدرس تمامًا، ولكني اكتشفت بعض الأساليب التي تساعدني على تجنب النيمة في حياتي. كانت والدتي تقول دائمًا: «إن لم تجدي شيئًا جيدًا لتقوليه، فلا تتكلمي فقط». حسنًا، في بعض الأحيان يتكلم آخرون ونظل نحن صامتين! لكن حتى وإن لم نضف إلى كلامهم شيئًا أو لم نرده على مسامع الآخرين، فمجرد الاستماع إلى الشائعات أو النيمة أمر غير مقبول. سيظل للأمر تأثيره على نظرتنا لهذا الشخص. فماذا نفعل في مثل هذه الأحوال؟

حسنًا، إن لم تستطع أن تصمت وإن استمر أصدقاؤك في التحدث عن الآخرين- اعزل نفسك عنهم. هناك أوقات - أوقات كثيرة- اخترت أن أكون بمفردي وبمعزل عن الآخرين حتى لا أخطئ؛ ففي عدم وجود فرصة لقول ما لا يجب أن يُقال، ستنكسر عادة التفوه بما لا يجب أن يُنطق.

لدي آراء خاصة بشأن أمور كثيرة ولكن لي تأثير كبير أيضًا، لذلك يجب أن أكون حذرة، فما أقوله بطريقة عابرة قد يكون له أثاره الكبيرة

على الآخرين. ترى ماذا يجب أن تفعله الابنة في مثل هذه المواقف؟ مرة أخرى أنصحك، قللي أشياءً جيدةً. عندئذ ستكوني في أمان سواء من النميمة أو من المنافسة. فماذا سيضرني إن رددت كلمات التشجيع والإطراء؟

«بعدم الخطب تنطفئ النار، وحيث لا نام يهدأ الخصام». (أمثال ٢٦: ٢٠)

أحياناً أسمع أموراً قيلت عن زوجي أو أحد أبنائي ويكون رد فعلي الأول هو الغضب- كيف يتجرأون على قول مثل هذه الأشياء؟ سوف أرفع سماعة التليفون وأصحح الوضع في التو واللحظة. ثقوا بي... لا تفعلوا ذلك. لا تنقبوا خلف الشائعات. إنها لا تستحق كل هذا الاهتمام.

هناك أمور حسنة في أسوأ من فينا
وهناك أمور سيئة في أفضل من فينا
حتى أنت أي منا بوسعك أنت يتحمرث
عن بقيتنا.

لورلرو واليس هوك

العزلة

العزلة (اسم): ١. الانعزال أو عملية الانفراد... ٢. أسلوب أو حالة من الوحدة: الوحدة، الفردية، العزوبية، الانعزال، الانفراد.

ما أكثر النساء المنعزلات. فعندما يعيش الشخص بمعزل عن الآخرين. يدور العالم حوله وحول مشاكله ووجهات نظره. الأمر الذي من شأنه أن يزيد من الشعور بالذات فنتخيل أن الجميع ينظرون إلينا ويتحدثون عنا لأننا لا نفكر إلا في أنفسنا. العلاج الوحيد لهذه المشكلة هو أن ندرك أن العالم أكبر بكثير مما نتصور. خذي المبادرة ولا تنتظري حتى يتقرب الناس إليك، خذي أنت الخطوة الأولى. اخرجي من دائرة ذاتك وكوني فعالة ومؤثرة في حياة الآخرين. قومي بدعوة آخرين لزيارتك أو لتناول الغذاء معك، قومي بأعمال تطوعية لأغراض نبيلة، ابدأي الحوار مع امرأة أخرى غريبة عنك في مكان البقالة. تواصلتي مع الآخرين حتى يصبح أمراً طبيعياً وتلقائياً. أنا

لم أكن معتادة على التحدث مع أحد. أما الآن فأمنع نفسي في كثير من الأوقات.

الرجال

الرجال (اسم): الذكر في الجنس البشري.

حسنًا، سأحاول أن أقول ذلك بطريقة صحيحة: الرجل هو السبب الأول في تفرقة النساء ولكنه ليس الفاعل في معظم الأحيان وإنما هو خطأ تقترفه المرأة. فلقد شاع عنها أنها تبغ صديقاتها في مقابل الحصول على اهتمام الرجل. في حين أن الرجل ليس بهذا القدر من السخافة حتى يضحى بصداقاته من أجل امرأة. نحتاج أن نحذوا حذوه فلا نضحى بصديقة من أجل صديق. نحن في حاجة إلى كليهما.

لست شجعنا الناس على الحركة، فسوف يشفون بعضهم البعض.
جبريلا روش

من بين الأسباب التي لأجلها تضحى المرأة بصديقتها هو أنها بمرور الوقت تفقد إحساسها بقيمة ذاتها. فوجود رجل في حياتك لن يكون حلاً لكل مشكلاتك بالأخص عندما تكونين غير أمينة مع نفسك ومع الآخرين وهو الأمر الذي سنتحدث عنه بالتفصيل في الفصل التالي.



٥

كوني أمينة

أمين (صفة): ١. أ) متفق مع الحقيقة أو الواقع. غير مزيف... ب) صادق. ٢. حقيقي. أصيل ... ٣. يُعتمد عليه. دقيق. نبوة صادقة. ٤. مُخلص لصديق أو لعهد أو لغرض. وفي^١.

كم أكره نفسي عندما أكون غير أمينة وكم أكره أن يكذب علي الآخرون. يا له من شعور سقيم. ولكن إليكم ما هو أدهى وأخطر. ففي القصيدة التالية يتحدث شكسبير عن نوع آخر من الخداع وهو خداع النفس لأننا إن أردنا أن ندخل عالم الرعاية والعناية بالآخرين، علينا أن نكون صادقين مع أنفسنا.

وفوق كل شيء: *كن أميناً مع نفسك، وعندئذ ستسري أمانتاك إلى الآخرين*
وعندئذ وكوضوح الفرق بين النهار والليل، لن تكون مزيفاً بالنسبة للأي
إنسان.

ويليام شكسبير

تبدو كلمات شكسبير للوهلة الأولى وكأنها افتراض. فمن ذا الذي يريد أن يخدع نفسه عن قصد؟ لكنني أخاف على النساء لأنهن أكثر عرضة لخداع الذات من غيرهن. الأمر الذي قد يكتنّ غافلات عنه وعن حقيقة زيفهن مع أنفسهن. ولأنهن غير أمينات مع ذواتهن. تجدهن غير أمينات مع الآخرين أيضاً دون أن يدريين. في ضوء ما سبق يتضح لنا أن شكسبير أثار بعض النقاط التي يجب أن نمتحنها جيداً.

أمينة مع نفسي، أمينة مع الآخرين

فإن كنا أمناء مع أنفسنا، فمن الطبيعي أو نتيجة لذلك سنكون أمناء مع الآخرين. ولكن إن كنا مزيفين مع أنفسنا، فلن نقدر إلا أن نكون مزيفين مع الآخرين. إنه أمر منطقي. فإن كان الجوهر زائفاً، فلن نتمكن من توصيل الحق للمحيطين بنا في كل الأحوال. لماذا؟ لأن ما في داخلنا -سواء أردنا أم لا- سيخرج لا محالة.

فإن أردنا أن نكون أمناء وصادقين، فلا بد أن ننقي المياه العكرة الموجودة فينا أولاً، وعندها ستكون نظيفة وشفافة. فإن كان النبع أو الجوهر ملوث، فكل ما سيخرج منه سيكون غير نقي. ويعتبر قلب الإنسان هو المكان الذي ينبع منه الحق وفيه تتم مواجهة الزيف والخداع. وبهذا الصدد نقرأ في كلمة الله من رسالة يعقوب:

«ألعل ينبوعاً ينبع من نفس عين واحدة العذب والمر؟» (يعقوب ٣: ١١)

أيتها الابنة الغالية، أليس من المنطقي أن يفيض من ينبوع المر أو الزائف، مياه مرة وغير نقية؟ فمن فضلة القلب يتكلم اللسان. قد تبدو المياه المالحة منعشة لمن ينظر إليها، إلا أن حقيقتها تنكشف بمجرد أن نذوقها، وتؤكد كلمات يسوع نفس الفكرة:

«فإن كان النور الذي فيك ظلاماً، فالظلام كم يكون» (متى ٦: ٢٣)

يا له من مثال رائع لتأثير خداع النفس... ظلام تام. فإن كان الظلام والخداع هما الدافع وراء اختياراتنا وسلوكنا، فلا يجب أن نتوقع إلا الظلام والخداع. فالقلب المظلم يمتلئ حيرة وخوف ولكنه يعتقد أنه يمتلئ بالنور والتوجه الصحيح. ولكن الخبر السار هو أن أكثر الأماكن ظلمة يمكن أن تُنار بإعلان الحق وأكثر الأشياء اتساعاً يمكن أن تلمع كاللؤلؤ من جديد.

لا يوجد احتياج أكثر إلحاحاً من حاجتنا اليوم إلى أشخاص أمناء يصونون القلب.

وبالعودة مرة أخرى إلى كلمات شكسبير نجد أن الأمانة مع النفس تجعلنا أمناء مع الآخرين وبالتالي نستطيع أن نُسْتَأْمِنَ على قلوبهم. تصف لنا كلمة الله في (أمثال ٣١) المرأة الفاضلة أنها كانت محل ثقة قلب زوجها. أنا أوؤمن أن مثل هذه الثقة يمكن أن تمتد إلى كل علاقة تبنيها المرأة في حياتها مع آخرين: تستطيع أن تكون محل ثقة قلوب أولادها وأصدقائها ومن يعيشون معها في المجتمع ومحل ثقة إلهها.

لا يوجد احتياج أكثر إلحاحًا من حاجتنا اليوم إلى أشخاص أمناء يصونون القلب. ولكن لكي نُؤدِّي هذا الدور المتميز بإتقان. علينا أن نتصالح مع حالة قلوبنا أولاً. أنا أعلم شوق قلبك: أنت تريدان أن تكوني ابنة أمينة وصديقة حقيقية. وزوجة وفية وأم صادقة. وأنا أيضًا أريد أن أعيش الحياة التي أرادها لي المسيح على كل المستويات. لذلك وخلال العام الماضي طرحت على نفسي أسئلة صعبة متعلقة بحالة قلبي وأموره.

لا مكان لجزء مظلم

وهكذا يتضح لنا أن هذا الأسلوب من الحياة الإلهية لا يمكن أن يمتزج فيه الكذب مع الحق. فإن كنا نعيش الحق بنسبة ٩٩٪ والكذب بنسبة ١٪. فهذا ليس حق.

« انظر إذاً للتلا يكون النور الذي فيك ظلمة، فإن كان جسدك كله نيراً ليس فيه جزء مظلم، يكون نيراً كله، كما حينما يضيء لك السراج بلمعانه. » (لوقا ١١: ٣٥-٣٦)

أرأيتم. لا يوجد فيه جزء مظلم. أيتها الابنة الغالية. أنا أعلم أنك تعبت من سماع الأكاذيب وترديد الزيف ومؤازرة الكذب وتجاهل الخطأ ولكن هل نحن فعلاً مستعدين للتوقف عن الأكاذيب؟ لأنه عندما تكون شهوة قلوبنا أن نكون أمناء. يتغير سلوكنا وعندها سيتغير صيغتنا كبنات للعلي بصورة جذرية. قد لا أشتهر بكوني رقيقة وهادئة ولكننا سنشتهر بكوننا ودعاء وأمناء (كثيراً ما حذرتني أمي من البنات الرقيقات!)

لن نظل بنات يشتهرن بتجوالهن بدون هدف ما بين عالم الخير والشر محاولات اتخاذ قرارات صائبة لأننا وقتها سنعتلي مكانة أعلى بكثير. لأنه

إن كان القلب هو مصدر إلهام كل ابنة لله، عندها سنسلك وسنعيش كشخص يسكن في محضر العلي.

لا يوجر من يرير الانضمام إلى ناوي السيدات الجميلات الخائفات والضعيفات.

عندها فقط سنسلك كسفراء وكممثلين للنور السماوي حتى وإن سلطنا دروب الحياة المظلمة. وعندما نسلك كسفراء، سينجذب نحونا الآخرون لكي يروا النور والقوة التي فينا. نعم، نحتاج إلى قوة لكي نعيش في هذا العالم ولكننا لسنا من العالم. فلا توجد من تريد الانضمام إلى نادي السيدات الجميلات الخائفات والضعيفات، ولا توجد أيضًا من تريد الاستماع إلى قائمة طويلة من القواعد والقوانين.

«أنتم نور العالم، لا يمكن أن تخفي مدينة موضوعة على جبل، ولا يوقدون سراجًا ويضعونه تحت المكيال، بل على المنارة فيضيء لجميع الذين في البيت». (متى ٥: ١٤ - ١٥)

هل سمعتِ ماذا يقول يسوع عنكِ؟ إنكِ نور العالم! فكري في هذا الإعلان للحظة. أهكذا تصفين نفسك أو تقدمي نفسك للآخرين. يسوع لم يعد موجودًا في أرضنا ليكون نور العالم، كما أن هذا اللقب ليس مجرد لقب إضافي لكل مسيحي. الله يحتاجكِ أن تكوني كما قال... نور. لقد ذهب يسوع ليكون مع الآب السماوي وترك لنا امتياز أن نكون النور للأبناء والبنات الذين يعيشون في عالمنا. من الخطأ بل ومن الغريب أن نحفظ بالنور لأنفسنا فنخفيه عن الآخرين، فالبريق الموجود في داخلنا يجب أن يراه الجميع.

ما أكثر احتياجنا في هذه الأيام لهذا السراج المضيء، وبالأخص هؤلاء الذين يحتاجون إلى الرعاية لأنهم في أمس الحاجة لأن يروا النور ويقربوا من دفته. عندما يجد الناس أنفسهم في ظلام دامس، نجدهم يبحثون تلقائيًا عن منطقة أمان يتواجد فيها الضوء، ولكن ماذا لو كان النور مخفيًا؟

ما أروع النور. هل سبق ونظرت إلى طفل حديث الولادة وهو يحدق ناحية

النور المضاء أو وجوه الأشخاص؟ يكشف النور الأشياء المحيطة بنا. كما يفصح كل ما هو خفي. النور يشجع آخرين على الالتفات حول بريقه. كما يحذرنا من الخطر كما في حالة الفئار. هكذا أيضًا النور في داخلنا فهو يحذرنا من الأخطار. لا غنى لنا عنه. فلماذا إذاً وكيف نخبئه؟

كيف نخبئ النور؟

أعتقد أن إحدى الطرق التي نخبئ بها النور هي أن نكتم الحق داخلنا. كأن نضع مكبلاً أو إناءً على النور لنمنعه من أن يضيء. هذا ما يحدث عندما يفرض المؤمنون القوانين بدلاً من أن يكونوا مثلاً للعلاقات الصحيحة. يظهر المكبلاً أو الإناء بوضوح بدلاً من النور عندما نظهر دينونة ونقدم الناموس بدلاً من الرحمة والحق. أما إذا وضعنا النور على الأرض ووضعنا فوقه إناء الأعمال الصالحة، أصبح النور عرضة لأن يفقد جزءاً كبيراً من الحرية الأصيلة والرونق. هل تتذكري كم كان من السهل التمييز بين النور والظلمة في بداية إيمانك بالمسيح؟ لكن مرور الوقت وعندما زادت معرفتنا، أصبح الأمر مشوشاً.

كان أولادي مولعين بالألعاب النارية، ووقعت الكثير من الحوادث التي لم يكن مسموحاً بها في منزلنا مثل اللعب بثقاب الكبريت وعلب الكيروسين والشموع. دعونا للحظات نتخيل ماذا يمكن أن يحدث إن قمنا بتغطية لهب متوهج بسلة أو صندوق. يتوقف الأمر على مدى اشتعال اللهب وطول مدة الاشتعال ولكن من الممكن أن يحدث أمر من اثنين؛ فإما أن تشتعل السلة وتتسبب في خسارة أكبر أو قد ينطفئ اللهب تدريجياً إلى أن يخمّد.

فإن قمنا بتغطية النور بدلاً من وضعه في مكان مرتفع، فقدنا الرؤية. وإن اشتعل هذا الغطاء، أصبحنا معرضين لحدوث حريق. وفي المثال السابق، يشير الرب يسوع إلى النور الذي يهدف إلى إضاءة الذهن والروح، وليس إلى لهب يمكن أن نشعله لكي نستدفئ به.

وفي أحيان أخرى نطفئ الحق في داخلنا عندما نقول لأنفسنا «حسناً، لقد صرت نوراً للعالم، إنه أمر رائع والآن هناك قائمة ببعض القواعد والقوانين التي يجب حفظها جيداً». عزيزتي لقد انتقلت من العبودية الداخلية إلى عبودية خارجية. لقد ظهرت تلك العبودية في أيام بولس في شكل الختان

وتغطية الرأس والناموس اليهودي. لقد انزعج بولس من كنيسة غلاطية بما فيه الكفاية حتى أنه قال:

«أهكذا أنتم أغبياء؟ أبعدهم ما ابتدأتم بالروح تكملون الآن بالجد؟» (غلاطية ٣: ٣)

صلاتي هي أن يطرح كل ابن وابنة لله هذا المكيال الذي يعيق نورهم عن الظهور. فالنور لن يشع ولن يظهر ما لم نكن أمناء مع أنفسنا. نسترشد بقلوبنا بدلاً من القواعد والقوانين.

تنجذب الطبيعة البشرية نحو مجموعة من القواعد أو القوانين التي تنص على ما يجب وما لا يجب عمله.

ما أصعب أن ينصاع القلب وراء تلك القائمة. إلا أن الطبيعة البشرية تنجذب نحو مجموعة من القواعد والقوانين التي تنص على ما يجب وما لا يجب عمله. لكن هذه القائمة جعلنا غير أمناء مع أنفسنا. لذلك لا تسمح لي لأي قانون بشري مكتوب أن يفصلك عما هو مكتوب ومدون في قلبك. وعندما نرفع النور عاليًا. نرفع يسوع المسيح. هو وحده قادر أن يجذب آخرين إليه.

كيف نصبح أمناء؟

ما معنى أن نكون أمناء؟ الأمانة لا تعني قول الحق فقط لأن الأمانة تشمل ما هو أعظم من ذلك. لكي نكون أمناء يجب أن نكون صادقين. أوفياء. مخلصين لما في قلوبنا وعندما نكون كل ذلك سنستطيع تقديم الرعاية للمحتاجين إليها. فإن كنت متزوجة. فلن يرتبط قلبك بقلب إنسان آخر. وإن كنت متزوجة أم لا. فلن تسمح لي لما هو زائف أن يدخل إلى قلبك سواء عن طريق السمع أو القول أو الفعل. القلب هو مصدر الحياة الجديدة. ذكرنا في بداية الفصل تعريف كلمة أمانة وأصل هذه الكلمة هو أمن. ومن مرادفاتها: «الصدق. الثقة. الوفاء. الإخلاص. الأمان. الأمن.»^٢ هذا يعني أن علينا أن نتحد ونلتصق بالحق الذي في داخلنا بحيث لا نسبح للزيف والأكاذيب أن تخرق حياتنا. لنقرأ معًا ما جاء في سفر الأمثال:

« لا تدع الرحمة والحق يتركانك، تقلدهما على عنقك. اكتبهما على لوح قلبك. »
(أمثال ٣: ٣).

وفي ترجمة أخرى (الترجمة العربية المبسطة):

« تمسك بالرحمة والأمانة. اربطهما حول عنقك واحفظهما في قلبك وعقلك. » (أمثال ٣: ٣)

لاحظ كيف صاغ مترجمو الكتاب المقدس تلك الكلمة بحيث جاءت في إحدى الترجمات حق وفي ترجمة أخرى أمانة؟ يوصينا كاتب سفر الأمثال أن نحفظ كل ما هو حق في قلوبنا لأننا إن تمسكنا وارتبطنا بالحق نصير أمناء. ما أكثر المرات التي قرأت فيها هذا العدد ولكنه أصبح يعني لي الكثير مؤخراً وتساءلت كيف نكتب ما هو حق على ألواح قلوبنا؟ ولكي نجيب على هذا السؤال، دعونا نفسر كلمة «كتب». من بين التعريفات التي وجدتها: «نقل المعلومات، خلق أو تجميع مادة يمكن للآخرين أن يقرأوها أو يستمعوا إليها، شرح مبسط أو إعلان» وإليكم التعريف المقرب إلى قلبي: «التنبؤ بما سيحدث في المستقبل».^٣

أرأيتم ماذا يمكن أن يحدث إن كُتِبَ الحق على ألواح قلوبنا؟ سوف نعلن ونتنبأ بمشيئة الله في حياتنا. فإن وُجِهت قلوبنا نحو الهدف، سيكون المستقبل مضموناً وأمناً. يا له من أمر مهم، فكثير من المؤمنين يعرفون إلى أين هم ذاهبون ولكنهم لا يعرفون كيف يصلون إلى هناك! إن كلمة الله هي المرشد الذي يقود طرقنا:

« فأجاني الرب وقال: « اكتب الرؤيا وانقشها على الألواح لكي يركض قارئها، لأن الرؤيا بعد إلى الميعاد، وفي النهاية تتكلم ولا تكذب. وإن توانت فانظرها لأنها ستأتي إتياناً ولا تتأخر. »

(حبقوق ٢: ٢-٣)

لقد أمر الرب حبقوق أن يكتب الرؤيا التي أعطها له بوضوح حتى يستطيع كل من يمر بها أن يقرأها بنفسه. سيأتي اليوم المعين عندما يُعلن ما كُتِبَ على قلوبنا، ولكن حتى ذلك الحين، هناك وعود ورؤى يجب أن تتحقق. هناك حق وقوة يجب أن يُعلننا، والله يعد بناته لكي يكن نوراً مضيئاً للعالم.

لقد حان الوقت لكي نطرح الأكاذيب ونتمسك بالحق.

عندما نخبئ كلمة الله في قلوبنا من خلال قراءتها والتأمل فيها. سنتغير لأن كلمته حية ولها السلطان أن تملك على قلوبنا وتحدث إلينا وتوجه خطواتنا. هل حدث أن تذكرت ذات مرة آية أو مقطع من الكتاب المقدس سبق أن سمعته أو قرأته؟ لماذا؟ لأن كلمة الله حية وتحدث إلينا في أعماق أعماقنا ... في قلوبنا. وعندما نكتب الحق وننقشه على قلوبنا سنتمكن من طرد الزيف والأكاذيب أيضًا.

لقد حان الوقت لكي نطرح الأكاذيب ونتمسك بالحق.

إن الرحمة إذًا والحق والأمانة صفات يجب أن نكتبها ونتمسك بها في أعماقنا وعندها ستكون هذه الصفات هي الدافع الذي يرشدنا ويحركنا. ولاحظوا أن القلب والنفس شيان متلازمان وقد تتساءلن «هل يمكن أن أثق بقلبي؟» «هل يمكن أن أثق بنفسي؟» لا بد أن نفعل ذلك. لأننا عندما ننال الميلاد الثاني، تُنزع منا القلوب الحجرية ويُعطى قلوبًا لحمية بدلًا منها ويجب أن نرعاها ونهتم بها وذلك لأن الجسد أو القلوب اللحمية تحتاج إلى حماية لأنها بالرغم من كونها أكثر دقة، إلا أنها أكثر ضعفًا وهشاشة.

عالم القلوب

«فوق كل تحفظ احفظ قلبك، لأن منه مخارج الحياة». (أمثال ٤: ٢٣)

وفقًا لما جاء في (أمثال ٤). يتضح لنا أن مخارج الحياة تنبع من قلب الإنسان. وهذا القلب يتغير عندما ننقل من ملكوت الظلمة إلى ملكوت النور أما باقي الجسد فيستغرق وقتًا أطول للحاق بما حدث في القلب. وفي بعض الأحيان، وعندما أشعر بالحيرة والارتباك أثناء رحلتي، يصبح الطريق أوضح بكثير عندما أسير وراء قلبي بدلًا من عقلي.

عالم القلوب هو المكان الذي يجب أن تمكث فيه كل ابنة لله، ولا يجب أن نسمح للقوانين الصارمة والمكتوبة والتي كانت تحكم سلوكنا وتصرفاتنا عندما كنا نعيش في ملكوت الظلمة، لا يجب أن نسمح لهذه القوانين أن تسود علينا. هناك طريق حي وحديث مُعد لنا لكي نسلك فيه.

«طريقاً كرسه لنا حديثاً حياً، بالحجاب، أي جسده». (عب ١٠ : ٢٠)

يجب أن نخضع لقيادة الروح القدس الذي يعطينا الحياة والحكمة في كل موقف نمر به. لكن كيف يحدث ذلك؟
يحدث ذلك عندما نستمع إلى ما تقوله لنا قلوبنا. ولكن كيف يمكن أن نثق في المشورة التي تملينا عليها قلوبنا؟ بأن نغلسها بأنهار الماء الحي الذي ينبع من كلمة الله القادرة أن تنقي دوافعنا. بأن نملاً قلوبنا بالحق والرحمة فلا يكون هناك مكان لأي مؤثر آخر وعندها نطلب قيادة الله لنا. هذا هو ما وعدنا به الله:

«فتجد نعمة وفضيلة صالحة في أعين الله والناس. توكل على الرب بكل قلبك، وعلى فهمك لا تعتمد». (أمثال ٣ : ٤ - ٥)

لا يمكن أن يرفض الله ابنة له تطلبه من كل قلبها.
وتشير عبارة «على فهمك لا تعتمد» إلى القيادة بالذهن بدلاً من القلب. وكلما كبرت في العمر، أدركت أن عقلي سيكذب عليّ. أما قلبي فنادرًا ما يفعل ذلك. قد يسيئ قلبي توصيل المعلومة عندما يمتلئ بالخداخ والكبرياء والخوف والإهانة.

«في كل طريقك اعرفه، وهو يقوم سبلك. لا تكن حكيماً في عيني نفسك. اتق الرب وابتعد عن الشر، فيكون شفاءً لسُرَّتِكَ وسقاءً لعظامك». (أمثال ٣ : ٦ - ٨)

من التواضع ومن الغريب أيضاً أن نطلب مشيئة الله في كل أمر من أمور حياتنا. إلا أن التكلفة ستكون أكبر بكثير إن أهملنا مشورته. ما أكثر المرات التي جُرب فيها بالمضي قُدماً في أمر ما قائلين: «يا رب أستطيع تولي هذا الأمر. لقد مررت به قبلاً. لذلك لن أزعجك مرة أخرى به. سوف أسلك الطريق الذي أراه مناسباً». خطأ. أنت تسير نحو فوضى كبيرة. لذلك تنصحنا كلمة الله أن نخاف الرب ونترك الشر حتى لا نرتكب أية حماقة وحتى لا نتكبر. ومخافة الرب هي أن نبتعد عن الشر. وهذا ما تقوله لنا الكلمة المقدسة.

وترتبط الأمانة بالثقة. فبوسع أي منا أن يثق بالشخص الأمين. لديّ

أصدقاء يقولون لي الحق. لذلك أستطيع أن أتق بهم لأنني أعرف أنهم أمناء. غير مزيفين وغير مخادعين. صحيح هم غير كاملين ولكنهم جُربوا ووُجدوا أمناء. ما أكثر المرات التي يخبروني بما لا أرغب في سماعه ولكنهم يقولون لي بكل أمانة ما أحتاج أن أسمعه. وفي أمانتهم يقولون لي الحق بالرغم من علمهم بأنني غير مستعدة لما سيقولونه لأنهم يعلمون أنه في الوقت المناسب سوف يستخدم الله كلماتهم لكي يعيدني إلى صوابي. أستطيع أن أتق بهم ليس فقط لأنهم أمناء معي ولكن لأنهم أمناء مع أنفسهم.

لا يمكن أن يرفض الله ابنته له تثق به من كل قلبها.

في هذه الأيام التي نحتاج فيها بشدة إلى الرعاية. نحتاج لجيش كبير من النساء اللاتي يسلكن بأمانة مع آخرين ومع أنفسهن أيضًا. وفي الفصل التالي سوف نتحدث عن موهبة الحدس وسنتعلم كيف نرعى ذلك الصوت الذي كثيرًا ما نحاول إخماده.



٦

الحدس والبديهة

تتمتع المرأة بطبيعتها بالبديهية أو الحدس، لكن في معظم الأوقات تُفقد قوة هذه الموهبة. لذلك سوف نراجع بالتفصيل في هذا الفصل من الكتاب مدى أهمية استرجاع هذه المهارة.

ولكي تتمكن من إشعال كل إمكانيات وإلهام فينا، نحتاج إلى الاستماع لصوت الحدس أو البديهة في داخلنا. فإله يريد إطلاق النور والحياة للذين أودعهما في داخلنا، إلا أن البعض منا أطفأ هذا النور المُعطى له في شكل حدس أو بديهة. نحتاج أن نشعله من جديد.

وكمثال على ذلك أسألك: هل سبق أن رأيت أمر ما بطريقة تختلف عما يبدو عليه للعيان ولكنك حاولت التخلص من تلك الفكرة فقط لتكتشفي في وقت لاحق أنك كنتِ على صواب؟ كامرأة لا بد أنكِ اختبرتِ ذلك الشعور المزعج بأن هناك شيئاً ليس على ما يرام، ليس بسبب ما ترينه حوله، ولكنه شعور داخلي في أعماقك وكأنها مشاعر متأججة غير مستقرة. مثل هذه المشاعر هي ما أطلق عليها الحدس أو البديهة.

منذ بضع سنوات كنت أقرأ أبحاث ومقالات كتبت لحماية الأطفال من الإيذاء الجسدي، وأتذكر أن أحد الكتاب قال إن الأشخاص الذين يقومون بإيذاء الأطفال والاعتداء عليهم هم في الغالب أشخاص تشعر الأم تجاههم بعدم الراحة وتتأجج تلك المشاعر في داخلهن. إلا أنها في كثير من الأحيان لا تعطي لها أهمية تُذكر. وهنا ينصح الكتاب الأمهات أن يثقوا بذلك الحدس ويستمعوا لأصوات التحذير في داخلهن.

لقد اختبرت مشاعر التحذير تلك ولكن بطريقة مختلفة؛ في الشهر

الأخير من حملي بابني الرابع "أردن". استيقظت ذات ليلة على شعور مضجر بأن شيء ما ليس على ما يرام. كان قد مر على الموعد المحدد للولادة أربعة أيام. كانت بطني كبيرة الحجم وزاد معها الشعور بعدم الراحة ولكن لم يكن هذا كل ما في الأمر. استيقظت على ركلة عنيفة وحركة غير متوقعة من الجنين. كانت ركلة واحدة بعدها ساد الهدوء. وبطبعتي كامرأة. وضعت يدي على بطني ورددت بصوت خافت كلمات تبعث على الطمأنينة.

شعرت أن هناك شيء ليس على ما يرام. وكان شعوري بالتحذير قوي جداً حتى أنني فكرت في قيادة السيارة على الفور للذهاب إلى المستشفى حتى يتسنى للأطباء الكشف على الجنين. ولكنني انتظرت في الظلام وتوقعت المزيد من الركلات ولكن شيئاً لم يحدث. لم أستطع تجاهل مخاوفي وعندما استيقظ جون في السادسة صباحاً وجد زوجته الحامل مرتدية ثيابها ومستعدة للخروج. دخلت عيادة الطبيب فور وصوله حتى يتمكن من فحص دقات قلب الجنين.

كل شيء كان على ما يرام. وكان وضع الجنين سليماً. شعر جون بالراحة. أما أنا فلم أستطع. شعر الطبيب بما يدور في داخلي فقال لي: «يا ليزا، أنت هنا صاحبة القرار. فلم يسبق لي أن كنت حامل. أما أنتِ فستلدين ابنك الرابع. لذلك إن كنتِ تشعرين أن شيئاً ليس على ما يرام. فكلي أذان صاغية».

في تلك اللحظة. شعرت أن الطبيب يقدم لي فرصة لكي أعلن عمّاً يليه عليّ جسدي وما أشعر به في أعماقي. قلت له: «هذا الطفل يحتاج أن يُولد الآن». وجأوباً مع هذه العبارة. قام الطبيب بإعداد كل شيء وبالفعل تم إنقاذ حياة ابني. لقد اكتشفنا فيما بعد أن الحبل السري كان ملفوفاً مرتين حول رقبته. ماذا لو تجاهل الطبيب خذيراتي؟ ماذا لو لم أقل شيئاً حتى لا أبدو حمقاء أو متسرعة؟ لو حدث ذلك، ما كان ابني أردن معنا الآن.

انتبهي

لا يقتصر الحذر أو البديهة على مجرد التحذير وإنما هو أصدق المشاعر تجاه أنفسنا وهو ما يجعلنا نميز إذا ما كان الآخرون مزيفين أم صادقين. قد يتسم لك شخص أو يأخذك بالأحضان أو يقدم لك التحية. ولكن بعثرك

شعور بأن هذه المشاعر ليست أصيلة ولا يوجد دفء حقيقي فيها. قد تسمعين أمورًا تريدين تصديقها. ولكنكِ تدركين أنها أكاذيب. هناك أمر ليس على ما يرام. هناك شعور بعدم الرضا ولكنكِ قد لا تعرفين الأسباب. أنا هنا لا أقصد عدو البدية ألا وهو الشك (سأطرق لهذا الموضوع لاحقًا) لأن الشك يجعلنا نتوقع الأسوأ دائمًا. أنا أحدث عن نوع من الاستنارة المصحوبة بشعور بالمفاجأة فتجدين نفسك حذرةً بعض الشيء. إنه إحساس أو تمييز لما سوف يحدث.

وكامرأة تعيش في عالم من وجهات النظر المغايرة. أحاول في معظم الأحيان ألا أتسبب في مشاكل لمن حولي. (تذكرني أن المرأة هي الحل وليست المشكلة). ولأنني كنت أخشى أن أتسبب في مشاكل. مثلي في ذلك مثل أي امرأة أخرى. كنت أجاهل هذه المشاعر كلما علت على السطح. وفي مرات أخرى اخترت التفكير المنطقي حتى أتخلص مما كنت أشعر به. وربما مررت أنت أيضًا بمثل هذه المواقف. لقد أنكرت ما كنت أشعر به وجاهلت تمييزي الداخلي وكنت أعزي نفسي قائلة: «فقط دعني الأمر وشأنه. لا تكوني سلبية وناقدة. ربما فهمت الموضوع بطريقة خاطئة. ربما هو أمر نسجته في خيالي».

لكن مرور الوقت يتبرهن في معظم الأحيان أن الأشياء التي رأيتها بعيني الداخلية كانت صحيحة. لذلك أقول إن البدية أو التمييز هي عناصر في غاية الأهمية. أما الشك فعادة ما يرى الأشياء التي يبحث عنها. أتذكر عبارات بعينها أو تعبيرات وجه أو أجزاء من حوار أو انطباعات يرجع عمرها لسنوات. هناك تبادل خيات أو نظرات أو مقابلات كانت تحمل في طياتها معانٍ أخرى.

(البدية) هي تمييز روحي دون معرفة الأسباب يشير بكل بساطة إلى السبيل.

فلورانس سكونيل شين

في بعض الأحيان. أنسحب أنا وجون من حديث مع شخص آخر وأسأله قائلة: «هل سمعت ما قاله؟ ترى ماذا يقصد؟» قد يلاحظ جون أيضًا الأمر ولكنه في كثير من الأحيان لا يذكر ما حدث ما لم ألفت انتباهه إلى ما قيل فيجبني «نعم، لقد تذكرت عندما ذكرت الأمر... لقد كان شيئًا غريبًا

بعض الشيء». لقد تعلمنا أن نثق في بعضنا البعض فيما يتعلق بتمييزنا للأمر. وما لا يراه الواحد فينا يراه الآخر.

البديهة وعملها

ذات مرة طلب زوجي أن تجتمع مع مجموعة من القادة وكنت أنا المرأة الوحيدة من بين كل الحاضرين. حضرت الاجتماع بناءً على دعوة زوجي لي لأن الموضوع الذي كنا سنناقشه سيؤثر على كل منا. في مثل هذه المواقف، يقدر جون اشتراكي في الحديث والإدلاء برأيي على الفور لأن كثير من الأمور تُفقد إذا تناقلت من شخص لآخر. بالإضافة إلى أنني أريد الحصول على التفاصيل. أما جون فيقوم بإعطائي العناوين الرئيسية.

قام جون بإبلاغ أعضاء المجموعة بأنني سأكون حاضرة في هذا الاجتماع. وبالرغم من ذلك، لم أكن شخص مرغوب فيه من قبل قائد المجموعة. حتى أنه حاول قبل بدء الاجتماع أن يثنيني عن الحضور بل وإثبات عدم جدوى الإدلاء برأيي. في البداية حاولت المشاركة برأيي في صيغة سؤال ولكنه تجاهله على الفور. استمر الاجتماع وكان كل سؤال أو مناقشة لموضوع يتعلق بي وبجون، يُوجّه إلى جون فقط بصيغة المفرد. متجاهلاً كل سؤال قمت بطرحه.

كانت الرسالة واضحة جداً لكل الحاضرين: ليزا موجودة في الغرفة ولكنها غير معترف بها. خفت أن أفتح فمي، واكتفيت بالمشاهدة والاستماع إليهم. حاول جون أكثر من مرة أن يُشركني في الحوار ولكني كنت قد قررت ألا أدخل دائرة المناقشة مرة أخرى.

بعد انتهاء الاجتماع تقدم إليّ أحد الشباب الحاضرين وعزاني بكلماته قائلاً: «أتفق معك في الرأي، إلا أنكِ نطقت به أولاً». «ما أكثر حماقتي، كان يجب أن أسكت». ثم تكلم معي قائد آخر قائلاً: «إنه من النوعية التي لا تفضل مناقشة الأمور مع النساء». في مثل هذه المواقف، ما عساي أن أقول: «أعتذر لكوني امرأة؟»

سوف أثقُ بغيرية المرأة أكثر من فكر الرجل.

ستانلي بالدرين

لم يشعر جون أيضًا بالراحة بما حدث. لقد حاولت تجنب أية صراعات. ولم أرغب في حدوث انقسام أو انشقاق بين جون وقائد المجموعة لمجرد رفضه لي. شاركني جون بمشاعره خلال رحلة العودة. فما كان مني إلا أن كررت وجهة نظر أحد القادة وأنا أهر كتفي قائلة: «لا بأس بما حدث، فهو لا يجيد مناقشة الأمور مع النساء... ولكنني سعيدة لأنك لست كذلك».

ابتلعت الطعم وشككت في صحة أي رأي يمكن أن أدلي به. شعرت أن وجودي غير مهم، فأنا لم أضف للاجتماع أي شيء له قيمة. بل على العكس. كنت السبب في حدوث توتر بين الناس لأنني كنت المرأة الوحيدة في الاجتماع. قررت وقتها أن على جون الذهاب إلى مثل هذه الاجتماعات بمفرده لأنني كنت عائق وليس معين.

لست في حاجة لأن أقول لكم إن جون حاول أن يأخذني معه للاجتماع التالي ولكنني وجدت طريقة للتنصل من الحضور. وبالرغم من عدم استعدادي لمناقشة الأمر. إلا أن هذا الاجتماع ترك تحذيرًا في روعي لم أستطع تجاهله. مر وقت طويل وحاولت استرجاع الحدث في ذهني مرة أخرى عندما سمعت سيدات أخريات يرددن اختبارات مشابهة مع هذا القائد دون أن تعلم أي منهن ما حدث بيني وبينه في ذلك الاجتماع.

بدأت أتساءل. لماذا يرى ذلك الرجل المرأة التي قال عنها الله إنها «معين» للرجل على أنها «عائق»؟ ولماذا يعتبر رأيهم غير مهم أو غير ضروري؟ لقد قال الله بنفسه إنه ليس جيدًا أن يكون الرجل بمفرده. وأن يعيش الحياة بدون صوت المرأة. مرت السنوات واكتشفنا أن هذا الرجل يعيش صراعًا في حياته الخاصة ولهذا السبب حاول تحجيم دور النساء في العالم.

الأمر ليس شخصيًا

لا يمكن أن تُحل المشكلة عند نفس المستوى الذي تقابلت فيه معها.
ألبرت أينشتاين

لا أعرف شخصًا استطاع أن يعبر عن هذا المبدأ بوضوح وسلطان أكثر من أينشتاين؛ فلقد تمتع بذكاء غير عادي في الفيزياء وعلم الرياضيات. والأروع من عبقريته في الأرقام. كانت نظرياته المنهجية. لقد تجرأ أن ينظر إلى العناصر الموجودة في هذا العالم بطريقة مختلفة. لقد أدرك

كفيزيائي حقيقة زوال الزمن وأن المظهر الطبيعي للأشياء يمكن أن يكون محدود جداً.

وبالرجوع إلى مشكلتي مع هذا القائد أقول إنه كان من الممكن أن أحاول حل المشكلة عندما حدثت. كان من الممكن أن أعيد الأمور إلى نصابها وأن أتواجد في الاجتماع بالرغم منه. لأن جون قام بدعوتي ولأنه طلب سماع رأيي. كان من الممكن أن أصحح الخطأ وأمارس الحق الذي أعطاني إياه الرب بأن أكون جزءاً من الاجتماع. لكن الحقيقة هي أن المشكلة لم تكمن فيّ. لو كنت قد اتخذت الأمر بطريقة شخصية لما كان هناك حل حقيقي أو دائم للمشكلة ولما استطعت حلها ونحن جالسون حول طاولة الاجتماع. كان الأمر أعمق بكثير مما كنت أعتقد حينئذ. في اليوم الذي سمعت بالمشاكل التي حدثت في حياة هذا القائد. رفضت تصديقها... كيف لم أفهم وقتها؟ وعندها سمعت الروح القدس يهمس في أذني ويعلمني قائلاً: «إنها الحقيقة يا ليزا. والآن تستطيعي أن تفهمي الكثير... الآن يمكن أن تعرفي أنكِ لم تكوني قط طرفاً في الموضوع».

لِجَعَلْتِ مِنَ الصَّرَاحِ أَمْرًا شَخْصِيًّا، لَنْ يَكُنْ هُنَاكَ حَلٌّ حَقِيقِي لَوْ
وَلِئَمْ لِلْمَشْكَلَةِ.

لقد أضعت الوقت والجهد في محاولاتي لكي أفهم ما لا يفهم... وكذلك أنتِ أيضاً. ولكن علينا أن نتخلى عن هذه الأيام. أيتها الابنة الغالية. سوف يعترض طريقك الكثير من المشاكل والصراعات وقد تأخذين الكثير منها بصورة شخصية. أرجوكِ لا تفعلي ذلك. قاومي هذا الإغراء. فمثل هذه الأمور لا يمكن أن تحل من منظور شخصي. لذلك لا تجعلي الأمر شخصياً. لماذا؟ لأن الأمر لا يتعلق بكِ.

أنتِ لستِ طرفاً في انفصال والديك. كما أن إيذاء الناس لكِ لم يكن أبداً له علاقة بكِ. أنتِ لستِ السبب في خيانة صديقتكِ لكِ... ما كان الوضع ليختلف إن كنتِ فتاة صالحة. فأنتِ لم تطلبي من الشخص أن يعتدي عليكِ، أو يتخلى عنكِ. كما أنكِ لا تستحقين ما حدث لكِ. لقد حان الوقت لكي تنفضي عنك المنطق الأرضي. اغفري وواصلِي المسيرة. لا ترهقي نفسكِ في محاولة فهم ما لا يمكن فهمه. إن كنتِ لا تصدقين ما أقول. توقفي للحظة وفكري في الأمر

من وجهة نظر مختلفة. تذكري موقف معين كنتِ عنيفةً فيه مع شخص آخر. هل كان الأمر يتعلق به أم بمشاعر الغضب التي اعترتك والألم والأمور التي لم تحل بعد؟ هل أهنتِ آخرين لكي تظهرين قوياً؟ وهل تسببتِ في ألم للآخرين لأنكِ كنتِ متألماً؟ هل كانوا هم السبب الحقيقي؟

إنها حرب روحية

نميل كبشر في معظم الأحيان، إلى مواجهة مشاكلنا على المستوى الجسدي أو النفسي. إلا أن بداية هذه المشاكل لا تستدعي الاهتمام المطلوب للتوصل إلى حل قابل للتنفيذ. ولكي نستوعب هذا المفهوم جيداً، يجب أن ننقب في العمق أو كما يصيغها "سي إس لويس". يجب أن نتطلع إلى أعلى ونبعد إلى العمق.

«فإن مصارعتنا ليست مع دم ولحم، بل مع الرؤساء، مع السلاطين، مع ولاة العالم على ظلمة هذا الدهر، مع أجناد الشر الروحية في السماويات». (أفسس ٦: ١٢)

يحكم العالم الأبدي غير المرئي كل ما هو مرئي ووقتي، وكل ما يسعى وراءه عدو الخير هو أن يمنعنا من استخدام أسلحتنا الأبديّة في حربنا معه لأنها الوحيدة القادرة على هزيمته. يريدنا إبليس أن نصطدم ببعضنا البعض فنشهر أسلحتنا الأرضية في وجوههم؛ يريدنا أن نحارب كل ما نراه ونلمسه وأن نبعد أدينا عن مملكته، يريدنا أن نتصرف وكأننا لا نزال من ملكة العالم فننسى أننا من ملكوت السموات.

«لأننا وإن كنا نسلك في الجسد، لسنا حسب الجسد نحارب. إذ أسلحة محاربتنا ليست جسدية، بل قدرة بالله على هدم حصون». (٢ كورنتوس ١٠: ٣-٤)

إليكم مثل من أرض الواقع يشرح ما أريد أن أقول. دخلت مؤخراً إلى حجرة النوم الرئيسية ووجدت بقعة ماء على الأرض، في البداية خيرت من مصدرها لأنني لم أكتشف وجودها إلا في وقت متأخر من الليل عندما ساد الهدوء في البيت، عندها سمعت صوت تساقط قطرات الماء. تبعت

الصوت ونظرت لأعلى ولاحظت أن قطرات الماء تسقط من مكان بالقرب من مروحة السقف. انتابني القلق مما رأيت. فلم يسبق أن انساب الماء من السقف قبل ذلك الوقت. هل سينهار منزلنا؟

طلبت من جون أن يأتي ليتفحص الأمر وعندما فعل أخبرني أنه لا يوجد تسريب للمياه على الإطلاق. أما الماء المتساقط فكان عبارة عن رد فعل داخلي لحالة الطقس في الخارج وذكرني أن سرعة الرياح في الأيام السابقة كانت حوالي ٥٠ ميل في الساعة كما كان الطقس بارداً للغاية حتى أن ارتفاع الجليد وصل إلى قدمين. لم يتعرض المنزل لمثل هذا النوع من الرياح العاتية والتي تسببت في دخول نسبة قليلة من الثلوج إلى البيت من خلال فتحات التهوية الموجودة في السقف. وعندما عبرت الرياح. توقف تساقط المياه في المنزل.

وعندما يتساقط الماء من السقف. يمكن للمرء أن يضع أواني على الأرض لتلقي قطرات الماء الساقطة. ولكن المشكلة الحقيقية ستظل قائمة ما لم نتفحص مصدرها.

المرأة هي الحل الذي يقدمه الله للعلاقات الممزقة وللعالم المحتضر
وللكنيسته الواهنة.

فإذا كنت تتمتعين ببديهة وهدس. ستلاحظين أننا نعيش في عالم متغير الأوضاع والظروف. كما أن تلقي القطرات الساقطة ليس الحل الحقيقي أو الدائم للمشكلة. الله يقيم نساء يعرفن جيداً المشكلة الحقيقية أو المسبب الحقيقي لها (هناك رياح تهب في الخارج تعصف بحياتنا وبيوتنا) ويعرفن الحل الحقيقي لها (الأمر ليس شخصي وليس مع أشخاص) وتذكرني أن عدو الخير يعمل جاهداً وبكل قوته لكي يسلبنا قوتنا.

المرأة هي الحل الذي يقدمه الله للعلاقات الممزقة وللعالم المحتضر وللكنيسته الواهنة. المرأة هي ذلك الكائن الجميل الذي خلقه الله لكي يحل المشاكل (قمت بتغطية هذا الموضوع بالكامل في كتابي حاربي كامرأة). فما أكثر المرات التي اکتفينا فيها بتحريك قطع الشطرنج بدلاً من مواجهة القوة التي تمثلها كل قطعة. علينا أن نصل إلى أرض أكثر ارتفاعاً إن أردنا أن نتحلى بالقدرة على حل المشاكل.

المرأة: حامية الحق

هناك ملك حقيقي وهناك ملك مزيف. سماء رائعة الجمال، وجحيم مُروع. ونحن نعيش الآن في أرض المعركة المنحصرة بين الليل والنهار، الموت والحياة وكل ما نراه الآن بعيوننا سوف يزول في يوم من الأيام. وأنت أيتها الابنة الغالية، حامية الحق. لذلك لا يمكنك أن تفقدي الثقة في النور الساكن بداخلك. تأكدي من أن الشك هو أحد الأسلحة الفتاكة التي يستخدمها إبليس ضدك لأنه يريدك أن تترددي وتتقلقي بين عدم الإيمان والخوف. لذلك أنصحك أن تقاومي وأن تستمعي إلى المشورة الإلهية:

«وإنما إن كان أحدكم تعوزه حكمة، فليطلب من الله الذي يعطي الجميع بسخاءٍ ولا يعيرُ فسيعطى له! ولكن ليطلب بإيمان غير مرتاب البتة. لأن المرتاب يشبه موجًا من البحر تخبطه الريح وتدفعه». (يعقوب ١: ٥-٦)

يخبرنا هذا المقطع عن بعض المفاهيم الرائعة التي نحتاجها أن تستقر في أرواحنا حتى تكون لنا تلك المهارة ولكي نعلنها للآخرين. أولاً: إن كنت في حاجة إلى الحكمة، اطلبي من الله. ثانيًا: تأكدي أن الله يُسر بتقديم النصيح لك. ثالثًا: ليكن معلومًا لديك وتأكدي ... لأنك طلبت منه. سوف يجيب طلبك وهذا يعني أن عليك أن تنتظري سماع الإجابة.

ما للحقيقة، إلا خيالٍ مهبط طالت
ألبرت أينشتاين

في بداية إيماني بالمسيح، خيرت جدًا بشأن الآية المذكورة في رسالة يعقوب، لدرجة أنني ترددت في طلب الحكمة. فماذا لو طلبت وكنت غير واثقة من حصولي على استجابة صلاتي؟ أو ماذا لو كنت أشك في سماع الله لصلاتي؟ وبعد أن طلبت كنت أشك فيما اعتقدت أن الله يقوله لي: «حسنًا يا رب، هل أنت متأكد؟ ها أنا أطلب منك مرة ثانية في حال كان ما سمعته غير صحيح».

كان جون ينزعج جداً من هذا السلوك، وكان يقول لي: «يا ليزا، تتصرفين وكأنك تتأرجحين بين رأيين».

كنت عندها أصحح ما قاله قائلة: «لا يا جون، أنا أتأرجح بين ثلاثة آراء في هذا الأمر. أنا في حيرة أكبر مما تظن».

كنت أجلس على الأرض وكتابي مفتوح منتظرة سماع صوت مسموع قادم من السماء. كنت أتوقع سماع آية كتابية أو رقم صفحة أو حتى ربما اسم سفر من أسفار الكتاب المقدس ولكن في كثير من الأحيان كان الصمت هو الصوت السائد. كنت أقول لنفسي إن شيئاً لن يوقفني، وفي أوقات كثيرة كنت أمتنع عن الطعام قائلة: «لن أكل شيئاً حتى أسمع الإجابة».

أنا واثقة أنك أكثر ذكاء مني ومن المؤكد أنك تفهمين ما استغرقني فهمه سنوات: الله يستجيب في توقيته الخاص وبطريقته الخاصة. فلا يخدعك إبليس فيجعلك تتوقفي عن الصلاة معتقدة أنك حصلت على الإجابة بينما أنت لم تسمعي شيئاً من الله.

أيتها الابنة العزيزة، آمني أن الله سيجيب صلاتك وفي الوقت المناسب ستعرفين الإجابة، لأنه بمجرد أن تطلبي، يُستجاب الأمر في العالم الروحي. ولكي توقظي البديهة داخلك، يجب أن تؤمني أن الله أوجدك في هذا العالم لتكوني الإجابة والحل. ليكن شعارك: أنا الحل ولست المشكلة. كوني صادقة مع نفسك واعلمي أنك تتحلي بقدر من البديهة. والآن دعونا نعرف هذه السلعة الغالية:

البديهة (اسم): ١. الحالة التي يدرك أو يعرف فيها الشخص أمر معين دون أن يكتشف أو يفهم ماهيته أو القدرة على أن يفعل ذلك. ٢. شيء يُعرف أو يُدرك بالغريزة بدون وجود دليل يبرهنه. ٣. معرفة لحظية بشيء ما.^١

يشتمل تعريف البديهة أو الحدس على شعور لحظي بالمعرفة. عندما تعلن الحقيقة، يعرفها الشخص ويدركها على الفور. هناك شعور لا يمكن إنكاره عندما يُعلن الحق. أما الأصل اللاتيني لهذه الكلمة فيحتوي على جزأين ويعني: «المعلم أو المرشد الداخلي»^٢ وهذا ما تؤكدناه لنا كلمة الله:

«وأما أنتم فالمسحة التي أخذتموها منه ثابتة فيكم، ولا حاجة بكم إلى أن يعلمكم أحد، بل كما تعلمكم هذه المسحة عينها عن كل شيء، وهي حق وليست كذباً. كما علمتكم تتبوتون فيه».
(١ يوحنا ٢: ٢٧)

هذا ما يحدث عندما يُعلن الحق: يقوم المعلم الداخلي أو الروح القدس بتأكيد الأمر لك وفي داخلك، إنه شعور مؤكد مصحوب ببركة للحياة. ستسمعين صوتاً داخلِك يقول: «نعم اسمعي واقبلي». ستشعرين بانسكاب النور والقوة والحق والحرية على حياتك. هذا ما سيحدث حتى لو كانت الرسالة هي للتوبيخ والتوجيه، ستشاهدين داخلِك أنها رسالة حق وستكون مصحوبة باستناره وقوة لتقبلي التطهير والتوجيه والتوبيخ. مثل هذا الأمر يمكن أن يحدث أثناء قراءتك لكلمة الله أو في وقت العبادة أو الصلاة أو الاستماع إلى عظة أو أثناء قيادتِك للسيارة أو حديثك مع صديقة مُقربة لك.

«وأما المعزي، الروح القدس، الذي سيرسله الأب باسمي، فهو يعلمكم كل شيء، ويذكركم بكل ما قلته لكم. سلاماً أترك لكم. سلامي أعطيكم. ليس كما يعطي العالم أعطيكم أنا. لا تضطرب قلوبكم ولا ترهب». (يوحنا ١٤: ٢٦-٢٧)

إن العطية ليست الروح القدس- إنه المعزي. أما العطية فهي السلام وراحة البال وعدم اضطراب القلب. لقد أعطى الله هذه العطية الرائعة لكل من نال الميلاد الثاني. وهذا السلام يبقى لنا حتى وسط الصعوبات وعصف الرياح. قد يكون هناك بعض القطرات التي تذكرك بالحرب التي شنت ضدك ولكن سيظل هناك شعور بالأمان والطمأنينة أن هذه الأمور لن تسود عليك.

لا أتذكر عدد المرات التي نظرنا فيها أنا وجون كل منا للأخر وقلنا «يا لها من فوضى. يجب أن نصاب بالهلع! لماذا إذاً نشعر بمثل هذا السلام في قلوبنا؟» ذلك لأن هذا القلب الجديد يحمل في داخله سلام الله العجيب الذي يفوق كل إمكانيات عقولنا لاستيعابه. أما العالم، فليس له مثل هذا السلام. لذلك نجد الآخرين يتوترون ويهلعون، بينما نظل نحن هادئين. لذلك وجب علينا أن نحرس قلوبنا وننظفها ونحفظ عقولنا لكي نعيش ونبقى في سلام.

«وأعطيكم قلبًا جديدًا، وأجعل روحًا جديدة في داخلكم، وأنزع قلب الحجر من لحمكم وأعطيكم قلب لحم، وأجعل روحي في داخلكم، وأجعلكم تسلكون في فرائضي، وتحفظون أحكامي وتعملون بها». (حزقيال ٣٦: ٢٦-٢٧)

وعدنا الله بقلوب جديدة تمتلئ بأشواق صحيحة وبأرواح جديدة تطيع وصاياه تمامًا مثل جهاز الكمبيوتر الخاص بي. عندما قمت بشرائه كان محملاً بكل البرامج وخاليًا من الفيروسات وسيظل هكذا ما لم أدخل بيانات ملوثة إلى نظامه.

نعم لننا الميلااد الثاني ولكن علينا أن نتجرو.

لكن مع الأسف، يمكن أن يلوث التدين والجروح هذه القلوب الجديدة. فنجدها في حاجة إلى شفاء لتصير صحيحة ومشفية مرة أخرى. نعم لننا الميلااد الثاني ولكن علينا أن نتجدد.

«ولبستم الجديد الذي يتجدد للمعرفة حسب صورة خالقه». (كولوسي ٣: ١٠)

ولكن كيف نتجدد؟ نتجدد عندما نتعلم المزيد عن المسيح ونشترك أكثر في طبيعته. فكلما قرأت الكتاب المقدس، أتقى وأتطهر وأتقوى. وكلما تعبدت له، شعرت بالحماية وكلما صليت له، تأكدت من أن صلاتي قد سُمعت... في كثير من الأحيان يكون هذا هو كل ما في الأمر.

كيف نستعيد مهارة البديهة؟

في ضوء ما سبق، دعونا نكتشف كيف نستعيد مهارة البديهة ونطور حاسة التمييز؟ أعتقد أن الخطوة الأولى هي أن نعرف المصدر الرئيسي للبديهة أو حاسة التمييز.

«يكشف العماتق من الظلام، ويُخرج ظل الموت إلى النور. يكثر الأم ثم يبدها. يوسّع للأمم ثم يجليها. ينزع عقول رؤساء شعب الأرض، ويضلهم في تيه بلا طريق. يتلمسون في الظلام وليس نور، ويرنحهم مثل السكران». (أيوب ١٢: ٢٢-٢٥)

الله هو مصدر كل بديهة وتمييز وفهم. هو الذي يمنحها وهو الذي يقدر أن يأخذها. لذلك هي ليست ممارسة يقوم بها البشر من ذواتهم وإنما هي عطية من الإله القادر القدوس. فعندما نصبح بنات لإله السماوات. فإنه يمنح بعض من الاستنارة السماوية لهذه الأواني الخزفية بقوة الروح القدس. لذلك إن شعرت أن رؤيتك صارت معتمة أو أن تمييزك صار مشوّشاً. عليك أن تختاري نزع الأواني وتضعينها على رأسك وتُحكّمي إغلاقها. مرة أخرى أسألك: ما هو الغرض من وجودنا في هذا العالم؟

« ليضيء على الجالسين في الظلمة وظلال الموت، لكي يهدي أقدامنا في طريق السلام.»
(لوقا ١: ٧٩)

لكي نضيء للآخرين يجب أن نسلك في النور ونعيش بالحق. إلا أن الحق بدون سلام داخلي أمر غير وارد لأن السلام يهيئ مناخاً تزدهر فيه حاسة التمييز. وهي حاسة لا غنى عنها لكل ابن لله: إنها القدرة على التمييز بين أمرين. بين الخير والشر على سبيل المثال. تهيئ البديهة مستوى معين من الإدراك والتمييز يمكن الشخص من اتخاذ قرارات حكيمة. ولأن كلمة الله هي المرجع الأول والأخير للأفكار والنوايا. لذلك لن نتمكن من التمييز بحكمة ما لم نسلك بالحق.

كلمة (الله) هي المرجع الأول والأخير للأفكار والنوايا.

ولكي نتحقق من الأمر أكثر. دعونا نفسر بعض المصطلحات الأخرى:

الضمير (اسم): شعور داخلي بما هو صواب وما هو خطأ. يحكم أفكار الإنسان وتصرفاته ويحثه أو يحثها على فعل الصواب.

هل تتذكرون قصة بينوكيو؟ هي قصة لعبة خشبية مصنوعة على شكل ولد استطاعت الساحرة الطيبة أن تنفخ فيه نسمة حياة بعد أن كان بلا حياة وبعدها منحته فرصة لأن يكون ولدًا حقيقيًا وابنًا شرعيًا

لأبيه. على أن يحدث هذا التحول أثناء اجتيازه دروب الحياة بصحبة رفيقه «الضمير».

ولأن بينوكيو كان لعبة خشبية، فقد كان يفترق إلى الضمير الحقيقي والذي بدونه لن يصبح ولدًا حقيقيًا أبدًا. لذلك كلفت الساحرة الطيبة "جيمني" الصرصور ليقوم بدور الضمير والمعلم الأخلاقي لبينوكيو وكان عليه أن يسافر معه ويقوم بدور صوت العقل الخارجي بالنسبة للعبة الخشبية.

يا لها من مشكلة! فالصرصور صغير الحجم جدًا وصوته ضعيف غير مسموع (إلا إذا كان داخل رأسك). فبدون تلك القيادة الداخلية، يصبح صوت الصرصور خافت مقارنة بالاصوات الأخرى التي أحاطت ببينوكيو. بدأ بينوكيو رحلته ولديه آمال عظيمة واستعداد قوي لسماع صوت جيمني الصرصور ولكن سرعان ما تجده يحيد عن الطريق الصحيح في أول يوم له وقبل أن يصل إلى مبنى المدرسة. لم يستطع التمييز قط، فكل ما كان يسمعه كان يبدو له وكأنه فكرة رائعة، ومع كل اختيار أحرق كان يصنعه، وجد بينوكيو نفسه ينزلق أكثر فأكثر في الخطر ويتعد أكثر فأكثر عن صوت ضميره.

كم أشكر الله لأن ضمائنا ليست كائن خارجي يهمس بصوت ضعيف، بل لها صوت هادئ وثابت في دواخلنا. لا يمكن أن تسقط من على أكتافنا ولا يمكن أن نفقدها. قد نفقد التواصل معها إن لم نتفق معها على نفس الموجة. لذلك يجب أن نتعامل مع الضمير بدقة متناهية أكثر من أي وقت مضى. أنا شخصيًا أشعر أن ضميري يوبخني على أمور بدت عادية بالنسبة لي في السنة الماضية. الله يدعونا أن نظهر قلوبنا وأرواحنا حتى يكون بيته وشعبه طاهرين.

لم يخلقنا الله حيوانات بل خلقنا بشر على صورته، ووضع فينا ضميرًا يشهد للصواب والخطأ حتى قبل أن نولد. ضمير يبكتنا على خطايانا.

فمثلًا، أنا أحب كليتي جدًا، ولكنها كائن بلا ضمير. تحركها الظروف وليس شعورها الداخلي بالصواب والخطأ. ليس لديها ضمير يؤنبها لأنها تناولت الشيكولاتة الخاصة بابني، أو يجعلها تدرك أن ما فعلته يُسمى سرقة. هي فقط تعيش حياتها لحظة بلحظة. ربما تبدي الندم عندما نكتشف ما فعلته ولكني أؤكد لكم أنها غير نادمة على الخطأ الذي اقترفته بل نادمة

لأننا ضبطناها متلبسة. أما الضمير البشري فهو يوبخنا على أخطائنا حتى قبل أن نُضبط متلبسين. كما أنه يحثنا على وضع الأمور في نصابها الصحيح.
يُعرّف قاموس الكتاب المقدس الضمير بأنه:

قدرة ذهنية أو شعور متوارث بالصواب والخطأ. به نحكم على الطبيعة الأخلاقية لسلوك الإنسان. هو شيء يشترك فيه جميع البشر.
لقد تأثر الضمير. مثله مثل أي قدرة أخرى. نتيجة للسقوط (يوحنا ١٦: ٢. أعمال ٢٦: ٩. رومية ٢: ١٥). يقول عنه الكتاب في (تيطس ١: ١٥) إنه قد تنجس وفي (تيمو ٤: ٢) إنه صار موسومًا. وحثنا كلمة الله أن يكون لنا ضمير بلا عثرة من نحو الله والناس (أعمال ٢٤: ١٦. رومية ٩: ١. ٢ كورنثوس ١: ١٢. اتيموثاوس ١: ١٩. ٥. ١٩. ٣: ٢١).^٢

ذُكرت كلمة "ضمير" في العهد الجديد باللغة اليونانية (syneidesis) سبع وعشرين مرة وفيها يصف كُتاب العهد الجديد حالة الضمير بعدد من الصفات ككونه: صالح، طاهر، ضعيف، جريح، نجس، موسوم، غير كامل، نقي، شرير.

القلب: مصدر كل هذه الأشياء

قلب (اسم): هو مركز ليس فقط الأنشطة الروحية وإنما الوظائف الحيوية لحياة الإنسان أيضًا.^٥

تناولت كلمة الله في العهد الجديد العديد من الصفات لحالة قلب الإنسان: قلوب نقية ونجسة، صالحة وشريرة، صلبة وبعيدة عن الله، شكافة، أمينة، وغيرها من الصفات.
وتعلمنا كلمة الله أن هناك تطهير للقلب -الضمير- من الشعور بالذنب نتيجة لارتكاب الخطايا ومن نجاسة الخطية. ومن بين الأجزاء الكثيرة في العهد الجديد التي تتناول هذا الموضوع، أود أن ألفت انتباهكم إلى جزء واحد بالتحديد وهو (عبرانيين ١٠: ٢٢) لأنه يربط ما بين الضمير وبين تطهير القلب.

« لتقدم بقلب صادق في يقين الإيمان، مرشوشة قلوبنا من ضمير شرير، ومغتسلة أجسادنا بماء نقي». (عبرانيين ١٠: ٢٢)

- مرة أخرى نجد الإشارة إلى القلب الصادق غير المزيف. ومرة أخرى نجد أن الاقتراب إلى الله يجب أن يكون في يقين الإيمان بأنه يسمع أصواتنا. ثم نجد أن القلوب صارت مرشوشة ومطهرة بدم يسوع المسيح حمل الله الذي بلا عيب. أما سلوكنا فيجب أن يخلو من أي نجاسة وذلك بالاعتسال بماء كلمة الله. وعندما نقرب من الله يجب أن ندمج هذه الأشياء الأربعة معاً:
١. قلب صادق وأمين مع النفس ومع الآخرين.
 ٢. يقين أكيد أن الله يقبلنا في محضه ويشتناق أن نكون جزء من ملكوته.
 ٣. ضمير طاهر قادر على التمييز بين الصواب والخطأ.
 ٤. جسد تطهر من الخطية.

الشك

ذكرنا باختصار لمحة عن الطبيعة الساقطة لمهارة البديهة. فالغالبية العظمى منا تشك بالطبيعة بدلاً من أن تميز الأمور وتحكم بالبديهة فيها. كما أن الشك هو جزء أصيل من ثقافتنا وجزء من الإنسان العتيق الذي خلعناه عندما لبسنا المسيح.

« لأن طاعتكم ذاعت إلى الجميع، فأفرح أنا بكم، وأريد أن تكونوا حكماء للخير وبسطاء للشر». (رومية ١٦: ١٩)

تعلمنا كلمة الله أنه يجب أن نكون حكماء. بمعنى أن تكون لدينا المهارة فيما هو للخير ونتطهر من كل ما هو شر. ما أكثر المرات التي كنت فيها ساذجة وغير مدركة لما هو خير وجيد. فركزت نظري على ما هو خطأ وذلك عندما تكلمت عن أخطاء الآخرين رغم جهلي بنقاط القوة فيهم.

ما أكثر المرات التي كنت فيها ساذجة، وغير مدركة، لما هو خير وجيد، فركزت نظري على ما هو خطأ.

وفي إحدى الليالي جلست في غرفتي وبكيت «يا رب لا أريد أن أكون أمينة لما هو خطأ، بل أمينة لما هو حق!» في تلك الفترة كانت الكنيسة تمر بوقت عصيب وكم اضطربت من التقارير المؤكدة والشكاوى السلبية، وكان عليّ أن أغض بصري عما هو سلبي وأركز نظري مرة أخرى على كل ما هو طاهر وكل ما هو حق. فلكي يكون الشخص حكيماً بشأن أمر معين، يجب أن يعرفه جيداً لأن الإنسان يميل إلى أن يعيش ما يعرفه. يا له من كنز كبير أن نعرف كل ما هو صالح، وأن نحيط أنفسنا برجال ونساء ماهرين في ملاحظة ما هو رائع وجيد في الآخرين وفي الكنيسة وفي أنفسنا وفي العالم.

هذا لا يعني التنكر للمشاكل وعدم مواجهة الخطية، ولكننا في حاجة للتعامل مع هذه القضايا من منظور إيجاد الحلول. فما أكثر الخبراء المتخصصين في البحث عن المشاكل في هذه الأيام، ولكن أين الخبراء المتخصصون في كل ما هو جيد وعادل وطاهر؟ فإن أردنا التغلب على الذهن الشكاك والناقض، علينا أن نتأمل ونفكر في كل ما هو صالح.

«أخيراً أيها الإخوة، كل ما هو حق، كل ما هو جليل، كل ما هو عادل، كل ما هو طاهر، كل ما هو مُسر، كل ما صيته حسن، إن كانت فضيلة وإن كان مدح ففي هذه افتكروا. وما تعلمتموه وتسلمتموه وسمعتتموه ورأيتتموه في هذا افعلوا، وإله السلام يكون معكم».

(فيلبي ٤: ٨-٩)

لكل منا القدرة على اختيار الأمور التي نفكر فيها، والتي بدورها تقود زمام سلوكنا وتصرفاتنا. لقد تعلمت أن أسيطر على عقلي حتى لا يجمع بعيداً. فإن لم أفحصه باستمرار، جمح وصار خارج نطاق سيطرتي. لذلك يجب أن أختار أن أفكر في كل ما هو جميل ومُسر ومُشرف وعادل، وإن لم أفعل. سوف يضل في الاتجاه المعاكس. أنا بطبيعتي شخصية إيجابية، إلا أن ذهني يمكن أن يحول كل شيء إلى أمر سلبي بسرعة كبيرة إن لم أثبت أفكاراً على كل ما هو جيد.

لاحظ أنك الشخص الوحيد صاحب السلطان على أفكارك، إنها مهمة لا يستطيع زوجي أو راعي كنيسة أو أصدقاؤني القيام بها بدلا مني. أنا المسؤولة عن وضع الحدود والتوجهات لأفكاري.

يصحب الشك خوف وقلق. في حين يتلازم السلام والحب مع البديهة وتمييز الأمور. الشك هو اعتقاد بالرفض مصحوب بمشاعر عدم الثقة والريبة. الشك هو الميل إلى عدم تصديق الأمور التي نراها. نشك في الناس عندما نكون غير أمناء مع أنفسنا ومع الآخرين أيضًا. فإن كنت لا تثق في نفسك، فلن تثق أبدًا في الآخرين وستتراكم السحب والظلال التي ستعيق رؤية الحقيقة في الآخرين أو في الأحداث. يصاحب الشك مشاعر غيرة، ويفسر قاموس وبستر كلمة "الشك" فيشرحها على هذا النحو: «التقلقل بين الأفكار ويشبه الخفافيش بين الطيور. التي لا تطير إلا في جنح الظلام».^١

يصحب (الشك) خوف وقلق، في حين يتلازم (السلام) والحب مع (البريئة) وتمييز (الأمر).

يا له من تفسير يشرح الكلمة. يستطيع كل منا أن يمتحن أفكاره ليرى إذا كان يفكر حقًا بتمييز أم بشك وذلك عن طريق المكان الذي تسكن فيه أفكارنا؛ في الظلمة أم في النور؟ هل الافتراضات التي نفكر فيها تجعلنا نسير نحو الظلام أم ناحية النور؟ ذلك لأن معظم الشكاكين يخشون الماضي قدمًا في النور لأنهم قد امتلأوا ظلامًا. يخشون ترك زمام الأمور ويخشون أخذ مشورة الرب. أيتها الابنة الغالية، لا يجب أن تسير الأمور على هذا النحو لأن الله لم يقصد أن تعيشي في ظلام وفي خوف، وإنما لكي تتمتعين بالنور والحب.

«لا تهتموا بشيء، بل في كل شيء بالصلاة والدعاء مع الشكر، لتعلم طلباتكم لدى الله. وسلام الله الذي يفوق كل عقل، يحفظ قلوبكم وأفكاركم في المسيح يسوع».

(فيلبي ٤: ٦-٧)

الشكاك شخص يريد أن يعرف مسبقًا ما سوف يحدث. فهو لا يحب المفاجآت بل يريد أن يتأكد أنه في أمان وأن زمام الأمور في يده. وفي أغلب الأحيان يريد الشكاك أن يكون على صواب بشأن أخطاء الآخرين معتقدًا أنه إن توقع الأسوأ من الناس فلن يُصاب بخيبة أمل.

دعوني أقول لَكُنَّ إن الشك لن يشعركن بالأمان بل بالعكس سيجعلكن تخدمن أنفسكن. ربما تعتقدن أنكن على صواب عندما يتبرهن خطأ الآخرين ولكن هل هذه هي الدعوة التي دعانا الله إليها كبنات للعلي؟ لقد خلقنا الله من أجل قصد أسمى ودعوة أفضل. لقد أوجدنا الله لكي نصحح الخطأ. لكي نبني آخرين لا أن نهدمهم.

«وأما الحكمة التي من فوق فهي أولاً ظاهرة، ثم مسالمة، مترفة، مدعنة، مملوءة رحمة وأثماً صالحاً، عدمة الريب والرياء. وثمر البر يُزرع في السلام من الذين يفعلون السلام». (يعقوب ٣: ١٧-١٨)

نستطيع أن نمتحن المصدر الحقيقي للحكمة بأن نتعرف على الأمور التي تصاحب هذه الحكمة. فكل من يميز الأمور ويمتحنها بالحكمة الإلهية ليس في حاجة لأن يبرهن للآخرين أنه على صواب. بل يظل مخلصاً لما يؤمن به دون أن يجبر آخرين على الاتفاق معه في الرأي لأنه يعلم أن الصلاح والحق سيغلبان في النهاية.

والعكس صحيح. فالشخص الشكاك سيحاول جاهداً أن يدين الآخرين وأن يجعلهم في صفه. أما الحدس والتمييز فيشعر الشخص بالرضا أثناء الانتظار.

«لا يغلبنك الشر بل اغلب الشر بالخير». (رومية ١٢: ٢١)

اختبر ذاتك:

هل أنت صادق مع نفسك؟

هل تتذكر المرات التي صدق فيها حدسك؟

هل تتذكر المرات التي لم تتبع فيها حدسك وندمت على ذلك؟

ما الأسباب التي جعلتك تصمت؟

هل كانت هناك أوقات كنت أفضل فيها من ناحية تمييزك للصواب

والخطأ في عملك وفي علاقتك بزوجتك وأصدقائك وفي كنيسةك ومع

أولادك؟

ما هي القوة التي تجذبك أكثر هل الشك أم الحدس؟

دعونا نصلي.

أيها الأب السماوي، أريد أن أكون حكيمة في الخير وبسيطة في الشر. سامحني على الأوقات التي جَاهلت فيها حدسي وكنت غير أمينة مع قلبي ومع نفسي. سامحني على الأوقات التي لم أستمع فيها لصوت قلبي فكننت غير أمينة مع الآخرين. طهرني يارب واعزل الجيد من الزوان في داخلي لكي يفيض قلبي بأنهار حياة تروي وتنعش. جدد قلبي وأجعل نفسي حساسة لسماع صوت الروح القدس الساكن في داخلي. آمين.



٧

مرشد ومنصح أم أم

يا له من موقف ساخر ذلك الذي حدث معي منذ عدة سنوات عندما اتصلت "جودي"، المساعدة الخاصة بي، على هاتفي المحمول أثناء قيامي بالتسوق في السوبر ماركت.

«ليزا، لقد وصلك اليوم عرض رائع!»

«ما الأمر يا جودي؟» سألتها ثم أخذت عربة التسوق إلى مكان هادئ في الممر الخاص بالحبوب الجافة.

أجابت بكل حماس: «أنت مدعوة لكي تكوني واحدة من المتكلمين في مؤتمر للمرشدين!»

صمت لبرهة وتفاجأت جودي بسبب صمتي فتابعت قائلة: «سوف تقبلين الدعوة، أليس كذلك؟»

«متى سيكون المؤتمر؟»

«في شهر أبريل من العام المقبل.»

«من هم المتكلمون الآخرون؟»

أخبرتني جودي بسرعة بقائمة من الأسماء الرنانة.

أجبت: «سوف أصلي من أجل الأمر.»

«بالطبع، ولكني اعتقدت أنك ستسعين بهذه الدعوة، فالموضوع يناسبك تمامًا.»

لم أكن واثقة من ذلك، ربما كان الموضوع مناسبًا للأسماء التي ذكرتها جودي ولكنه ليس كذلك بالنسبة لي. ماذا لو لم أمتلك ما يحتاج إليه الموضوع. وبالرغم من مخاوفي، قبلت الدعوة على أمل أن أكون في الهيئة المناسبة بحلول موعد المؤتمر.

مر الوقت سريعاً ولكن بحلول شهر أبريل، كنت ملازمة للفراش بسبب إصابتي بكسر في أنفي أثناء ركوبي الأمواج في "هاواي". لم أذهب على الفور إلى الطبيب بل انتظرت أسبوعين ولما لم يتحسن الورم ولم يتحسن ضغط الأذن من جراء ركوب الطائرة أدركت أن الأمر خطير؛ ربما حدث انسداد في مجرى الهواء. أخبرني الطبيب المعالج بالخيارات المتاحة أمامي وكان عليّ إما أن أخضع لجراحة على الفور لتسليك مجرى الهواء، أو أن أنتظر لمدة ثلاثة أشهر ثم تكسر أنفي مرة أخرى ليتم تصحيح وضع عظامها. ولما لم أكن أرغب في كسر أنفي مرة أخرى عن قصد، قررت الخضوع للجراحة لإصلاح أنفي الذي كسرته مرتين حتى الآن وتعين موعد الجراحة صباح اليوم التالي.

وفي صباح يوم أحد القيامة، كنت أرقد في الفراش وعلى وجهي جبيرة تغطيه. رفض جون طلبي بالذهاب معهم إلى الكنيسة قائلاً: «يا ليزا أنا في وضع لا يسمح لي بشرح ما حدث لكل الحاضرين ولن أعطي الفرصة لهم ليعتقدوا أنني قمت بضربك. فقط امكثي في البيت واستعدي لمؤتمرك القادم».

بعد أن ودعت عائلتي المكونة من خمسة رجال في منتهى الأناقة، عدت إلى فراشي ومعني جهاز الكمبيوتر النقال وكتابي المقدس. قمت بعمل دراسة سريعة على بعض الكلمات المتعلقة بموضوع النصح والإرشاد وأخيراً قررت أن أعبر عن مشاعر الخوف والحيرة التي اجتاحتني، لأبي السماوي: «كيف قبلت الدعوة؟ كيف سأحدث في هذا المؤتمر المخصص للمرشدين؟» شعرت وكأنني مثال للطفل الذي لا يفعل الأشياء على النحو المطلوب منه بدلاً من كوني مثلاً يحتذى به الآخرون.

شعرت وكأنني مثال للطفل الذي لا يفعل الأشياء على النحو المطلوب منه
برلاً من كوني مثلاً يحتذى به الآخرون.

تذكرت المتكلمين الآخرين. كنّ نساء يتمتعن بسمعة وتراث مسيحي ومعظمهن كن يجيدن الترنيمة. بل وقد توارثن الإيمان المسيحي لأجيال قد تصل إلى عهد نوح.

إلى جانب هؤلاء، كنت أنا... أول جيل مسيحي في عائلتي. وبينما كان هؤلاء النساء يصلين من أجل أزواج مؤمنين، كنت أنا أجرب كل شيء مع

زملائي في فريق الرياضة. وحتى بعد أن أصبحت مؤمنة ومكرسة ومتزوجة اشتُهر عني باللقاء الأشياء في وجه زوجي والصراخ في وجه أبنائي! تخيلت أنني سأبدأ محاضرتي بهذه المقدمة: «أهلاً بكم. اسمي ليزا. طُلب مني أن أكون لكم مثالاً لما يجب ألا تفعلوه» وتخيلت السيدات يخرجن من القاعة واحدة تلو الأخرى وهن يرددن: «من ذا الذي يريد أن يستمع إلى تلك المرأة؟ نريد أن نستمع لشخص يعلم جيداً ما يعلمه». أرعبتني الصورة التي تخيلتها بوضوح شديد. فقررت أن أصلي: «أيها الأب السماوي. ما هو الشيء الذي يمكن أن أضيفه لهذا الاحتفال؟ ستأتي بناتك إلى هذا المؤتمر بهدف الاستماع إلى مرشد. فماذا أقول لهن؟ يحتجن لمرشد حتى يستطيعن بدورهن أن يرشدن آخري... ساعدني يا رب». أنا لا أبحث عن مرشد أو منصح...

إنما أبحث عن الأم.

سكنت شكواي وتذمري أمام الرب. ولم أتوقع في حقيقة الأمر أي نوع من الرد ولكن جاءتني الإجابة: «اخبري بناتي أنني أبحث عن المزيد. لست أبحث عن مرشد أو منصح... إنما أبحث عن الأم». أم؟ أستطيع أن أكون أم لأنني كذلك بالفعل ولكن ما هو الشيء المميز في الأم؟ قد يكون معظم الحاضرين أمهات أو جدات. ولكن ألا نبحث نحن عن مرشدين لأن عطاء الأم غير كافٍ؟ لقد أوضح لي الرب ما كان سخيلاً ومحيراً في البداية. «يميل المرشد إلى عمل نسخة من نفسه. أما الأم فتريد لأبنائها وبناتها أكثر بكثير مما حظيت هي به». وبعدها توالى الاختلافات بين الإثنين بسرعة أكبر من سرعتي على تدوينها. شكرت الرب من أجل الدعوة ومن أجل الاستجابة التي فتحت ذهني على أسلوب جديد في التفكير.

شرح الاختلاف

للمزيد من الفهم، دعونا نعرّف كلمة مرشد أو منصح:

مرشد (اسم): ١. مشير أو معلم حكيم وموضع ثقة. ٢. مرشد في الأساطير اليونانية. المشير الأمين أوديسوس الذي تتلمذ على يديه أتينا ليصبح الحارس والمعلم لتليمانتشوس.^١

والمرشد في كتاب «الأوديسة» لهوميروس كان الصديق الذي أئتمنه أوديسوس على بيته وكان بمثابة المعلم والحامي لأولاده في غيابه. كان اسم المرشد الأول «منتور» وكان الوكيل على كل ممتلكات أوديسوس. كان «منتور» مجرد حارس أو حامٍ في غياب الأب. إلا أنه لم يمتلك القوة أو النفوذ لكي يسمو بالأولاد لمكانة أعلى من مكانته.

يعتبر المرشد في يومنا هذا وظيفة يحترفها شخص ويقوم من خلالها بتقديم الإرشاد والمشورة لشخص آخر. فالإرشاد إذاً مهمة يُكلّف بها شخص محترف ومؤهل لها. أما الأمومة فهي ليست مهنة. إنها فوضى. وفي حين يكسب المرشد ثقة الآخرين من خلال إنجازاته، تستأمن الأم على كل ما هو غاليّ وقيم من خلال تضحياتها الشخصية سواء اكتسبوا هذا الحق أم لا... ما يجعل الأمر بمثابة مقامرة إلى حد كبير.

ويرتبط تقديم النصح والإرشاد في أغلب الأحيان بأوقات معينة ووفق جدول منتظم. أما الأمومة فهي عكس ذلك. فبالنسبة للأم يمثل احتياج الأولاد أمر ملح فالاحتياج يجب تسديده في التو واللحظة مهما كان الوقت غير مناسب (مثل مرض طفلك في منتصف الليل). يعتبر النصح والإرشاد عمل منظم ومدروس ومصحوب بمنهج. أما الأمومة فتأتي بدون دليل مُستخدم. فالأمومة هي استعداد لقيادة وتدريب آخرين خلال مواسم الحياة وتجاربها المختلفة. فالأم ترى الجيد والسيئ والبشع في بعض الأحيان (هذا ما أراه في أولادي على الأقل).

يشجع المنصح أو المرشد آخرين لكي يتبعوا قيادته لهم بأن يتخذونه مثل أعلى. أما الأم فلا تريد بالضرورة أن تصبح ابنتها صورة طبق الأصل منها. صلاتي لكل ابن من أبنائي هي أن يكون نسخة أكثر تطوراً وتعديلاً مني. ومن بين أعظم مشاركات الأم هي عندما تضع حياتها من أجل إحياء حياة شخص آخر. هناك أمر يُطلق عليه الحاض. إلا أن ولادة الطفل تحدث كل يوم. ولن يعرف الابن أو الابنة مقدار التضحية الجسدية التي قمت بها حتى يكبرون. فما من ابنة لم تُقدّر ما فعلته أمها بعد أن صارت هي نفسها أم واختبرت آلام الحاض.

ولكن قبل أن تعتقدوا أنني أقلل من شأن الإرشاد أو النصح. دعوني أوضح ما أعنيه. أنا لا أعتقد ولو للحظة أن الإرشاد أو النصح أمر سيئ. بل أوّمن أنه الشيء الذي يجب أن نبدأ به كنساء لكي نتواصل معاً ولكني لا أعتقد أنه كاف.

فنعمي لم تكتفِ بكونها المنصح أو المرشد لراعوث. بل كانت أم لها. ولم يكتفِ بولس بكونه المرشد لتيموثاوس. بل كان بمثابة أب له. ولم تقدم أليصابات التوجيهات لريم فقط بل باركتها كما تفعل الأم مع ابنتها.

الأمومة: العمق والتاريخ

قد تأتي فرص العمل وقد تذهب. أما العلاقات فتنبشاً وتستمر مدى الحياة بمجرد أن تصبح المرأة أمًا. فبعد أن تختبر المرأة مشاعر الأمومة تختلف نظرتها بالكامل للرضيع والطفل أو حتى للمراهقين. تبدأ هذه العلاقة بمجرد أن تدب حياة الصغير في داخلك. ربما بعد الشعور بأول ركلة منه أو ربما بعد أن تحظين بالطفل الذي طال انتظارك له من خلال التبني. وسواء ولدت أبناءً أم راعيت واحدًا بالتبني. تأكدي أن هناك علاقة ورابطة قد تشكلت. وبمجرد أن تُشعل روح التبني في داخلك، فلا يوجد خط رجعة.

«المرأة وهي تلد تحزن لأن ساعتها قد جاءت، ولكن متى ولدت الطفل لا تعود تذكر الشدة لسبب الفرح، لأنه قد وُلد إنسان في العالم». (يوحنا ١٦: ٢١)

كنت أظن أن العدد السابق هو العدد الوحيد غير الصحيح في الكتاب المقدس. فبعد ستة أشهر من ولادة طفلي الأول، كنت لا أزال أتذكر الألم بكل دقة ووضوح حتى أنني كنت أتوجس حملي بطفلي الثاني. وحاولت بكل الطرق إيجاد السبيل لتجنب الألم. وعندما بدأت آلام المخاض عند ولادة ابني الثاني أوستن، اعتقدت أن شيئًا ليس على ما يرام فيّ لأنني كنت لا أزال أتذكر آلام الولادة الأولى. لذلك أقول إن المسيح لم يقصد أبدًا أن المرأة ستفقد الذاكرة بالكامل فيما يختص بالألام التي سبقت الولادة ولكنه يقول إن الفرح الذي ستختبره عند الولادة سوف يحل محل التعب الذي مرت به قبل الولادة.

لماذا ابتلع الفرحُ الألم؟ بعد السقوط أصبحت الحياة تولد من الألم. كم مرة اخترت ألم في حياتك؟ حسنًا الأم تعلم كيف تحول الألم إلى فرح. هل أدركت ولو للحظة أهمية الدور الذي تلعبه الأم في العالم. وهل ترين السبب الذي لأجله يحاول عدو الخير الإطاحة بكل امرأة والتقليل من الدور الذي تلعبه؟

تعلم (الأم كيف تحول (الأم إلى فرع.

منذ عشرات السنوات. رفضت المرأة صورة الأم السلبية التي لازمت المنزل. ولأسباب عديدة شعرت المرأة بأنها غير قادرة على أداء ما هو متوقع منها. ومن بين الأمثلة التي رأيناها في ذلك الوقت كانت "جون كليفر" و"دونا ريد". مثلت كل منهما السلبية والحيرة وعدم الشجاعة فيما يتعلق بآمالهما وأحلامهما. وبمرور الوقت تساءلت المرأة إن كان بقاؤها في المنزل سيكون مشبعًا وأمنًا بالنسبة لها. بدت المرأة ضعيفة ومنعزلة عن العالم بسبب العنف الأسري وارتفاع معدلات الطلاق.

بدأت ربة المنزل تبحث عن أدوار تقليدية تجد فيها حقيقتها لذاتها وفي نفس الوقت. الأمن والأمان. تطلب الأمر أن تسلك مسلك الرجال. وهكذا حاولت دمج الأمومة مع سعيها وراء المهنة والاحتراف. دخلت المرأة سوق العمل وحاولت أن تنجح فيه ولكنها في أحيان كثيرة كانت تفقد جزءًا من الهدف الذي خلقها الله لأجله.

وفي محاولتنا لكي نكون أمناء مع أنفسنا ننسى حقيقة أن حياتنا لا تُفاس بما نفعله وإنما بما نودعه للآخرين. سبق وحاولنا بمنتهى الأناية أن نحمي شخصيتنا ولكننا فقدنا في المقابل ما يجعل الحياة تستحق العيش. فلم تستطع أية جمة تليفزيونية أن تجسد بالفعل حقيقة وجوه وعروق الأمومة. ولا يمكن لعمل فني أن ينقل صورة شيء في منتهى الحميمية وفي ذات الوقت واسع المدى وبهذا السمو في المقياس.

ربما كان على النمط القديم أن يندثر حتى تظهر المرأة في صورتها الجديدة. وعندها فقط ربما سنقدر تفرد هذه الموهبة وذلك التأثير الذي تتمتع به الأم. فموهبة الأمومة وقوة طبيعتها لن يزدهرا في ثقافة تقدر حماية الذات أكثر من تقديرها للحياة والعائلة. هذه هي الحقيقة سواء كنت امرأة عاملة أم لا.

الحكمة في انتظارنا

حسنًا. أين أمهات هذا الجيل؟ إن نظرت عن قرب ستجدي نماذج لهؤلاء الأمهات في كل مكان ومن مختلف الأعمار أيضًا. في أغلب الأحيان ستجدهم في انتظار تقديم الدعوة لهن. منهن ربوات البيوت ومذيعات

برامج التليفزيون ومؤلفات المقالات والكتب. ومديرات شركات ناجحة وفي مراكز حكومية مرموقة. ومدرسات ومقدمات رعاية صحية. كل هذه مجرد وظائف يقمن بها. وبالرغم من كل تلك المناصب. أعتقد أنهم جوعى للمزيد... يستمعون وينتظرون عمل الروح القدس في داخلهن.

نحن لا نريد تلك الصورة المشوشة لربة المنزل. فبنات هذا الجيل غير مهتمات بمشاهدتنا ونحن نتظاهر بأننا كاملات لأن كل إنسان عاش على الأرض اختبر الفشل. تشتاق البنات في أيامنا هذه إلى ما هو حميم وليس إلى ما هو كامل. يريدن أن يعرفن ماذا تعلمنا من أخطائنا ويتمنين أن نتحلى بالشجاعة الكافية لكي نكون أمينات وصادقات وحكيمات في كلماتنا وفي الدروس التي تعلمناها من الحياة. يأملن أن نبقي على المرارة في قصصنا ونقدم إياها ككأس من النبيذ المقترن بالوعد.

«الحكمة بنت بيتها. نحتت أعمدتها السبعة. ذبحت ذبحها. مزجت خمرها. أيضاً ربت مائدتها». (أمثال ٩: ١ - ٢)

فإما أن تعطي المائدة التي نعدّها في هذه الحياة قوّة لكل من يتناول منها وإما تضعفه، والطعام الذي سنشترك فيه إما أن يقوينا أو يحطمننا. إما أن نبني البيوت التي نخدم فيها بالحكمة أو بذكائنا وقدراتنا. فهل سنبنّي هياكل مُدعمة بالأعمدة الثابتة الشامخة أم بالسواري المصطنعة غير الحقيقية.

كل ما سنعجز عن تحقيقه في هذه الحياة نستطيع أن نتركه للأجيال الأخرى لتكمله، وما سنعجز عن تعليمهم إياه، سوف يتعلمونه في وقت لاحق في حياتهم وبرغم سنوات الجهل والضياح. إلا أنني لا زلت أسمع صوت الحكمة تنادي كل أم وكل ابنة لكي يقترين إليها.

«هلموا كلوا من طعامي، واشربوا من الخمر التي مزجتها. اتركوا الجهالات فتحبوا، وسيروا في طريق الفهم». (أمثال ٩: ٥ - ٦)

فهل تسمعين صوت الحكمة؟ إنه هناك إن أردت أن تسمعيه. هي تنادي علينا وسط صخب الشوارع والطرقا، ولكن يجب أن نعرف صوتها أولاً حتى نتمكن من تمييزه من بين الأصوات الأخرى وصخب الحياة.

أتذكر المرة الأولى التي صرخت فيها منادية الحكمة لكي أكل من طعامها وأشرب من خمرها. أتذكر بوضوح كيف كنت أطلب من الحكمة أن تكون داعمة لي. كنت وقتها حديثة الإيمان وفي أوائل العشرينات من عمري وكنت أعمل كمندوبة مبيعات لشركة مستحضرات تجميل كبيرة. تطلب عملي السفر إلى ثمان ولايات بصفة مستمرة. فكنت أغادر صباح يوم الإثنين وأعود مساء يوم الجمعة. كنت أبقى لليلال كثيرة في غرفتي بالفندق بعد عودتي من العمل في المساء. كنت أطلب الطعام في الغرفة. أستحم. ثم أقرأ في كلمة الله لساعات. نادراً ما كنت أشغل جهاز التليفزيون في تلك الأمسيات. كنت أجلس في السرير ومعني نوتة وبمفردي في الغرفة وكنت أصرخ في يأس طالبة الحكمة قائلة: «أيتها الحكمة أحتاج إليك. أطلبك من كل قلبي. أدعوك أختي». واتخذت من سفر الأمثال نموذجاً لصلاتي:

«قل للحكمة: «أنتِ أختي» وادع الفهم ذا قرابة». (أمثال ٧: ٤)

قد يبدو الأمر سخيفاً الآن. ولكنني وقتها لم أكن أعلم ماذا ينبغي أن أفعل غير ذلك. كنت أرغب بشدة في حضور الوليمة ولكنني كنت أجهل السبيل إليها. كان الله أميناً ومنحني قوة الحكمة. وكلما كنت أقرأ في الكلمة كنت أجدّها. لكن مع الأسف هناك الكثير من بنات الله اللاتي يتعلمن بمعزل عن الآخرين ما يمكن أن يتعلمنه بسرعة من هؤلاء اللاتي اجترن الطريق قبلهن دون أن يستمتعن بتلك الوليمة المنعشة. تنبع المياه المرة من حياة مرة وتهدد تلوث الماء والخمر. وما أتعسنا نحن النساء لأننا نميل إلى توريث بناتنا الألم والانزعاج بدلاً من الوعد والفرح المصاحبين للحياة الجديدة.

ما أتعسنا نحن النساء لأننا نميل إلى توريث بناتنا للألم والانزعاج بدلاً من الوعد والفرح المصاحبين للحياة الجديدة.

يختار كل منا الميراث الذي يتركه خلفه

لقد وُلد الطلاق عبارات مرة مثل «والدك...» وخلق التمزق الأسري مسافة

بين الأم وذريتها ورفضاً لهم؛ لارتباطهم بالعدو. تلك المسافة وهذا الرفض ينفضان السموم في قلوب البنات الصغار ويضعون حملاً على أكتافهن: «أي طرف يجب أن أحب وأيهما أكره؟»

«الصالح يُورث بني البين، وثروة الخاطئ تُذخر للصديق». (أمثال ١٣: ٢٢)

يجب أن يُنْفَق المال على كل ما هو جيد ومُرْضٍ لقلب الله. كذلك أيضًا ثرواتنا يجب أن تنتقل للجيل التالي وتزداد غنى مع كل يد تتناقلها. دعوني أؤكد أن المقصود بالثروة ليس فقط المال. فسفر الأمثال لا يقصد بالإرث ما يُورث مادياً. وسواء كان الميراث أموال أو حكمة أو معرفة أو السير في مخافة الرب. نحتاج أن نبارك أبناءنا به. هذا بالإضافة إلى أن الميراث ليس بالشيء الذي يجب أن يصارع الأبناء والأحفاد من أجل الحصول عليه. بل هو أمر عليهم فقط أن يرثوه من الآباء. إلا أن أولادنا في هذا العصر لا يرثون ما يحتاجون إليه. سواء على المستوى المادي أو العاطفي أو الروحي. بل نجدهم يرثون الندم والألم والأخطاء.

وما أكثر المرات التي ضاع فيها الإرث بسبب آثار الطلاق العاطفية والروحية والمادية! وما أكثر عدد الأجيال سواء من الرجال أو النساء الذين كان عليهم أن يعملوا بكد ولفترات طويلة ليجدوا في نهاية الأمر أن غناهم المادي قد تلاشى؟ فبدون بناء علاقات قوية وصحيحة، لا يساوي المال الكثير. إنه لأمر محزن أن يفشل الأجداد في ترك ميراث لأحفادهم سواء ميراث مادي أو روحي. لأنهم ببساطة لا يمتلكون الكثير.

وعندما تتحطم البيوت، تقسم أرصدة المنازل وتُفصل الحسابات المشتركة في البنوك وتستنفذ على المصاريف القانونية. والأسوأ من الاستنزاف المادي ضياع الأمل والتاريخ الذي كان يجب أن يُورث لكي يكون بمثابة المرشد لمن هم حولنا.

لكن ماذا لو وقف هذا الجيل من الأمهات ورفضن كل هذا؟ ماذا لو قررت النساء المؤمنات في كل مكان ألا يسمحن للخوف أن يكون مشيراً لحياتهن؟ ماذا لو قلنا «يكفي ما حملناه من ألم» وطلبنا حياة في المقابل؟ ماذا لو سعينا لأن نمنح الآخرين ما لم يتركه أحد لنا؟

تقع مسؤولية اختيار ما سنورثه للأجيال القادمة على عاتقنا. فإما أن نختر توريتهم مواعيد الله أو الخوف. لا توجد أرض محايدة لأي منا. لقد

أعطى الله كل جيل من الأمهات عطية الوقت والتأثير. والسؤال هو: كيف سنستغلها في حياة البنات اللاتي وضعهن الله في طريقنا؟

ماؤلا لو قررت النساء المؤمنات في كل مكان ألا يسبحن للخوف أن
يكون مشيرًا لحياتهن؟

تبنى العلاقات بين طرفين ويحدث التواصل من الطرفين. لذلك عليكن أيتها البنات أن تبحن عن الأمهات في حياتكن على قدر طاقتكن لأن دعوتكن أكبر بكثير من دعوة جيلنا وأعظم مما نتجرأ أن نحلم به. أيتها البنات. كنا نراقبكن من على بُعد. أما الآن فسنختار أن نطلق البركة والوعود على حياتكن وعلى مستقبلكن. اعبرن المسافة. كونوا أقوياء وأحرار وغير خائفات.

لدي إيمان بأن جيلي من النساء سيكون بمثابة حلقة الوصل بين الأجيال ويا له من امتياز تتمتع به نحن اللاتي في متوسط العمر! سنكون بمثابة الأم للبنات الأصغر منا وفي نفس الوقت سنمسك بيد النساء الأكبر منا وبهذه الطريقة سنكون كالجسر الذي يربط بين المراحل العمرية المختلفة ويوحد القوة بين الأجيال الثلاثة.

لا نختلف كثيرًا عن جيل راعوث التي وجدت نفسها أرملة في سن صغيرة. بلا عائل أو حكمة من الجيل الذي سبقها. نعم لدينا فرصة: إما أن نرجع مثلما فعلت عرفة كنهة نعمي الأخرى لنبحث عن زوج آخر أو أن نرث ما نحتاج إليه من المرأة التي سبقتنا إلى موسم آخر من العمر. لم تنتظر راعوث أن تأخذ شيئًا من نعمي لأنها لم تعد تملك شيئًا ولكنها كانت تشتاق إلى تلك العلاقة معها. مع الإله الحي الذي افتقد شعبه بالخير بعد موسم الجفاف والجاعة. لقد قررت نعمي العودة إلى ديارها.

«فقامت هي وكتابها ورجعت من بلاد موآب، لأنها سمعت في بلاد موآب أن الرب قد افقد شعبه ليعطيهم خبزاً». (راعوث ١: ٦)

قد يبدو أن أتباع نعمي لم يكن اختيارًا صحيحًا لحياة راعوث. لأن معظم اللاتي ترملن في سن صغير لا يمكن مع حماتهن. هذا بالإضافة إلى أن

نعمي كانت أرملة متقدمة في العمر ولا أمل لها في أن تتزوج مرة أخرى لتنجب لهن أولادًا. ولأن نعمي كانت متألّمة بسبب فقدتها لأبنائها محلون وكليون، لذلك حاولت أن تثبط عزم كنتيها عن اتباعها. إلا أن راعوث كانت قد وضعت في قلبها ألا تتخلى عنها.

« قالت راعوث: «لا تلجى عليّ أن أتركك وأرجع عنك، لأنه حيثما ذهبت أذهب وحيثما بُتّ أبيت. شعبك شعبي وإلهك إلهي». (راعوث ١: ١٦)

أدركت نعمي أنه لا فائدة من المحاولة، فعادت معها إلى بيت لحم. وحالما وصلت نعمي، أسرع الجيران لتحتيتها ولكنها قالت لهم:

« لا تدعوني نعمي بل ادعوني مرة، لأن القدير قد أمرني جدًا. إني ذهبت ممتلئة وأرجعني الرب فارغة. لماذا تدعوني نعمي، والرب قد أذلني والقدير قد كسرني». (راعوث ١: ٢٠-٢١)

لاحظوا كيف وصفت نعمي حياتها: «ذهبت ممتلئة (زوج وابنين) وأرجعني الرب فارغة (أرملة ومعني كنتي الأرملة)». كان اسم نعمي يعني نعمة وبركة، وهو أمر لم يعد يعبر عن حالها. لذلك طلبت منهم أن ينادوها مرة.

أتساءل إن كان هناك جيل من النساء الأكبر عمرًا على وشك تغيير أسمائهن إلى «فارغة»؟ علينا أن نوقفهن! يجب أن نبحت عنهن ونخبرهن أننا لن نتركهن في مرارة وبأس لأن الله القدير يستطيع أن يرد لهن بهجتهم وفرحهن! نحن حلقة الوصل بينهن وبين الفرح. وهن أيضًا كذلك بالنسبة لنا. أرايتم، كانت نعمي في حاجة إلى راعوث تمامًا مثلما كانت راعوث في حاجة إلى نعمي. كانت نعمي تعرف أمور لم تعرفها راعوث فأمدتها بالفرص والعلاقات التي لم تكن لتحظى بها من دونها.

كانت نعمي في حاجةٍ إلى راعوث تمامًا مثلما كانت راعوث في حاجةٍ إلى نعمي.

كانت نعمي مُعوّزة ولكن كان لها ميراث في الأرض. وكامرأة في إسرائيل، كان مسموح لها أن تلتقط في الحقول. وعندما يباركنا الله بالخير، فهو يريد أن يشمل كل من يحتاج إليه. أُلحّت راعوث على نعمي أن تسمح لها بالعمل، وسرعان ما وجدت نفسها تعمل في حقل بوعز الذي كان على صلة قرابة بنعمي. وعندما قابل راعوث طلب منها أن تظل في حقله حتى يتسنى لها أن تعمل بلا خوف دون أن يضايقها إنسان. وبارك بوعز راعوث قائلاً:

«إنني قد أخبرت بكل ما فعلت بحماتك بعد موت رجلك، حتى تركت أباك وأمك وأرض مولدك وسرت إلى شعب لم تعرفه من قبل. ليكافئ الرب عملك وليكن أجرك كاملاً من عند الرب إله إسرائيل الذي جئت لكي تحمي تحت جناحيه».

(راعوث ٢: ١١ - ١٢)

كانت التضحية التي قدمتها راعوث ذات مغزى خاص لبوعز ابن راحاب: تلك المرأة التي تركت كل شيء لتحصل على الأمان والحماية في ظل جناحي القدير. كان أول إرث قدمته نعمي لكنيتها راعوث هو إمكانية العمل في التقاط الحبوب في الحقول وقت الحصاد. سُمح لراعوث أن تذهب مع مجموعة من النساء اللاتي كن يعملن فقط في حقل بوعز في نهاية أيام الحصاد. ومن المهم هنا أن نعلم أن اسم بوعز معناه «فيه القوة». لقد عمل هؤلاء النسوة بكل قوة واجتهاد في الحقول حتى لا يضيع شيء وحتى يكون هناك خير للجميع.

أين أنت يا امرأة ذات قوة؟

أليس هذا هو ما نبحت عنه اليوم - نساء ذوات قوة؟ لكن ما أكثر النساء اللاتي تُركن وقت الحصاد لأنهن لم يجدن من يبحث عنهن. ما أصعب الالتقاط في الحقل لأن الأمر يتطلب فرز ما تركه الحصادون خلفهم وانتشال الحزم التي وقعت دون أن يلتقطها أحد.

أدركت نعمي الغرض الأكبر الذي لأجله اتفق نصيب راعوث في حقل بوعز. لقد باركت راعوث حياة نعمي بالطعام والأمل والهدف، وها قد حان دور نعمي لكي ترد المعروف لكنيتها. أخبرت نعمي راعوث بما عليها أن

تفعله: عليها أن تذهب إلى المكان الذي سيضطجع فيه بوعز. ثم تكشف ناحية رجله وتضطجع هناك.

«وكان عند انتصاف الليل أن الرجل اضطرب، والتفت وإذا بامرأة مضطجعة عند رجله فقال: «من أنتِ؟» فقالت: «أنا راعوث أمتك. فابسط ذيل ثوبك على أمتك لأنك ولي».

(راعوث ٣: ٨-٩)

أدركت راعوث أنها من الممكن أن تقبل بوعز زوجًا لها بالرغم من أنه كان يكبرها بسنوات كثيرة. وذلك عندما رأت نعمة في كلماته وأفعاله وهو أمر ما كان ليخطر على بال بوعز ما لم تختر راعوث أن تُكرم نعمي وتراث عائلتها. أعاد بوعز أرض نعمي واتخذ راعوث زوجة له.

«وكذا راعوث الموابية امرأة محلون قد اشتريتها لي امرأة، لأقيم اسم الميت على ميراثه ولا ينقرض اسم الميت من بين إخوته ومن باب مكانه. أنتم شهود اليوم». (راعوث ٤: ١٠)

تزوج بوعز وراعوث وحملت راعوث ووضعت ابنها، أتت به وجعلته بين يدي نعمي وعندما رأى أصدقاء نعمي ما حدث قالوا لها:

«مبارك الرب الذي لم يعدمك وليًا اليوم لكي يدعى اسمه في إسرائيل. ويكون لك لإرجاع نفس وإعالة شيبتك لأن كنتك التي أحبتك قد ولدته، وهي خير لك من سبعة بنين».

(راعوث ٤: ١٤-١٥)

بعدها حدث شيء رائع ومثير. لقد صارت نعمي مربية للطفل المولود! لقد أنعم الله عليها بابتن مرة أخرى وتحقق وعد الله لها بوجود وريث لها في المستقبل.

لقد اشترك الطفل عوبيد في إرث عظيم فصار أبًا ليسى الذي كان أبًا للملك داود. تُرى. ماذا لو لم تتبع راعوث نعمي؟ ماذا لو غيرت نعمي اسمها وشخصيتها لتصبح مُرة؟ أكان داود ليجلس على العرش؟ من كان ليكتب الجزء الأكبر من سفر المزامير ومن كان ليلد سليمان؟ من كان ليسبح الرب في البرية ويذبح الجبار أمام الجيوش؟ أين نعمي اليوم؟ أين هي تلك المرأة التي ستقبل راعوث في قلبها؟ وأين

راعوث اليوم؟ أين هي تلك المرأة القادرة على منح البركة لنعمي؟ أين هو الولي اليوم الذي سيحمي المرأة التي تريد أن تقوم بدورها؟ سنناقش في الفصل التالي مثل آخر من العهد الجديد لامرأتين استطاعتا تكوين علاقة ديناميكية وتمكنتا من ترجمتها إلى إعلان لما هو مستحيل ومعجز.



أليصابات ومريم

رغم أنني لن أستهل هذا الفصل بتعريف كلمة معينة، إلا أنني أؤمن أن كل من هاتين المرأتين استطاعت وضع تعريف ولو جزئي لما يبحث عنه الله اليوم. قمت خلال السنوات القليلة الماضية بدراسة حياة هاتين المرأتين وعمل مقارنات بينهما وأعتقد أن كل منهما تمثل أكثر بكثير من كونها مجرد شخصية نسائية تاريخية. لقد رسمتا بروح النبوة الطريق الذي يجب أن نعزم اليوم على السير فيه. لهذا السبب أود أن أصرف الوقت في التنقيب في حياتهما وحواراتهما على نحو خاص لأننا سنلحظ خلف حياتهما التي اتسمت بالطاعة والقداسة ولو جزء بسيط من جمال الوعد وسنكتشف أننا لا نختلف كثيرًا عن النساء اللاتي عشن قبلنا منذ زمن بعيد.

عاشت هاتين المرأتين في زمن لم يُسمح فيه للمرأة أن تعبّر عن رأيها في المجتمعات الدينية بوجه خاص، وفي المجتمع ككل بوجه عام. كيف إذًا استطاعت كل من أليصابات ومريم أن تعيشا بطريقة جعلت من كلمتهما الخاصة إعلانًا أمام كل العالم؟ كيف كان شكل العلاقة بينهما؟ كيف استطاعتا أن تتفوها بتسبيحات نبوية ووعود تردت أصدائها بوضوح شديد؟ وما كلمتهما لا تزال تلمس القلوب برغم مرور الزمن معلنة البركة والحق!

لقد استؤمنت كل من أليصابات ومريم في السر على ما كان من شأن النساء في ذلك الوقت أن يرفضوه في العلن. لذلك دعونا نقرب من حياتهما ونراقبهما لنرى كيف تحقّق الحمال والمعجزي في حياتهما. وقبل أن ندرس حياة هاتين الشخصيتين، دعونا نلقي نظرة على الزمن

الذي عاشنا فيه ومجريات الأمور في ذلك الوقت. ثم دعونا أيضًا نتخيل طبيعة الزمان والمكان الذي وقعت فيه تلك الأحداث. سوف أذكر في هذا الفصل الكثير من الأجزاء الكتابية. لذا أرجو أن تقرأوا هذه الأجزاء بعناية بدلًا من مجرد المرور السريع عليها. وصلاتي أن تكون تلك الكلمات بمثابة رسالة شخصية لكل شخص وأؤمن أيضًا أن الروح القدس سيفتح عيونكم لتروا ما قد غفلت أنا عنه. لذلك افتحوا عيونكم وقلوبكم لكلمة الله.

ماذا يفعل البشر أثناء فترة الصمت؟

تبدأ الحكاية بديانة نظام ونهاية آخر. وكأنها فاصل بين فصلين في مسرحية. كانت الفترة ما بين سفر ملاخي وولادة يوحنا المعمدان حوالي أربع مائة عام من الصمت. وفي ختام سفر ملاخي نجد الوعد:

«هأنذا أرسل إليكم إيليا النبي قبل مجيء يوم الرب، اليوم العظيم والمخوف، فيرد قلب الآباء على الأبناء، وقلب الأبناء على آباؤهم. لتلا آتي وأضرب الأرض بلعن». (ملاخي ٤: ٥-٦)

تمهد هذه الكلمات مسرح الأحداث لإنجيل متى ومرقس ولوقا ويوحنا للحديث عن ميلاد المسيح ومن سيمهد الطريق أمامه: يوحنا المعمدان. والآن دعونا نتوقف للحظات ونطرح بعض الأسئلة. كيف سيكون شكل العالم عندما يتوقف الله فجأة عن الكلام وبصمت تمامًا؟ ماذا سيحل بشعبه طوال فترة أربع مائة سنة بدون قيادة أو تواصل من السماء؟ بدون كلمة واحدة أو حتى معجزة. بدون قائد ممسوح أو نبي.... فقط صمت تام!

كيف سيكون شكل العالم عندما يتوقف الله فجأة عن الكلام وبصمت تمامًا؟

من المهم أيضًا أن نعرف مدى الانزعاج الذي يشعر به الإنسان تجاه فترات الصمت الطويلة. صحيح أننا نستمتع بالهدوء والسكينة ولكن من النادر أن يتحسن أدؤنا في غياب الأصوات الأخرى.

أطفال مزعجون

لكي أشرح لكم الأمر. دعونا نسترجع مرحلة الطفولة. هل تتذكرون عندما كانت المعلمة في المرحلة الابتدائية تطلب منا أن نضع رؤوسنا على الطاولة ونصمت بالكامل؟ لا أدري لماذا. ولكن بالنسبة للبعض منا كان أمرًا مستحيلًا؛ إلا إذا وضعت يدي على عيني حتى لا أرى زملائي في الفصل. أما إذا نظرت إليهم فكنت أفزع في مشاكل لا حصر لها. كان هناك من يصنع أشكالاً مضحكة ومن يتمتم كلمات بشفتيه. وما أكثر كرات الورق التي كانت تتطاير. والملاحظات التي كانت تُمرر من شخص لآخر والضحكات والهمسات التي تصدر من البعض منا.

لا شك أن الفصل بأكمله كان يكره هذا الفاصل من الهدوء وعدم النشاط. والذي كان الهدف منه هو الحفاظ على عقل المعلمة التي كانت في حاجة إلى وقت مستقطع من الراحة. لم يكن من السهل أن نضبط أنفسنا. لماذا؟ لأنه في أثناء فترات الهدوء التي فرضت بالقوة علينا، تملأنا أصوات الضوضاء التي في داخلنا إلى السطح وتطالب بالتعبير عن نفسها. أما في الأوقات التي توجه فيها المعلمة انتباهنا وتشرك أذهاننا في أنشطة مُهدّفة. يكون من السهل علينا التركيز... يختلف الأمر كل الاختلاف. وبالرغم من أننا كبرنا. إلا أن أوقات الهدوء المفروضة لا تزال على نفس القدر من الصعوبة.

والآن دعونا نتخيل شعب إسرائيل للحظة وكأنهم هذا الفصل من الأولاد. تمر السنوات على هؤلاء الأطفال المزعجين المحبوبين من معلمهم ولكن فجأة يُعلن المعلم وقت مستقطع ويبدو وكأنه يغادر الفصل. إلا أنه لا يغادر لمدة ساعة أو يوم. بل يتركهم لمدة أربعمئة سنة.

هل تتذكرون ماذا كان يحدث عندما يغادر المعلم الفصل؟ يتلفت التلاميذ للتأكد من غياب المعلم ثم ينصّبون واحدًا منهم ليكون النذير بقدمه وبعدها يقوم التلاميذ بالاستيلاء على الفصل وتبدأ كل أنواع السلوك السيئ. أليس كذلك؟ في غياب المعلم. قد يحدث أي شيء؛ التلاميذ يتقاذفون بالأدوات المكتبية. ويسرقون الأقلام ويسبون بعضهم بعضًا. تعم الفوضى إلى أن يعلن النذير: «إنه قادم!»

خلال ثوانٍ يعود المشاغبون إلى أماكنهم متظاهرين بأن شيئًا لم يحدث بعد أن يقوموا بإخفاء آثار الجريمة والتخلص من البراهين. إلا أن الأمر لا ينجح في معظم الأحوال. نعم هناك تلاميذ مهذبون وسنجدهم في

أغلب الأحيان ينقسمون إلى مجموعتين: الأبرياء والمثرتين (أما أنا فكننت أتأرجح بين الأبرياء والمشاغبين). هذه النوعية من التلاميذ نجدها تترجى الأشقياء أن يظلموا في أماكنهم وأن يحتفظوا بأيديهم لأنفسهم وهكذا. وبمجرد عودة المعلم إلى الفصل، تظهر بعض من آثار الجريمة التي لم يتمكنوا من إخفائها ويسأل المعلم: «من كسر كوب الشاي الخاص بي؟» يحول مجموعة الأشقياء عيونهم ويتمنون ألا يخبر الآخرون عنهم. ولكن سيظل هناك الواشي الذي يتبرع بالإفصاح عما حدث وغالبًا ما سينادي المعلم على هذا التلميذ ويسأله «يا آدم، هل تعلم ماذا حدث؟»

طالما أنك سُئلت، فلا بأس من أن تكون صادقًا. فلا أحد يتوقع منك أن تكذب. ولكن سيكون هناك أيضًا من يجدون سعادة في الإدلاء بما حدث. من يرفعون أيديهم ويتبرعون بالمعلومات فيبدأون كلامهم بتبرير موقفهم: «لقد أخبرتهم يا أستاذ أن يتوقفوا، ولكنهم لم يستمعوا لي. لقد قذف ريكي المححاة في وجه إريك ولكنه أخطأ التصويب فوق كوب الشاي الخاص بك من على المكتب وكُسر. أيضًا قامت ليزا من كرسيها». بالرغم من كونه على صواب، إلا أن الجميع سيشعرون بأن ما فعله كان خطأ؛ لقد وشى بأسرار زملائه في الفصل حتى قبل أن تتاح لهم فرصة للاعتراف بما فعلوه، ويبدو وكأنهم موجودون في هذا العالم ليتسببوا في وقوع المشاكل الآخرين.

عمل الواشي

والآن تخيلوا معي هذا الشيء الخيف: يتولى الوشاة زمام الأمر في العالم الديني! هل استطعتم الآن أن تتخيلوا لحظة من مناخ القمع الديني الذي عاشت فيه أليصابات ومرم؟

يأخذ الناس على عاتقهم مسؤولية كسر الصمت والتكلم نيابة عن الله.

عندما تطول فترة الصمت إلى هذا الحد يشعر الناس بعدم الراحة وعندما يأخذون على عاتقهم مسؤولية كسر الصمت والتكلم نيابة عن الله، فتكون النتيجة في معظم الأحيان الشرود عن المسار الصحيح. فبدون الإرشاد الواضح من السماء، يقوم أصحاب البر

الذاتي من المتدينين بتشديد صرح من الهياكل الأرضية التي تقوم بدور اللائيم ليختفي ورائها غياب التدخل الإلهي المباشر. (أقول «مباشر» لأننا نعلم أن الله كان في الواقع يعمل لخير البشرية حتى في صمته).

وفي أيام مريم وأليصابات، اشتملت هذه الهياكل التي صنعها رجال الدين على الكثير من القواعد والقوانين التي كان من شأنها الوصول إلى السماء وكسب نعمة سماع صوت الله. كانوا يعلمون جيداً أن بناء برج بابل للوصول إلى الله حتى يخرج عن صمته أمر غير وارد. لذلك أسسوا مجتمع خاص «للقديسين فقط». كان بمثابة متاهة مبعجة أو شبكة خفية مكونة من مجموعة معقدة من القواعد الدينية المصحوبة بعناوين رنانة وفخمة؛ فكانوا يعيشون التواجل ويقدمون تحيات خاصة بالأسواق ويوصون بوضع صناديق الشريعة على رؤوسهم. ولكي يصنعوا لأنفسهم مكانة بين الشعب، كان الوشاة يحيطون أنفسهم بالكتبه والحامين الذين قاموا بدورهم بكتابة قوائم أخرى من القواعد والطقوس وهكذا نرى أن هذه الهياكل صارت بمثابة دليل أو مرشد لهم.

سيظل هناك فئة أمينة تعرف المعنى الحقيقي للمكتوب...

في مثل هذه الأوقات، يسجل التاريخ صورة غير مُشرقة للجنس البشري يتأرجح خلالها الإنسان بين ما هو صارم وذا طابع ديني وبين العصيان والتمرد. هذا ما يحدث عندما تأتي النوايا الحسنة بخطط سيئة.

لكن لنا أمل ورجاء وهو أنه حتى في وسط هذه الفوضى سيظل هناك فئة أمينة تعرف المعنى الحقيقي للمكتوب، جماعة لم تسند آراءها الخاصة على ما قاله الله، لكنها تختار أن ترفع عيونها من على الواقع لتتعلق بوعود الله حتى وإن لم يفهموا معنى هذا الصمت.

الناجون من الصمت

كان زكريا وأليصابات من بين الناجين من هذا الصمت؛ فقد عاشا حياتهما بصورة رائعة وكانا بارين وبلا لوم.

« كان في أيام هيرودس ملك اليهودية كاهن اسمه زكريا من فرقة أيبا، وامرأته من بنات هارون واسمها أليصابات. وكانا كلاهما بارين أمام الله سالكين في جميع وصايا الرب وأحكامه بلا لوم. ولم يكن لهما ولد، إذ كانت اليصابات عاقراً وكانا كلاهما متقدمين في أيامهما». (لوقا ١: ٥-٧)

هناك بعض النقاط المفتاحية التي لا أريد أن نغفل عنها في هذه الفقرة: بادئ ذي بدء، تولى الحكم في ذلك الوقت إمبراطور سيئ، إلا أن ذلك لم يوقف الله عن إتمام خطته على الأرض. فمهما كانت الأحداث، سوف يحقق الله هدفه على الأرض.

ثانياً، كان كل من زكريا وأليصابات من نسل هارون، فبالإضافة إلى نقاء النسل، تذكر كلمة الله نسب كل من الزوج والزوجة للتأكيد على أن الله يعيد للجنسين كرامتهما كأب وأم في البيت. وفي أيام موسى، وعد الله بيت هارون بالكرامة والكهنوت، ولكي يتحقق هذا الوعد كان على أبناء بيت هارون أن يتزوجوا من نفس السبط للبقاء على هذا العهد (لاويين ٢١: ١، ١٣-١٤، ٢٢: ١٢-١٣). ومن خلال هذين الزوجين، كان الله على وشك أن يعيد ما فقد لقرون عديدة. فإن أردنا عمل قائمة بالمؤهلات والكفاءات سنجد أن أليصابات وزكريا كانا يتمتعان بالنسب الروحي والطبيعي أيضاً.

أعاد الله للكرامة لكل من الجنسين كأباء وأمهات في البيت.

النقطة الأخرى هي أنهما كانا بارين في نظر الله وبلا لوم أمام الناس. من الطبيعي أن يسوء سلوك الناس وخدمتهم عندما يصمت الله، لكن هذا لم يحدث مع زكريا وأليصابات؛ فقد كانا يتمتعان بسمعة طيبة لدى الجميع.

ولكن برغم نسبهم وبرهم، كانت هناك مشكلة واحدة: عدم وجود أطفال. لقد كانت أليصابات عاقراً.

عاقرة (صفة): غير مثمر أو بلا ثمر. غير قادر على الإنجاب. عقيم. غير مُنتج. امرأة غير قادرة على إنجاب بنين. ١

عار العقم

يخبرنا الجزء الكتابي السابق أن أليصابات لم تكن عاقراً فقط، بل أن كليهما كان متقدماً في الأيام. لقد مر زمانهما وقاربت حياتهما على الانتهاء، لقد شاخا ولم يعد لديهما قدرة على الإنجاب. صحيح أننا لا نعرف كم بلغا من العمر، لكن من المؤكد-كما حدث مع إبراهيم وسارة- أن أليصابات كانت قد فقدت كل أمل في أن يصير لها طفل بدون تدخل إلهي.

فإن كنت باراً في حياتك الخاصة وفي علاقتك مع الله، فلا بد -بحسب التقاليد والعادات اليهودية- أن يكون لك أولاد؛ لأن الأولاد كانوا علامة على بركة الرب على حياة هذين الزوجين. أما إذا كانت الزوجة عاقراً، فكان من حق الزوج أن يأخذ لنفسه امرأة أخرى.

وبغض النظر عن هذا المبدأ، نرى هذه المرأة العاقر حُبل؛ ففي كل مرة يكون الله على وشك أن يبدأ امرأً جديداً نرى الأرحام تُفتح وتحمل حياة أشخاص مثل إسحق ويعقوب ويوسف وشمشون وصموئيل. لا شك أن الفترة الطويلة التي سبقت هذه المعجزة قد سببت الكثير من الشك والحزن للأمهات. هناك وصمة عار لازمت كل امرأة عاقر وكل زواج غير مثمر. لذلك نستطيع أن نتخيل الحيرة التي سببها هذا العقم لكل هؤلاء الأمهات من إهانة شخصية قبل أن يولد الطفل الموعود به.

ربما تعجب هؤلاء الذين عاشوا بالقرب من زكريا وأليصابات وربما تهامسوا فيما بينهم قائلين: «زكريا وأليصابات شخصان رائعان.. كل شيء يبدو على ما يرام، ولكن ليس لديهما أولاد. لابد أن هناك خطأ ما في حياتهما». فالناس لا يشعرون بالراحة عندما تفشل افتراضاتهم، وعندما لا تناسب هذه الافتراضات مع الواقع، يصبحون قساة ويبدؤون في إدانة الآخرين.

(الناس لا يشعرون بالراحة عندما تفشل افتراضاتهم.)

فمثلاً كنت أعتقد في بداية إيماني بالمسيح أن المرض يعني إما عدم الإيمان أو وجود خطية في الحياة، وكان المنطق وراء هذا الاعتقاد هو أن الله شافي، لذلك يقدر أن يشفي كل من يسير في مشيئته. فإن لم أنل الشفاء فهذا معناه أنني لا أسير مع الله. أتذكر جيداً تلك المأساة التي عشتها.

عندما كنت في الجامعة، أصيبت أذني بالتهاب وزادت الحالة سوءاً عندما سافرت بالطائرة لحضور مؤتمر مسيحي، فزاد الألم بشكل رهيب وعندما وصلت إلى مكان المؤتمر، طلبت من المؤمنين الآخرين الصلاة من أجل أذني لأن الألم كان على وشك أن يثير جنوني. فما كان منهم إلا أن التفوا حولي ورددوا الآيات وانتهروا إبليس وبعدها وقعت مسؤولية الشفاء على عاتقي وطلبوا مني أن أشكر الله من أجل شفائه لي.

أنا أحب تقديم الشكر لله، ولكنني لم أنل الشفاء واستمر الألم في أذني، إلا أن مثل هذا الإعلان بعدم الشفاء لم يكن مصرحاً به، ولم يكن مسموحاً لي أن أطلب الصلاة مرة أخرى. كان عليّ إما أن أقول: «هناك ألم موجه في أذني!» (أفيعقل أن يكون الألم في الروح؟) أو أن أقول: «أؤمن أنني نلت الشفاء» بالرغم من عدم حصولي عليه بعد. ولكن سأكون مؤمنة ولن أنفي الصلوات التي رددوها بأفواههم (أعلم أن الأمر سخيف، ولكن احتملوني من فضلكم). حسناً، لقد كانت نوابنا جميعاً حسنة، ولكن كنا في حيرة بعض الشيء بشأن تفسير صلاح الله وشفائه.

احتملت الألم مدة يومين ولم أجرؤ على أخذ دواء مسكن لأن تناول العقاقير سينفي ويلغي إيماني. رددت كل آية حفظتها عن الشفاء وجاء السؤال: «يا ليزا، إن كنتِ تؤمنين، فلماذا لم تنلي الشفاء؟ هل من الممكن أن يكون السبب هو وجود خطية ما في حياتك؟» ولكي يكون الأساس صحيحاً، صليت لله واعترفت له بكل خطية تذكرتها، ولكن حالي لم يتحسن بل ازداد سوءاً. فلم أعد أتألم فقط، بل شعرت بأني خاطئة ومذنبة. تمنيت لو بقيت في الجامعة بدلاً من حضوري المؤتمر. على الأقل كنت سأخذ قسط من الراحة وأتناول العقاقير التي من شأنها تخفيف الألم بدون لوم الآخرين لي.

ما أروع (الشعور بالتحير من) (ولادة) (الآخرين) (المستيرة).

وفي مساء يوم السبت تبدل كل شيء في المؤتمر، ففي ختام الخدمة، صلى المتكلم صلاة طويلة من أجل الشفاء، وطلب منا أن نضع أيدينا على المناطق التي نشعر فيها بالألم. وضعت يدي بطريقة عفوية على أذني، وصلني من أجلي، وفي الحال انفتحت أذني وتلاشى الألم. صرت قادرة

على السمع وبدأت في البكاء لأنني شعرت بالراحة. كان شعور رائع أن أنال الشفاء وأن أختبر صلاح الله. ولكن الأروع من كل هذا كان الشعور بالتححرر من إدانة الآخرين المستمرة.

استمرت تجربتي ثلاثة أيام فقط. أما أليصابات فقد استمرت معاناتها لسنوات. ألا تعتقدوا أن المرأة العاقر جتاز قدرًا رهيبًا من الألم والشك في عدم وجود أخواتها في الكنيسة يهمسن في أذنها ويتنبأ بسبب هذا العقم؟ نعم. لا يستحق أي منا بركات الله وتسديده لاحتياجنا. فما أكثر الأخطاء التي ارتكبتها ومع ذلك باركني الله بأربعة أبناء رائعين. ومع ذلك أعرف الكثير من الزوجات الرائعات اللاتي فعلمن كل ما هو صواب. ولكنهن لم يرزقن بأبناء. نحتاج أن نرى الأمور من منظور الله.

«حتى أن العاقر ولدت سبعة، وكثيرة البنين ذبلت». (١ صموئيل ٢: ٥)

قد يسمح الله بموسم نشعر فيه بالعقم في الحياة لكي يزيد من قدرتنا على حمل المزيد. صرخت حنة لله من أجل طفل واحد. لكنها بالإضافة إلى النبي صموئيل. رُزقت بكثيرين. هكذا الحال مع الزوجين البارين أمام الله. فقد كان كل شيء على وشك أن يتغير. لقد حان الوقت لكي تتحول فيه همسات الإدانة إلى تهليل.

الملاك يتكلم

«فيما هو يكهن في نوبة فرقة أمام الله، حسب عادة الكهنوت، أصابته القرعة أن يدخل إلى هيكل الرب ويبخر. وكان كل جمهور الشعب يصلون خارجًا وقت البخور». (لوقا ١: ٨ - ١٠)

لاحظ أن زكريا كان يكهن في وقت سابق ولكن في ذلك الوقت وقعت عليه القرعة لكي يدخل إلى قدس الأقداس. لقد اختار الله زكريا من بين كل الموجودين في فرقة ودعاه لكي يذهب بمفرده إلى قدس الأقداس بينما كان الباقون يبخرون في الخارج دليل على رفع الصلوات لله.

راقبه الجمع فيما كان يدخل إلى الهيكل. وبينما كان يستعد للقيام بالطقوس، حدث ما لم يكن في الحسبان.

لا تخف

« فظهر له ملاك الرب واقفاً عن يمين مذبح البخور. فلما رآه زكريا اضطرب ووقع عليه خوف ». (لوقا ١: ١١-١٢)

دخل زكريا إلى المذبح ليجد أنه ليس بمفرده. أليس رد فعل البشر تجاه ظهور الملائكة عجيب ومضحك في نفس الوقت؟! لقد ظهر الملاك وانتظر رد فعل زكريا. فما كان منه إلا أن اضطرب ووقع عليه خوف نتيجة رؤيته لهذا الكائن السماوي. فبعد مرور أربع مائة سنة، ها هو الملاك يقف عن يمين المذبح.

« فقال له الملاك: لا تخف يا زكريا... » (لوقا ١: ١٣)

لكن تُرى ما المغزى من تلك الفاء «فقال له الملاك»؟ لقد أدرك الملاك الخوف الذي اعتري زكريا وكان عليه أن يتحدث إلى زكريا لكي يهدئ من روعه قليلاً. وعادة ما نرى تلك العبارة «لا تخف» مصاحبة لظهور الملائكة للبشر. علم الملاك أن ظهوره يخيف البشر. لذلك كان عليه أن ينادي زكريا باسمه.

يجب أن نواجه مخاوفنا أولاً قبل أن نستوعب أي رعب سماري.

هل احتوت هذه الكلمات على حقيقة مهمة كان لا بد أن تُعلن؟ أعتقد أن هناك حقيقة كبيرة تختبئ داخل تلك الكلمات «لا تخف» لأننا يجب أن نواجه مخاوفنا أولاً قبل أن نستوعب أي وعد سماوي. فإن كنت تعيش أسير للخوف، لن تتمكن من سماع ما سوف يقوله الله لك. لأنك بدلاً من أن تسمع رسالة الله لك وتسمح لها أن توسع تخومك وحياتك، ستجد أنك منشغل بأسئلة تدور حول كيفية حدوث الأمر وكيف سيتحقق وقائمة بالأسباب التي ستحول دون تحقيقه. عندما نكون في مثل هذه الحالة يكون من المستحيل أن نفتح مداركنا لنختبر تلك المعجزة.

استطرد الملاك مكلماً زكريا:

لقد سُمع طلبك

«لأن طلبتك قد سُمعت...» (لوقا ١: ١٣)

لو قال ملاك الرب لي هذا الكلام لشعرت بنفسي تذوب في داخلي. كنت سأجنو على ركبتي وأبكي. فبعد أربعمئة سنة من سماء بدت صماء وفولاذية. ستكون صلاتي أول صلاة تُسمع! أتمنى أن تكون كلماتي وقتها «أشكرك يا رب. أشكرك يا رب».

فقط فكروا معي في الأمر. لقد حضر الملاك لكي يؤكد جَواب الله مع صلاة زكريا الخاصة. فما همس به سرًّا ذلك الكاهن المتقدم في الأيام قد وصل أمام عرش القدير في السماء. كانت مجرد استجابة الله من سمائه أمر غير عادي في ذلك الوقت. حتى أن الأمر تطلب أن يقوم الملاك بتوصيل تلك الاستجابة.

من المدهش ألا يذكر الملاك أي جَواب مع صلاة الآخرين الذين كانوا يصلون كجماعة خارج الهيكل. فالملاك لم يقل إن صلاة الجماعة قد سُمعت. لقد كان الأمر شخصي وخاص بزكريا.

عندما يكون الله على وشك أن يصنع أمرًا عظيمًا على الأرض، فإنه يستخرم أشخاص مستعدين أن يسبحوا له بالتعامل معهم بصورة شخصية.

هناك نقطة أخرى ستشجع كل واحد فينا اليوم: عندما يكون الله على وشك أن يصنع أمرًا عظيمًا على الأرض، فإنه يستخدم أشخاص مستعدين أن يسمحوا له بالتعامل معهم بصورة شخصية. ربما كان يهد لحادث انشقاق حجاب الهيكل وسكنائه في كل واحد فينا.

فماذا إذا كانت صلاة هذا الكاهن العجوز التي استرعت انتباه الله؟ كان يريد ابنًا؛ كان يشنق إلى الضحك. إلى وريث ليعيش إلى ما بعد حياته على الأرض. لقد استمع الله إلى تلك الأَشواق والصلوات وأرسل ملاكه لكي يشرح لزكريا كيف سيكون الأمر.

سيكون لك ابن

« امرأتك أليصابات ستلد لك ابناً وتسميه يوحنا. ويكون لك فرح وابتهاج، وكثيرون سيفرحون بولادته، لأنه يكون عظيماً أمام الرب». (لوقا ١: ١٣-١٥)

كان الرب على وشك أن يملأ حياة زكريا بالفرح والابتهاج وجاء الملاك ليعلن له الأمر بصورة شخصية. سيُرزق زكريا بابن الفرح الذي سينمو ليلمس ليس فقط حياة عائلته المكونة من ثلاثة أفراد بل ليعلن الحق للآخرين أيضاً. سيفرح كثيرون بولادته لأنه سيكون عظيماً في عيني الرب. هناك من هم عظماء في عيون الآخرين. لكن ما أعظم أن يكون الشخص عظيماً في عيني الله. احتوت استجابة الله لصلاة زكريا على تحقيق لوعده طال انتظاره أربعمئة سنة وتحقيق لنبوته ستكون استجابة لصلاة كثيرين.

أرأيتم؟ قد لا تدركون ما تصلون لأجله حتى تستجاب الصلاة: فقد تشتمل استجابة صلاتك من أجل ابن أو ابنة على ما هو أكثر بكثير من حصولك على طفل. وقد تكون صلاتك من أجل شخص عزيز بعيد عن الرب أكبر بكثير من مجرد عدم ذهابه إلى الجحيم. وقد يكون نجاحك في العمل لغرض إلهي أعظم بكثير من مجرد النجاح.

يفرح الله عندما نرفع له مثل هذه الصلوات الجريئة والأصيلة: لأنها تكون بمثابة المادة الترابية التي يعمل الله من خلالها. ما أكثر المرات التي صنع الله فيها من التراب شيئاً جميلاً ورائعاً. فعندما نقرب من الله ونكون أمناء معه، ثق أنه سيحول مجرى الأمور. ويحول البركة والشفاء من على المستوى الشخصي لتصبح بركة وشفاء لكثيرين. وربما لشفاء شعوب بأكملها. من المؤكد أننا قد لا نستوعب كل العجائب التي يريد الله أن يصنعها بصلواتنا ومن خلالها.

يفرح الله عندما نرفع له مثل هذه الصلوات الجريئة والأصيلة.

أشهد من واقع حياتي على صدق هذا الأمر؛ فلبسنوات كنت أصرخ إلى الله لكي يحررني من الخوف والشعور بالذنب والعار. ولكني لم أطلب منه أن يحررني حتى يستطيع تحرير آخرين من خلالي. كان الأمر يخصني أنا فقط. «يا رب حررني. ها أنا أتى بكل أوساخي وعاري - لتكن مشيئتك». إلا

أن استجابته لصلاة ابنته المأسورة قد امتدت لتشمل إطلاق شفاء وحرية حياة آخرين عاشوا مأسورين مثلي في كل أنحاء العالم. صلى زوجي جون لسنوات طالباً من الله أن يعطيه خدمة. وأن يُسمع صوته لدى شعوب كثيرة. لكن لم يحدث الكثير. ولكي أكون صادقة معكم، شعر جون بأنه جُرح وصارع ليتغلب على جرحه وبدأت صلواته وحياته تأخذ شكلاً آخر. وعندما طلب شفاء من الرب من إساءات في الماضي، استعاد بهجته ووجد خدمته وحدث إطلاق لصوته. لكن لا تسيئوا فهمي، فأنا لا أدعوكم للتوقف عن الصلاة من أجل الآخرين لأننا في احتياج متزايد لذلك. ولكني أقول إن الأوقات العصبية والمؤلمة التي نمر بها في بعض الأحيان قد تلد أشياءً أعظم من كل تصوراتنا وأفكارنا. الله يحب أن نكون صادقين معه. أنا لا أدّعي معرفتي بالألم والعقم الذي في حياتك... ربما يشبه تلك الصرخة التي أنبها قلب حنة! وقد تكون تلك الحياة التي تدب فيك الآن هي استجابة صلاة أمة بأكملها.

(اللوات العصبية) والمؤلمة التي نمر بها في بعض الأحيان قد تلد أشياءً
أعظم من كل تصوراتنا وأفكارنا

وسيقوم هذا الطفل المرسل من السماء بأمر غير عادية. لذلك أعطى الملاك بعض التعليمات لذكرك حول كيفية تنشئة الشخص الذي سيعد الطريق أمام المسيح.

سيكون ممثلًا بالروح القدس

« خمراً ومسكرًا لا يشرب، ومن بطن أمه تمتلئ من الروح القدس. ويرد كثيرين من بني إسرائيل إلى الرب إلههم. ويتقدم أمامه بروح إيليا وقوته، ليرد قلوب الآباء إلى الأبناء، والعصاة إلى فكر الأبرار، لكي يهيئ للرب شعباً مستعداً. » (لوقا ١ : ١٧ - ١٧)

سيكون ممثلًا من الروح القدس حتى قبل أن يولد. ويجب ألا يشرب مسكرًا. لماذا؟ لأن الروح الذي في داخله سيكون خمرة. سيكون الشخص المسحوق الذي سيرد قلوب الآباء إلى الأبناء والعصاة إلى الحكمة. وهكذا سيهيئ الناس لقبول إعلان الله. يبدو أن الأمر قد تم ترتيبه بالكامل. ولكن

لسبب ما، لم يستطع زكريا سماع الأمر بكامله. ربما كان لا يزال مصدومًا من رؤيته للملاك، وربما يكون عامل السن؛ لأنه بعدما سمع كل الكلام الذي نطق به الملاك، شك في الأمر.
دعونا نكون أمناء: من الممكن أن يكون قد سأل الكثير من الأسئلة، وربما كان العقاب بالصمت نتيجة لأمر سخيّف تفوه به!

ها أنت تكون صامتًا

« فقال زكريا للملاك: « كيف أعلم هذا، لأني أنا شيخ وامراتي متقدمة في أيامها؟ » (لوقا: ١٨)

حسنًا يبدو أن الأمور لم تكن تسير على ما يرام، فأنا أعتقد أن زكريا لم يفكر كثيرًا قبل أن يطرح هذا السؤال. ربما كان التواجد في حضرة الملاك هو السبب في أنه تفوه بكل ما تبادر إلى ذهنه قبل أن يتوقف للحظات ويفكر فيما سيقول. (تذكر ما قاله بطرس للمسيح عند جبل التجلي أن يصنع خيامًا عندما ملأ مجد الرب المكان؟) وربما احتوت تلك الأخبار على معجزة لم يستطع زكريا استيعابها.

من وجهة نظري، كان الجزء الأسهل من نصيب زكريا، أما أليصابات فكان من الممكن أن تسأل المزيد من الأسئلة. وبينما أقرأ هذا الجزء الكتابي من موقعي الأمن كمتفرجة، يبدو الأمر واضحًا للغاية؛ ففي كل مرة يظهر فيها ملاك يتكرر نفس رد الفعل. فنجد سارة تضحك ومع ذلك تحبل. ربما واجه زكريا صعوبة في تصديق تكرار نفس ما حدث مع إبراهيم في حياته الشخصية، فهو شيخ وزوجته متقدمة في الأيام. كان جميل من زكريا ألا يصف زوجته بالشيخوخة، إلا أن الملاك لم ير أنه كان أمر لطيف من زكريا أن يطلب علامة أو برهان يؤكد كلام الملاك.

« فأجاب الملاك وقال له: « أنا جبرائيل الواقف قدام الله، وأرسلت لأكلمك وأبشرك بهذا! ».

(لوقا: ١٩)

نادرًا ما كانت الملائكة تعلن عن أسمائها عند ظهورها في الكتاب المقدس، إلا أننا نجد هذا الملاك لا يتبرع فقط بالإدلاء باسمه، ولكنه يصف مكانه ووظيفته في السماء. لم يكن الملاك جبرائيل ملاكًا عاديًا يخدم

في الساحة الخارجية لمحضر الله. بل كان يقف (واقفًا) قدام الله رب الجنود. أما اسمه فلا يعني رسول كما يظن البعض منا. وإنما يعني "جبار من عند الله" وكأنه يعلن عن الله كلي القدرة من مجرد الإعلان عن اسمه. كان الملاك جبرائيل يغادر محضر الله القدوس فقط بأمر مباشر من الله القدير.

«وَمَا أَنْتَ تَكُونُ صَامِتًا وَلَا تَقْدِرُ أَنْ تَتَكَلَّمَ، إِلَى الْيَوْمِ الَّذِي يَكُونُ فِيهِ هَذَا، لِأَنَّكَ لَمْ تَصَدُقْ كَلَامِي الَّذِي سَيَتِمُّ فِي وَقْتِهِ». (لوقا ١: ٢٠)

كان تساؤل زكريا هو فرصته الأخيرة للكلام؛ لأن جبرائيل أغلق فمه لفترة طويلة بعدها.

قد تعني مقارنة (الله) للمجازفة بفقرات صوتك.

من خلال هذا الموقف نستطيع أن نستخلص مبدأً روحيًا وهو أن مقاومة الله قد تعني المجازفة بفقدان صوتك.

عندما ينزع الله صوتك

لقد اختبرت هذا الأمر بصورة أو بأخرى في حياتي؛ فكان هناك الراعي صاحب النفوذ الذي يقلل من شأن النساء بحيث لا يسمح لهن أن يقدن أي نشاط أو يتكلمن في حضور الرجال. لاحظ بعض الرعاة الآخرين هذا السلوك عندما كان مسؤولاً عن أحد المؤتمرات ولفتوا انتباهنا لهذا الأمر. وخلال بعض المحادثات معنا قال أحدهم: "إن لم يتوقف هذا الراعي عن معاملة النساء بهذه الطريقة، سوف يغلق الله فمه".

بعدها خيم الصمت على جميعنا. وفي المساء تحدثت أنا وجون عن الأمر في غرفتنا بالفندق، وسرى شعور جديد في أرواحنا وكان حد فاصل قد وُضع لهذا الأمر. وبعدها ببضعة أسابيع سكت صوت هذا الراعي.

تعلم زكريا الدرس الذي يجب أن نتعلمه جميعًا وهو أن نوافق ونتفق مع ما يفعله الله. آمن بما يقول واسمح لسلطان روح الكلمة - وليس الحرف - أن يكون له السيادة والسلطان الأول والأخير على حياتك. وفي هذه الأثناء، ابق متواضعًا وقابلًا للتعلم.

لقد رأيت على مدار عشرين سنة من الخدمة ولاحظت أن الأمر يتكرر مرة ومرة؛ فإذا اعترضت على ما يفعله الله أو على ما يقوله، عرّضت نفسك للإصابة بالتهاب الحنجرة الروحي. لكن إن كنت حكيماً وقمت بإجراء التعديلات اللازمة، فلن يستمر الصمت إلا لموسم واحد.

هذا قد يعني أن الآخرين سوف يتوقفون عن سماع صوتك، وفي أحيان أخرى قد يعني أن كلماتك لن تكون مؤثرة ونافعة وفعالة. ذلك لأن حياتك الخاصة والشخصية تتعارض مع ما تعلنه أمام الجميع. وكما في حالة الراعي الذي كان يقلل من شأن المرأة، قد تفقد مصداقيتك وتواجهك على المنبر ما لم تتب. لذلك يجب أن تكون حذرين للغاية حتى لا نقاوم ما يعمله الله بل ندافع عنه. يفعل الله دائماً أموراً جديدة لكي يقيم حياة جديدة وفي أيام زكريا أقام الله صوتاً جديداً من إناء قديم.

استجابة الله، توقيتات الله

أعطى الملاك لزكريا العلامة التي طلبها وهي أنه سيبقى صامتاً حتى يتحقق كلام الملاك ويكون له الوعد. من المهم هنا أن نلاحظ أن الله يستجيب للصلاة، ولكن في توقيته الخاص.

ننسى أحياناً إضافة العنصر الإلهي.

بسبب رد زكريا على الملاك، أستطيع أن أجزم أنه كان قد فقد كل أمل في الحصول على ابن. وبرغم أنه عاد إلى زوجته صامتاً، إلا أن قلبه كان يتهلل فرحاً بالابن الذي سيكون له عن قريب. ما أكثر المرات التي نعتقد فيها أن صلواتنا لن تُستجاب لأن الله لم يستجب لها في توقيتنا الخاص أو حتى خلال زمان حياتنا على الأرض. هذا الاعتقاد قد يكون سببه أننا ننسى أحياناً إضافة العنصر الإلهي. لقد حبانا الله امتياز أن نرسل صلواتنا لتسبقنا، وبعدها تأتي الاستجابة في زمن حياة أولادنا وليس حياتنا.

«وكان الشعب منتظرين زكريا ومنتعجين من إبطائه في الهيكل. فلما خرج لم يستطع أن يكلمهم، ففهموا أنه قد رأى رؤيا في الهيكل. فكان يومي، إليهم وبقِي صامتاً.»

(لوقا ١: ٢١-٢٢).

عندما يخرج إنسان من محضر الله فاقد القدرة على الكلام، يلاحظ الناس الأمر. لكن لو لم يحدث ذلك لخرج زكريا من محضر الله ليعلن أن السماء قد فُتحت، وأن صلواتهم قد استجيبت، وأن الله يوحد الأرض مع السماء، وأن وعوده ستتحقق في هذا الجيل. بالطبع هذا لم يحدث. لقد خرج وكان يومئذ إليهم بيديه وبقي صامتًا غير قادر على إخبارهم بما حدث. أليس هذا رائعًا؟ فحتى في الأوقات التي نفسد فيها الأمر برمته، يمنحنا الله أيضًا الفرصة لكي نرشد الآخرين في الاتجاه الصحيح.

رد فعل أليصابات

«وما كملت أيام خدمته مضى إلى بيته. وبعد تلك الأيام حبلت أليصابات امرأته، وأخفت نفسها خمسة أشهر قائلة: «هكذا قد فعل بي الرب في الأيام التي فيها نظر إلي، لينزع عاري بين الناس.» (لوقا ١: ٢٣-٢٥)

عاد زكريا إلى بيته وإلى زوجته ودخل عليها فحبلت، ولكن بدلاً من أن تعلن الخبر، نجدها تفعل أمرًا مثيرًا للاهتمام: لقد أخفت نفسها! بقيت أليصابات فترة الخمسة شهور الأولى في عزلة. فلو كنت أنا مكان أليصابات وحبلت بعد عشرات السنين من الانتظار، لا أعتقد أنني سأكون تقيّة إلى هذا الحد حتى أنني أعتزل وأختبئ بعيداً عن الناس. هل قرأتكم الكلمات التي نطقت بها "هكذا أحسن إليّ الرب! لقد نزع عار كوني عاقراً". وبعد سنوات من الخزي والعار سأكون على أتم استعداد لكي أعلن الأمر لكل الناس. ربما كنت سأذهب إلى البئر أو السوق لكي يرى الجميع ويلاحظوا أنني أصبحت حامل. وإن لم يلاحظوا، كنت سأفتح الموضوع قائلة: "إن لم تكونوا قد لاحظتم، دعوني أخبركم أنني حامل، وأن زوجي فقد قدرته على الكلام. أعتقد أن الله سيعمل عملاً عظيمًا بنا، ويبدو وكأن هذا الطفل سيكون إيليا المنتظر. ألا تشعرون بالندم لأنكم كنتم تنهامسون بشأننا خلال السنوات الكثيرة الماضية؟"

أرأيتم عظمة وروعة هذه المرأة؟ هي لم تتباهى بصلاح الله تجاهها، وإنما اقتربت منه أكثر لكي تتقدس. لقد نالت أليصابات ما يفتقر إليه معظم الناس؛ فقد أدركت أن حياة ذلك الإنسان الرائع الذي بداخلها سرعان ما ستخرج من خلالها، وأنها لم تكن محور وجوه هذا الحمل. كانت تعلم أن

الأمر أكبر بكثير. ربما أدركت أليصابات عندما دبت حياة هذا الطفل داخلها أن الله سوف يحقق المعنى من اسمها. لماذا أقول ذلك؟ لأن اسم أليصابات يعني "مقدس لله".^٢

لم تكتفِ أليصابات بالفرح للأجل عطايا الله، وإنما اختارت أن تتقدس على المستوى الشخصي.

قال الملاك جبرائيل إن يوحنا سيكون مقدسًا لله. لذلك لم تكتفِ أليصابات بالفرح لأجل عطايا الله وإنما اختارت أن تتقدس على المستوى الشخصي. وخبأت وعد الله في قلبها. ها هي المرأة التي كانت عاقراً على وشك أن تنجب نبياً وبينما كانت تفكر في معنى كل هذه الأمور بالنسبة لها كامرأة متقدمة في العمر. أرسل الله الملاك جبرائيل مرة أخرى.

الملاك ومريم

«وفي الشهر السادس أرسل جبرائيل الملاك من الله إلى مدينة من الجليل اسمها ناصرة، إلى عذراء محطوبة لرجل من بيت داود اسمه يوسف. واسم العذراء مريم.»
(لوقا ١: ٢٦-٢٧)

بعد مرور ستة أشهر على حمل أليصابات. ظهرت بالتأكيد عليها مظاهر الحمل. وفي ذلك الوقت أرسل الملاك جبرائيل إلى الناصرة. من خلال رحم أليصابات سيأتي النبي الذي سيمهد الطريق أمام يسوع. لقد أعد الله مسرح الأحداث ليمهد للمعجزة التي لا يمكن تحقيقها بواسطة الجنس البشري.

في ذلك الوقت كان الله يعد الطريق لتحقيق الوعد بالملك الذي سيأتي من نسل داود. ظهر الملاك لعذراء من نسل داود اسمها مريم. وهناك بعض الالتباس في معنى هذا الاسم الذي يعني في الأصل "محبوبة أو مُنعم عليها" إلا أنه أثناء تيهان شعب إسرائيل في البرية. أُضيف معنى "متمردة" للمعنى الأصلي لهذا الاسم وهو "محبوبة" أو "مُنعم عليها".^٣ ربما هناك معزى مزدوج من هذا الأمر على المستوى الشخصي بالنسبة لمريم. فهل تغير اسمها من متمردة ليصبح "مُنعم عليها"؟ أم أن الله كان يعلن أن

كل متمرّد سينال نعمة من خلال كفارة عمانوئيل؟ وهل سبق أن سار الله مع المتمردين؟ فكرة للتأمل.

الرب معك

« فدخل إليها الملاك وقال: «سلام لك أيتها المتّعم عليها! الرب معك. مباركة أنت في النساء». فلما رأته اضطربت من كلامه، وفكرت: «ما عسى أن تكون هذه التحية».

(لوقا ١: ٢٨-٢٩)

اضطرب زكريا ووقع عليه خوف عندما ظهر له الملاك. أما مريم فاضطربت وخيّرت ما تكلم به الملاك. لم يكتف الملاك بمناداتها باسمها بل غير معناه قائلاً "أيتها المتّعم عليها... الرب معك!"

حسناً، دعونا نتوقف للحظة ونتذكر الزمن الذي عاشت فيه مريم. لقد كان زمام الأمور في يد المشاغبين والوشاة ولم تحظ النساء وقتها بمكانة مرموقة في الأوساط الدينية. في مثل هذه الثقافة، لم تكن للنساء قيمة أو شأن كبير وربما كان هذا هو سبب الحيرة والاضطراب.

بادئ ذي بدء، لم تكن النساء من المتّعم عليهن. وحتى لو نلن نعمة في عيون الناس، إلا أن نوال نعمة في عيون الله كان بالأمر الذي لم يسبق حدوثه. ثم بعد كل ذلك يظهر الملاك جبرائيل معلناً "الرب معك" لفتاة صغيرة فقيرة من أسرة متواضعة الحال!

هل أدركتم الآن أهمية هذا الأمر؟ أنا أوّمن بأن الله كان يعلن حضوره ونعمته لجيل من البنات لتكون مهمتهن هي نقل بشارة عمانوئيل إلى العالم أجمع.

إنّنا نعرفنا حتى نكون شركاء لله فيها يعملها (الأنت على الأرض).

فيا كل من تشعر بأن الله يوقظ قلبه، توقف للحظة وفكر في الأمر. أيتها البنات الرائعات، اسمعن هذه الكلمات تعلن على حياتكن الآن. الرب معكن يا من وجدتن نعمة في عينيه يا من وُلدتن في هذا العصر ولأجل هذا الغرض. تّرى، ما المغزى عندما يبدأ الله في دعوة شعبه بالاسم؟ إنه يعدنا حتى نكون شركاء له فيما يعمله الآن على الأرض.

وجدت نعمة عند الله

« فقال لها الملاك: «لا تخافي يا مريم، لأنك قد وجدت نعمة عند الله. وها أنت ستحبلين وتلدين ابناً وتسمينه يسوع. هذا يكون عظيماً وابن العلي يدعى، ويعطيه الرب الإله كرسي داود أبيه، ويملك على بيت يعقوب إلى الأبد، ولا يكون الملكة نهائية». (لوقا ١: ٣٠-٣٣)

قال الملاك لمريم: "لا تخافي". تماماً مثلما فعل مع زكريا. قال لها إنها قد وجدت نعمة عند الله. ستحبل العذراء وتلد ابناً وسيكون ابن العلي وسيعطى كرسي داود. قبلت مريم بشارة الملاك بفرح. ولكن السؤال هو كيف سيحدث هذا؟

« فقالت مريم للملاك: «كيف يكون هذا وأنا لست أعرف رجلاً؟» (لوقا ١: ٣٤).

لم يستقبل الملاك سؤال مريم بعدم الاستحسان بل أجابها بدون انتهاز:

« فأجاب الملاك وقال لها: «الروح القدس يحل عليك وقوة العلي تظلك، فلذلك أيضاً القدوس المولود منك يدعى ابن الله». (لوقا ١: ٣٥)

لن تخرج الحياة هذه المرة من مكان عاقر. بل ستبدأ في رحم عذراء. رحم العذراء مغلق تماماً ويمثل الطهر والنقاء. فمثلاً زيت الزيتون البكر هو نتاج أول عصر بدون استخدام الحرارة. ستظل قوة العلي مريم وستبدأ الحياة.

بعدها يقدم الملاك برهاناً على صدق بشارته:

«وهوذا أليصابات نسيبتك هي أيضاً حبلت ببن في شيخوختها، وهذا هو الشهر السادس لتلك المدعوة عاقراً، لأنه ليس شيء غير ممكن لدى الله». (لوقا ١: ٣٦-٣٧).

لقد أخبر الملاك مريم بشأن قريبتها أليصابات ليشجعها. ومن الواضح أن أليصابات خبأت خبر حملها حتى أن أقاربها لم يعرفوا بخبر المولود الذي سيولد منها. لقد صنع الله المعجزة وحقق المستحيل.

لقد صنع الله المعجزة وحقق المستحيل.

رد فعل مريم

«فقال مريم: «هوذا أنا أمة الرب. ليكن لي كقولك». فمضى من عندها الملاك».

(لوقا ١: ٣٨)

يا له من رد فعل يليق بابنة نالت نعمة من عند الله. ودعوني أعيد صياغة رد فعل مريم مرة أخرى لكي يكون رد فعل كل واحد فينا أيضًا. «أنا من نلت نعمة من عند الله. وليتحقق كل ما قاله الله عني». ترى، ماذا فعلت مريم بتلك البشارة المذهلة؟ ذهبت مُسرعة إلى أليصابات. لقد ذهبت تلك المتعم عليها للبحث عن أم أو جدة ترافقها في رحلة القداسة. ويا له من لقاء عجيب.

«فقامت مريم في تلك الأيام وذهبت بسرعة إلى الجبال إلى مدينة يهوذا، ودخلت بيت زكريا وسلمت على أليصابات، فلما سمعت أليصابات سلام مريم ارتكض الجنين في بطنها، وامتلات أليصابات من الروح القدس». (لوقا ١: ٣٩-٤١).

لقد ارتكض الجنين في بطن أليصابات عندما سمع صوت العذراء مريم وامتلات أليصابات من الروح القدس. كان الوعد أن يمتلئ الصبي من الروح القدس. إلا أن هذه البركة انسكبت على الأم التي خضعت واستقبلت من الرب. فكانت النتيجة أن قامت أليصابات بالعمل الذي يجب أن تعمله كل امرأة ممتلئة من الروح القدس: لقد باركت.

«وصرخت بصوت عظيم وقالت: «مباركة أنتِ في النساء ومباركة هي ثمرة بطنك! فمن أين لي هذا أن تأتي أم ربي إليّ؟ فهوذا حين صار صوت سلامك في أذني ارتكض الجنين بابتهاج في بطني. فطوبى لتي آمنت أن يتم ما قيل لها من قبل الرب». (لوقا ١: ٤٢-٤٥)

جد في كلماتها البركة التي يجب أن تمنحها كل أم وجدة لكل ابنة للعلي. مباركة كل من آمنت بأن وعد الله لها سيتحقق. يا ابنة، ما هي الأمور التي قال لك الرب عنها؟ خذي الأمر بصورة شخصية وأمني به.

يا ابنة، ما هي الأمور التي قال لك الرب عنها؟

بعد هذا اللقاء. مكثت مريم مع أليصابات حتى وقت ولادتها وتحقق الوعد وولد النبي. ولم تذكر كلمة الله ما دار بين هاتين المرأتين المفعمتين بالحياة. لكن سأسرد بعض الحقائق بشأن العلاقة بين الأمهات والجيدات والبنات.

- النساء اللاتي تربطهن علاقة إلهية. بغض النظر عن أعمارهن. سوف يحملن ويلدن حياة.
- كل ابنة مقدسة ومُنعم عليها من الله سوف تعكس كلام الله للآخرين.
- على كل أم وجدة أن تستمع إلى صوت بناتها وأن تباركهن عندما تسمع أصواتهن.
- على الابنة أن تكرم أمها وجدتها بأن تخدمهما بقوة شبابها وأن تقبل تعليمهن وتوجيههن.
- ستتلازم النبوة مع الوعد في الأيام الأخيرة.

يقيم الله بناته اليوم على اختلاف أعمارهن بكلمات إعلان ورؤى ثورية. معاً سوف نشكل نوعاً من التكامل. ولكي نرى كل ذلك يتحقق. يجب أن نتلقى تدريباً خاصاً. في الفصل التالي. سوف نناقش معاً جوهر هذا المبدأ.



التدريب

يدرب (فعل): يُعَلِّم أو يتعلم المهارات اللازمة، وبالأخص من خلال الخبرة العملية. مساعدة نبتة أو شجيرة أو شجرة على النمو بطريقة معينة من خلال التقييم والتهديب. استهداف شيء معين^١.

نعيش نحن النساء في عصر يعج بالمتغيرات، وفي عالم متقلب أصبح فيه مناخ كل شيء سواء على مستوى الأسرة أو المستوى العالمي مختلف تمامًا عما كان عليه فيما مضى. هناك اختلاف كبير بين الحال الذي آلت إليه الأمور الآن وما يجب أن تكون عليه. فإن أردنا أن نكون جزءًا من الإصلاح والتغيير. فإنني أؤكد لكم أننا سننعم بقدر هائل من الغنى والفرح في حياتنا بل وسيكون سببًا في تجديد شبابنا.

« كذلك العجايز (السيدات المتقدمات في العمر) في سيرة تليق بالقداسة، غير ثالبات، غير مستعبدات للخمر الكثير، معلمات الصلاح، لكي ينصحن الحداثات أن يكن محبات لرجالهن ويحببن أولادهن، متعقلات، عفيفات، ملازمات بيوتهن، صالحات، خاضعات لرجالهن، لكي لا يُجدفَ على كلمة الله. » (تيطس ٢: ٣-٥)

مراجعة النصائح المذكورة في رسالة تيطس نجد أن حياتنا لا تختلف كثيرًا عما كانت عليه الكنيسة في القرن الأول الميلادي؛ حيث كانت الحداثات محتاجات إلى التدريب والأمهات إلى التعليم. لم يصل أي منا إلى حد الكمال بعد. لذلك نحتاج يوم بعد الآخر إلى تعلم المزيد، وفي نفس الوقت نحتاج أن نترك أيضًا بعض الأمور الخاطئة

التي تعلمناها، ونحتاج إلى مساحة وحيز يسمح لنا بالنمو والغفران. ما أكبر الاختلاف بين الأوضاع اليوم وما ينبغي أن تكون عليه. فإن أردنا أن نجد الطريق الصحيح، فعلى الصغير والكبير أن يتقابلا في طريق الحق.

دور المرأة المتقدمة في العمر

العيش بسيرة تليق بالقداسة

على السيدات المتقدمات في العمر أن يكنّ مثالا وقدوة لكل ما يليق بخدام العلي. فإن كنتِ تتساءلين عما إذا كنتِ مؤهلة لتكوني متقدمة في العمر أم لا... فقط انظري لمن هم أصغر سنًا منك. ولكي تقوم بهذه المسؤولية يجب أن تكون حياتنا متوافقة ومتفقة مع الحق.

سواء أُرودتِ لأنتِ تكوني قدوة أم لا، اعلمي أنكِ قدوة بالفعل.

ما سبق نستطيع أن نستنتج أن المرأة المتقدمة في العمر هي محط أنظار البنات الصغار. فسواء أردتِ أن تكوني قدوة أم لا. اعلمي أنكِ قدوة بالفعل.

منذ فترة ليست ببعيدة، ذهبت لحضور مؤتمر لزوجات الرعاة. كان هناك الكثير من التذمر والشكوى فيما بينهن لكونهن محط أنظار الجميع. عبرت الغالبية العظمى منهن عن الاستياء من تسليط الأضواء على زوجة الراعي ومن كونها محط انتقاد شعب الكنيسة. أجمعت كل الزوجات على اشتراكهن في هذه المشكلة. أما أنا فقد انتابني شعور بعدم الراحة دون أن أعرف سبباً له.

ولما تطوعت واحدة من زوجات الرعاة أن تناقش الموضوع من وجهة نظر مختلفة، أدركت سبب الشعور بعدم الراحة الذي انتابني. أكدت هذه الزوجة على أن زوجات الرعاة في منصب يجعلهن مراقبات باستمرار ولكنها قالت إن ذلك لا يجب بالضرورة أن يكون أمراً سيئاً. ففي أغلب الأحيان يبحث البنات في بيت الله عن أمهات ناجحات وليس عن أمهات فاشلات.

نجاحكِ هو بمثابة نور وأمل للأخرين.

فأنا لا أشاهد برامج "جويس ماير" على شاشة التليفزيون لكي أتصيد لها الأخطاء. وإنما لكي أتعلم كيف استطاعت أن تحيا تلك الحياة الرائعة بعد كل ما عانتها من مصاعب في حياتها. إن نجاح جويس هو وعد بنجاح كل ابنة للعلي. وهذا ينطبق عليك أيضًا فنجاحك بمثابة نور وأمل للآخرين.

لديك قدرة رائعة على التأثير سواء بالسلب أو الإيجاب؛ لأن هناك من يراقبك عن قرب. أنا أعلم أن البنات الأصغر عمرًا ممن يعملن معنا يراقبن كل ما أفعله بدءًا بالطريقة التي أتكلم بها مع زوجي أو طريقة اختياري للملابسي وحتى ترتيبي لشعري. إنه أمر مُسلّم به ... هن يراقبن ما أفعله ... فما هي يا ترى الصورة التي أجسدها؟ لقد حان الوقت لكي تصبح فيه كل امرأة متقدمة في العمر نموذجًا يُحتذى به وقُدوة للآخرين.

وعندما نكون مثلاً سيئاً أو عندما نرتكب الحماقات، عندئذ علينا أن نعلن مسؤوليتنا. فأنا شخصياً لا أستطيع حصر المرات التي توجهت فيها لمساعدتي لأعتذر لها. وبعدها كنت أشرح لها كيف كان من الممكن أن أنصرف بطريقة أفضل. تعتبر حياتي قدوة لها وفي كل يوم يكون عليّ أن أختار: إما أن أكون قدوة حسنة أو مثل وعبرة. وصدقوني عندما أقول لكم إنه من الأفضل أن نقود الآخرين بالقدوة الحسنة عن أن نقودهم بالمثل والعبرة. وفي كلتا الحالتين لا يمكن أن نتصل من مراقبتهم لنا.

صرتوني عندما أقول لكم إنه من الأفضل أن نقود الآخرين بالقدوة الحسنة، عن أن نقودهم بالمثل والعبرة.

دعونا نسترجع بالتفصيل النصيحة المذكورة في تيطس.

غير ثالبات

نحن كأمهات في بيت الرب، لا يجب أن نكون ثالبات أو متكلمات بالشر على آخرين. أعلم أنه أمر شديد الصعوبة بالنسبة للشخص الناضج؛ لأن لديه مخزون من الخبرات التي اكتسبها في حياته ويريد أن يتكلم عنها. لكن من الأفضل أن نحفظ ببعض تفاصيل ما رأيناه لأنفسنا دون إخبار الآخرين. نعم نستطيع التمييز بين الجيد والرديء. فبسبب معرفتي بكلمة

الله، ونتيجة لتجارب فشلي، أقول إن لديّ ما يكفيني من خبرات لكي أعلم وأنصح الآخرين، ولكن هذا لا يعطيني الحق لكي أكون ناقدة لأخواتي، ولا أن أتقمص دور الضحية.

لقد اختار الله النساء ليكونَ حلقة وصل وربط بين الآخرين؛ فإن لم نتدرب على ما هو جيد وصحي ونافع، سنجد أنفسنا في كثير من الأوقات نتفوه بما لا يليق. تضيف سنين العمر ثقل إلى كلمات النساء المتقدّمات في العمر. لذلك علينا أن نحرض أشد الحرص عند الإدلاء بالمعلومات، كما أن السلوك الذي قد يكون مقبولاً من امرأة في متوسط العمر أو في الجامعة لا يمكن أن يكون مقبولاً من أم في بيت الله.

غير مُستَعِدات للخمر الكثير

ثم أن النساء المتقدّمات في العمر لا يجب أن يتناولن الخمر بكثرة. حسناً، لقد مر زمن طويل على آخر مرة أسكرتني فيها الخمر، ولكنني أتذكر أن الخمر جعلني غبية في أقوالي وأفعالي. أتذكرون كيف يتم الحصول على المعلومات من الناس في الأفلام السينمائية؟ عندما يسقون الشخص الخمر، فنجدّه يخبرهم بكل ما يعرف من معلومات؛ لأنه يكون فاقد القدرة على التمييز. أما بالنسبة لي، فيكفي ما أقوله من أمور غبية من دون خمر.

مُعَلِّمات الصلاح

ويستطرد بولس قائلاً إننا يجب أن نعلّم البنات كل ما هو صالح. الأمر بسيط وهذا ما يعجبني. يريدنا الله أن نركز أنظارنا على كل ما هو جيد وصالح، وليس على ما هو معقد ورنان. نحتاج أن نجعل صوت كل ما هو رديء داخلنا أن يصمت... ليظهر الصالح فقط. وإليكم قائمة بالأمر الصالحة التي يجب أن تعلمها العجائز للبنات بجسب رسالة تيطس:

١. محبات لرجالهن وأطفالهن
٢. متعقلات
٣. عفيفات
٤. مهتمات ببيوتهن
٥. خاضعات لرجالهن

سوف نتناول مسألة البيوت بالتفصيل في فصل لاحق. لذلك دعونا الآن نناقش القضايا الأخرى. ولكنني أخشى أن النساء أصبحن -لزمان طويل- نموذجًا باهتًا للصالح الذي يريدنا الله أن نعكسه للآخرين. فمن خلال ما جاء في تيطس. وبعض الأجزاء الأخرى من سفر الأمثال. نستنتج أن المرأة هي حامية الصلاح. لماذا أقول هذا؟ لأنه ليس من الممكن أن توكل مهمة تعليم أمر لشخص ما لم يكن قد استؤمن عليه وأودع في رعايته. أليس الأمر منطقيًا؟ تعتبر محبة الزوج أمر صالح. وكذلك محبة الأولاد. الحكمة والتعقل والتعفف كلها أمور صالحة أيضًا. كما يعد الاهتمام بالبيت وجعله مكانًا للجمال والراحة وإضافة الآخرين أمر جيد مثله مثل الطيبة والوداعة والترحاب والأدب.

وكأمهات. علينا أن نسأل أنفسنا: "لماذا تتعلم بناتنا بعض الدروس بأصعب طريقة في حين كان بوسعنا أن نسهل عليهن الأمر فقط لو فتحنا قلوبنا وحياتنا لكي نعلمهن إياها؟" من المؤكد أن الله لم يقصد لأي منا أن يعاني ولا أن يتوصل بمفرده إلى كل الحلول.

ينصحن الحدثات

اقرأ مرة أخرى ما جاء في (تيطس ٢: ٤)

«لكي ينصحن الحدثات...» أو يدربن من هن أصغر سنًا.

يجب على كل امرأة متقدمة في العمر أن تدرب من هن أصغر منها سنًا. ومن الواضح هنا أنه ليس أمرًا اختياريًا بل فرض ومسؤولية. لذلك كيف يمكن للنساء المتقدمات في العمر أن يحتقرن جهل الفتيات في حين أنهن السبب لإهمالهن تدريبهن؟ أليس هن في النهاية انعكاس لنا؟ لم تكن كلمات بولس مجرد اقتراح ولكنها أمر. وكثيرًا ما أتساءل عن السبب الذي جعلنا نهمل تدريبهن... هل يا ترى لأننا لم نجد من يقوم بتدريبنا؟ أم لأننا فضلنا نصيحة زملائنا وأندادنا على النصيحة التي كان من الممكن أن نأخذها من هم أكبر وأحكم منا؟ أيضًا ما أكثر السيدات المتقدمات في العمر اللاتي يحققن على شباب وحيوية من هن أصغر منهن متناسيات أن زهرة الشباب سرعان ما تزول ما لم تُروى لتنمو لما هو أبعد!

برغم أنني لم أحظَ برعاية الأم روحياً، إلا أن الله يطلب مني أن أكون
أمًا للبنات.

بحثت وانتظرت في شبابي على أمل أن أحظى بوقت ورعاية سيدة تقية
تقدم لي النصيحة والتوجيه، إلا أن ذلك لم يحدث. الآن أشعر بالامتنان لما
حدث في حياتي. لأنني أؤمن أن الله أراد لي أن أمر بهذه التجربة المريرة لكي
يصنع أمراً جديداً ورائعاً في حياتي. فبرغم أنني لم أحظَ برعاية الأم روحياً،
إلا أن الله يطلب مني أن أكون أمًا للبنات.

لاحظوا أن بولس لم يحث الأمهات فقط على تدريب الحداث. ولكنه وضع
المسؤولية على عاتق كل امرأة متقدمة في العمر. الله يطالبنا بالوصول
إلى هذا الجيل من البنات. لذلك تأكدوا من أنه سيزودنا بكل ما نحتاج إليه
لكي نقوم بالمهمة الموضوعة أمامنا.

في معظم الأحيان سيطلب الله من جيل من البنات اللاتي عشن بدون
أمهات أن يكنَّ أمهات لآخرين. لن يتغير من الوضع شيء ما لم يرتق جيل
من النساء لما هو أبعد ما رأيته واختبرته معلنات: «مهما كانت التكلفة،
لأبد من إحداث تغيير. سوف أقف في الثغر. سواء حظيت بأمر في حياتي
أم لا. أريد لهذا الجيل من البنات المحيطات بي ما هو أفضل. أريد لأصدقائي
المتألمين حياة أفضل. أريد أن أحب وأعلم الآخرين أن يحبوا ويحبوا».

عندما نرعو آخرين إلى حياتنا، لن يتسع عالمنا فقط، بل ستتضاعف
إمكاناتنا.

لن تتغير الأمور حتى تعلن الصبايا في فترة المراهقة أو أوائل العشرينات
كلمات فيها حق وحياء لأخواتهن الأصغر سنًا والمعجبات بهن. ولن
تتغير الأمور ما لم ينهض كل من يبحث عن العون لتقديم العون لآخرين.
فعندما ندعو آخرين إلى حياتنا. لن يتسع عالمنا فقط. بل ستتضاعف
إمكاناتنا.

ينصحن الحداث أن

دعونا نناقش ما جاء في رسالة تيطس.

يَكُنَّ مَحَبَاتٍ لِرِجَالِهِنَّ

يحب (فعل): يشعر بأحاسيس حانية تجاه شخص مثل قريب أو صديق. يشعر بأحاسيس رومانسية وجنسية وشوق لشخص آخر. يشعر ويظهر عطف ورحمة لشخص آخر.^١

قد يتساءل البعض منا: "لماذا يحثنا الرسول بولس أن نحب أزواجنا. أليس من الطبيعي أن تحب الزوجة زوجها؟" يؤكد معدل الطلاق في وقتنا هذا عكس ذلك. لا أدري إن كان السبب في ذلك هو انحطاط القيم أم عدم وجود نموذج للحب في بيوتنا. سواء كان هذا أم ذاك، فالأمر خطير. منذ أيام قليلة سألتني إحدى البنات: «لماذا يجب أن يكون عندي أمل في زواج ناجح مليء بالفرح؟ أتطلع حولي وأرى المؤمنين بالكاد يتمسكون بزيجاتهم أو على وشك الطلاق. أي رجاء لي إذًا؟»

لم يوصينا الرسول بولس أن نُبقي على زواجنا. بل أن نحب أزواجنا. نعم، يمكن أن يكون هناك حب. لقد مر على زوجي أكثر من خمس وعشرين عامًا وأقول إنني أحب زوجي اليوم أكثر مما أحببته. أثناء فترة الخطوبة. لكن ما هو الحب؟ هل هو تلك المشاعر المرهفة؟ نعم، في بعض الأحيان. ولكنه أعمق من ذلك بكثير. وفي أوقات أخرى قد لا تظهر المشاعر لكن يبقى عليّ أن أختار «سوف أحب. لن أحتمله أو أبقى معه فقط. بل سأحبه».

كم حزنت بسبب معدلات الطلاق في الكنيسة وراقبت في حيرة رجالاً يتركون زوجاتهم من أجل أخرى أكثر شباباً (ربما في عمر بناتهم). رأيت الألم والحيرة في عيون الزوجات والأولاد ورأيت الفخر الذي علا وجوه الأزواج وهم يصطحبون زوجاتهم الشبابات ليتباهوا بهن في الكنيسة.

غمرتني مشاعر الحزن لدرجة أنني هددت جون بالقتل لو فكر في ارتكاب هذا الخطأ المدمر. أقول لكم بكل أمانة، إن الأمر يثير الرعب. كان عليّ أن أقاوم رغبتني في التوجه إلى هذه المرأة الشابة لكي أسألها «فيما تفكرين؟ لقد هدمت حياة وبيت امرأة أخرى».

ولما كنت مضطربة إلى هذا الحد، طلبت وجه الرب وفي محضره شعرت أن هناك علاقة بين مشكلة الطلاق في الكنيسة اليوم وبين تدهور العلاقة بين الجيل الأكبر سنًا والأصغر من النساء.

فإن كان من واجب النساء المتدمات أن يدرّبن ويعلمن الجيل الأصغر ولكنهن تجاهلن هذه المسؤولية، فماذا نتوقع أن يرثن؟ ربما حصلن على بنات

خائفات وحمقاوات وماكرات. ربما لأنهن حُرمن من رعاية وتوجيه الأم. قررن أن يفترن بالأمان بزواجهن من شخص يكبرهن بكثير. وإن لم يتدربن على حب الآخرين. سيصارعن للبقاء على قيد الحياة.

تحتاج هؤلاء البنات إلى الرعاية. فإن كنتِ قد نضجتِ وكبرتِ وصار لكِ أولاد من زوج لا تتمتعين معه بالفرح والإثارة. ستكون النتيجة أن هؤلاء البنات سيتخصصن في الاعتناء بأنفسهن. والعكس صحيح أيضاً فأنا أعرف زوجات هجرن أزواجهن وأطفالهن. ولكنهن أقل في العدد بكثير.

(إن لم يتدربن على حب الآخرين، سيصارعن للبقاء على قيد الحياة.)

فإن كانت هناك حلقة ضعيفة. صارت كل السلسلة ضعيفة. أقوم هنا بطرح الأسئلة ولكني لا أدعي معرفتي بكل الإجابات. كما أنني لا أقصد أن النساء اللاتي عانين من هجر أزواجهن أو تعرضن للطلاق مخطئات لأنهن لم يفعلن شيئاً. لا. الحقيقة هي أن الإهمال والفوضى تعم كل مجتمعنا وعندما تعم الفوضى إلى هذا الحد. يتأثر الجميع من جراء ذلك. لكني أيضاً أعرف نساء تقيات أعطين من حياتهن لبناتهن ومع ذلك هجرن وتُركن بمفردهن.

ولأننا نريد أن نصنع تغييراً. دعونا نستخلص بعض الدروس العملية من رسالة تيطس. سوف ألقى الضوء في الجزء التالي على بعض الأمور التي تعلمتها بواسطة التجربة والخطأ حتى أقدم لكم بعض الأمثلة الحية.

كيف تحبين زوجك؟ يشعر الرجل بالقيمة والشعب عندما يُحب بالطريقة التي يريد أن يُحب بها. عشت سنوات دون أن أفهم هذا المبدأ. أردت أن أحب جون بالطريقة التي كنت أفضل أن أحب بها. أما الرجل فيحب المرأة بطريقة تختلف عن حب المرأة له. من بين أنواع الكتب عن هذا الموضوع كتاب «لغات الحب الخمسة» للمؤلف "جاري تشابمان".

إلحكم مثال لطريقتي في التعبير عن الحب؛ فقد كنت أظهر محبتي عن طريق صرف أوقات مُثمرة وتقديم الخدمة لمن أحبهم (من وجهة نظري تلك هي طريقة الرب يسوع في إظهار محبته أيضاً). تطلّب ذلك القيام بأشياء من أجلهم مثل الغسيل والتنظيف والعناية بالحديقة كتعبير عن محبتي لزوجي وأولادي. كنت أيضاً أصرف أوقاً طويلاً في عمل

أشياء معهم كنت أعتقد أنها تعبر عن المحبة: فكنت أتناقش معهم في موضوعات عميقة وذات قيمة بينما كنت أقوم بترتيب دولا ب ملابسهم أو دهان الحوائط وهكذا.

أما زوجي فلم يكن معي على نفس الموجة. لم يكن يسمع ما كنت أقوله لأنه بادئ ذي بدء لم يمكث لوقت كبير في المنزل يسمح لنا بقضاء وقت مثمر معاً وكان يفضل أن يقضي الأوقات القليلة له في المنزل مسترخياً بدلاً من الاشتراك معنا في نشاط أو مشروع ما. فبدلاً من أن يسمع عبارة «أنا أحبك» وأنا أقوم بدهان الحوائط أو تركيب الأرضيات. وجدت أنه لا يسمع شيئاً على الإطلاق. كنت أطهو له وجبات رائعة، لكنه لم يستمع لهذا النوع من التعبير عن الحب. لماذا؟

لأن كل ما سبق لم يُشعره بالحب... كان يبحث عن كلمات تعزيب وتشجيع... أليس ذلك سخيفاً؟ كان زوجي وقتها يُدعى للسفر إلى كثير من الأماكن وكان هناك من يصفقوا له ويشجعونه ويمدحونه... لذلك اعتقدت أن مسؤوليتي هي أن أبقيه متواضعاً! أليس كذلك؟

لا، فهو لم يأبه بما يقوله الآخرون. بل كان مهتماً بما أقوله أنا. وكان لصوتي أكبر التأثير. قررت أن أتغير. شعرت بغرابة الأمر في البداية. وبعد فترة صار ممتعاً. كنت أقول له أمام الأولاد: «يا جون بيضير. إنك رجل رائع!» كان جون يتسسم خجلاً وكان الأولاد يعترضون قائلين «إنه ليس كذلك». لكن شيئاً لم يوقفني. رأيتم ما حدث؟ شعر جون بالحب وتعلم الأولاد ما يجب أن يتوقعونه من قبل زوجاتهم في المستقبل.

ولكي يكون الزواج ناجحاً، يجب أن يشعر كل من الزوجين بالسعادة والحب. لذلك لا يوجد ما يمنع أن يعبر كل منا عن محبته للآخر بالأسلوب الذي يريده. من حق كل منا أن يُحِب، لأنه عندما نُحِب، نستطيع أن نُحِب بطريقة أفضل. مثل هذا النوع من الحوار يجب أن يدور في جو من الوداعة وعدم الإدانة وكأننا نقول: «أشعر أنك تحبني عندما...»

عندما نُحِب، نستطيع أن نُحِب بطريقة أفضل.

أما إذا بدأت هذا الحوار بقائمة من الأخطاء التي قام بها الطرف الآخر والطريقة التي يجب أن تصحح بها الأمور. فلن يحصل أي منكما على النتائج المرجوة. صدقوني لن يجدي الأمر نفعاً إن اتبعتم هذه الطريقة.

سوف يتوقف زوجك عن سماعك قبل أن تنهي حديثك وسوف يردد في داخله: «لا أستطيع إرضائها أبداً مهما فعلت. فما النفع من المحاولة؟!» أو شيء من ذلك القبيل. هذا ما لا تتمنين حدوثه. لذلك لا تتبعي هذا الأسلوب.

نصيحة أخرى مهمة تتعلق بالوقت الذي تحاولين فيه التواصل مع زوجك. ما أكثر المرات التي وقعت فيها في هذا الخطأ فكانت أبداً حديثاً على قدر كبير من الأهمية قبل وقت النوم ونحن منهكين تماماً. احذرن من التوقيت الخاطئ، فهناك بعض الأمور التي يمكن مناقشتها بطريقة آدمية في الصباح بدلاً من إثارة الجدل حولها وأنتما متعبين.

أيضاً لا يعتبر التخطيط لليوم التالي أمراً مستحباً في وقت متأخر من الليل. فأنا لا أقوى على اتخاذ القرارات الصائبة عندما أكون متعبة ومرهقة. ففي سنوات زواجنا الأولى كنت أحاول وضع الخطط لليوم التالي قبل النوم في الوقت الذي يكون فيه جون متعباً للغاية فما كان منه إلا الموافقة على اقتراحاتي. «يا جون هل يمكنك إحضار الأولاد من المدرسة غداً بسبب ارتباطي بموعد مهم؟»

«بالطبع».

المشكلة الوحيدة هي أنه بحلول اليوم التالي لم يتذكر جون ما وافق عليه بالأمس. شعرت بالرفض. لماذا لم يؤمن جون بأهمية ما أوّمن بأهميته؟ بالطبع هو لا يهتم لأمرى.

الحقيقة هي أن جون ينسى تقريباً كل ما نتكلم عنه في وقت متأخر من الليل. أفضل الأوقات للتكلم معه يكون في الصباح عندما يكون في يده ورقة وقلم. فإذا كان الموضوع مهمًا. فيجب مناقشته في الوقت المناسب لسماعه. بالطبع هناك حالات طوارئ قد لا يتسنى لك فيها تأجيل المناقشة. ولكن هذا لا يتكرر كل ليلة. أما أنا فقد كنت أصب كل ما في داخلي في المساء حتى أمكن من النوم. لكن بعد سنوات من الخلافات المسائية. أدركت عدم جدواه.

يحبين أولادهن

مرة أخرى دعوني أشارككن ببعض الدروس التي تعلمتها بأصعب الطرق:

التدريب: لكي تحبي أولادك جيداً، عليك أن تكوني ثابتة. في البداية عندما

أصبحت أمًا، كنت أحب صغاري حبًّا شديدًا وسرعان ما طغى علي الأمر ووجن جنوني؛ لا زلت أحب أولادي ولكنني كنت غاضبة من نفسي لأنني لم أجد القيام بدور الأم. ضقت ذرعًا وفشلت في جعل أولادي يطيعون أوامري من المرة الأولى أو القيام بأبسط المهام. وهكذا كنت أقوم بكل الأعباء المنزلية بمفردي.

وذاث ليلة تغير كل ذلك؛ لأنني تغيرت من الداخل. قدمت توبتي لله وأكرمت كلمته في أسلوبتي تجاه تربية أبنائي. على سبيل المثال كنت أطلب منهم القيام بأمر ما مرة واحدة، وإن لم يُنفَّذ، كانت هناك عواقب يجب أن يتحملوها.

وعندما كبر أولادي ولم يعودوا بحاجة إليّ لغسل ملابسهم، فعلمتهم كيف يغسلون ملابسهم. قد تتساءلون كيف لم يعودوا بحاجة إلى غسل ملابسهم؟ الإجابة هي: عندما كان أولادي في سن الثالثة عشر والحادية عشر، وجدت الملابس النظيفة والتي تم طيها ملقاة على الأرض أو في سلة الغسيل أكثر من مرة، وحذرتهم من أنه إذا تكرر الأمر، فسوف أتوقف عن غسل ملابسهم.

أتذكر اليوم الذي نزلت فيه معهم إلى البدروم وعلمتهم كيف يستخدمون الغسالة والمجفف، علمتهم كيف يفصلون الأبيض عن الألوان وكيف يشغلون البرامج المختلفة للغسالة والمجفف وكمية المسحوق اللازمة ثم تركتهم للقيام بالمهمة.

نعم خملت تدمرهم وشكواهم بأن كل الأمهات الأخريات يقمن بغسل ملابس أولادهن. أرجو ألا تنخدعي بهذه الحيلة. فلا يوجد ما يمنع أن يقوم أولادك بغسل ملابسهم والقيام ببعض الأعباء المنزلية بدلًا منك. لماذا تروح الأم تحت الضغوط بحيث تهمل تدريب أولادها؟ لست خادمة لأولادك، بل أمًا يجب أن تدرب وتعلم أولادها كيف يعيشون مع الآخرين وكيف يسلكون بالتقوى.

لست خادمة لأولادك، بل أمًا يجب أن تدرب وتعلم أولادها كيف يعيشون مع الآخرين وكيف يسلكون بالتقوى.

وإن كنت أمًا لأطفال صغار، أعلم أنك سوف تقومين بجمع اللعب بطريقة أفضل من أولادك، ولكنهم لن يتعلموا أبدًا ما دمت تقومين بهذه المهمة

بدلاً منهم. علميهم كيف يجمعون لعبهم حتى يتقنون هذه المهمة. نعم، سيكون الأمر مُرهقاً في البداية، وستشعرين بأن الأمر قد لا يستحق كل هذه المحاولات، وأنه من الأفضل أن تقومي أنتِ بها... لا تستسلمي، لأنكِ إن فعلتِ، فخمني؛ من سيكون المُدرب ومن سيكون المُتدرب؟ يتحلى الأطفال بقدر كبير من الذكاء لذلك احذري من أن يجعلونكِ تشعرين بعدم جدوى الأمر.

قومي بشرح المطلوب منهم بكل هدوء وكيفية القيام به، وحددي الوقت اللازم لإنجازها، ثم قومي بتشغيل الساعة الميقاتية، واجعلي الساعة تقوم بدور الشرطي. قومي بالإشراف على المهمة من وقت لآخر، وقدمي نصائح إضافية إذا لزم الأمر. لكن إن رفضوا القيام بالمهمة في الوقت المحدد، فلا بد من التأديب.

« من يمنع عصاه يمقت ابنه، ومن أحبه يطلب له التأديب ». (أمثال ١٣ : ٢٤)

لماذا يجب علينا أن نُؤدب أولادنا؟ لأنه جزء من تدريبهم وجزء أصيل من كوننا آباء وأمّهات. فالله نفسه يؤدب كل ابن له يحبه، ويريدنا أن نشترك معه في تلك الطبيعة الإلهية. بدون التأديب لن نحصل على المطلوب منا. كما أن الطفل بدون تأديب يجلب العار على والديه.

« العصا والتوبيخ يعطيان حكمة، والصبي المطلق إلى هواه يُخجل أمه ». (أمثال ٢٩ : ١٥)

« الجهالة مرتبطة بقلب الولد. عصا التأديب تبعدها عنه ». (أمثال ٢٢ : ١٥)

يكبر أولاد كثيرون دون أن يعرفوا شيئاً عن أخلاقيات وقواعد العمل؛ لأنهم لم يتعلموها في بيوتهم. أقوم بطهي وجبة العشاء كل يوم، ويقوم أولادي بغسل الصحون بعدها. وعندما كانوا أصغر سنّاً كنت أوكل إليهم مهام أصغر. فإن تعلم الأولاد مساعدتك في سن مبكرة سيتعودون على ذلك عندما يكبرون: غسل الصحون، كنس الأرضيات، مسح الطاوات... يستطيع أولادك القيام بكل هذه المهام.

تظهر المشكلة عندما تبدأين تدريبهم في سن متأخرة، بعد أن يكونوا قد تعودوا أن يُخدموا بدلاً من أن يكونوا خداماً. لذلك علينا أن نربي أولاداً يعرفون كيف يعملون إلى جوار الآخرين.

لكن ماذا لو لم تفعل ذلك من البداية؟ عليك أن تبدئي حديثاً قلبياً مع أولادك وتقومى بإجراء التعديلات اللازمة اليوم. لقد جلست مع أولادي ذات يوم وقلت لهم: «حسناً، لقد أعلن لي الله أنني كنت مخطئة فيما كنت أفعله. لذلك منذ تلك اللحظة فصاعداً سوف نقوم معاً بتصحيح الوضع. سوف أسمح لكم أن تكونوا مساعدين لي. لن أصبح فيكم مرة أخرى... سوف أطلب منكم الأمر مرة واحدة وعليكم القيام به... هل فهمتم؟»

اشركيهم معك: إذا كان لديك أكثر من طفل، فأنت تعلمين جيداً أن كل طفل يختلف تماماً عن الآخر. يشترك أولادي في الأنشطة بطريقة عنيفة - بكل معنى كلمة عنف: فهم يستمتعون بالمصارعة ويحملي ووضعي فوق أكتافهم... إلخ. لكن بمرور المواسم المختلفة أجدهم يكبرون وفي بعض الأحيان ينسحبون. وكثيراً ما شعرت بانسحاب أحدهم إلى هنا أو هناك.

في البداية كنت في حيرة: لماذا ينسحب هذا الولد من بيننا؟ وبسبب الضوضاء وكثرة الأنشطة في منزلنا كنت لا ألحظ هذا الأمر إلا بعد وقت طويل. وفي بعض الليالي كنت أستلقي في فراشي أتساءل: «هل وضعت قبلة على جبينه اليوم أم لا؟ متى اختفى بعيداً هكذا؟»

إن كان لديك أولاد ابتعدوا مثل ابني هذا، فلا يوجد وقت لإضاعته. ابحثي عنه في الحال. هناك من ينسحب لأنه في حاجة إلى مساحة من الخصوصية. وهناك من ينسحب لكي يتأكد إن كنت ستلاحظين غيابه أم لا. انسحب واحد من أولادي؛ لأنه كان في حاجة إلى وقت مستقطع بعيداً عن الضوضاء التي كانت تملأ منزلنا. لم يرغب في الاشتراك معنا في لعبة الكروت أو أي مسابقة أخرى. بل كان في حاجة إلى وقت يقضيه منفرداً.

هذا ما يحدث أيضاً عندما يعيش أحد الأطفال في ظل أخ له أكبر عمراً أو أخ أصغر يستحوذ على اهتمام والديه. في معظم الأحيان يراقب الطفل الأوسط ليعرف ما إذا كان هناك من يراقبه ويبحث عنه أم لا... تأكدي أنك تقومين بمراقبته والبحث عنه.

متعلقات أو حكيهات

الحكمة هي الصفة التي ينصح بولس النساء المتقدمات في العمر أن

يقمن بتوريثها لمن هم أصغر سنًا. ومن الحكمة أن ندرك أن القرارات التي نتخذها اليوم سوف تؤثر على غدنا سواء بالسلب أو الإيجاب؛ لذلك تزن المرأة الحكيمة الأمور وفق هذا المبدأ كما تسمح للحق الموجود في كلمة الله أن يسود على كل جوانب حياتها.

تعلم المرأة الحكيمة جيدًا أنه يجب افتداء الوقت. فلا فائدة من تكرار أخطاء الأجيال السابقة. السلوك بالحكمة إذاً معناه أن نسمح للآخرين أن يتعلموا من أخطائنا وهذا يعني أننا يجب أن نفعل نفس الشيء. فلا نمو للمرأة التي تلقي اللوم على الآخرين وتعيش سجيناً ماضيها. المرأة الحكيمة تتركب الأخطاء، ولكنها تتعلم من أخطائها. ولأنها تتعلم من خبرات الفشل التي مرت بها. لذلك فهي أكفأ من يساعد الآخرين على النمو أيضاً. (توقفي للحظة واسألني نفسك: ما هو الدرس التي تعلمت به بأصعب وسيلة ولا تريد أن تكررته؟)

المرأة الحكيمة تسبح للحق المجرود في كلمة الله لأن يسود على كل جوانب حياتها.

المرأة الحكيمة لا يجب أن تكون على صواب طوال الوقت؛ لأنها تعلمت أن التواصل والترابط أهم من ذلك بكثير. تبدو بعض الأمور خالدة. ولكن بمرور الوقت- تتحول إلى غبار لا قيمة له. السلوك بحكمة يعني أن نعيش هذه الحياة عالين أنها تتكون من مواسم. فإن كنت شخصياً حكيمة. ستتعلمين أن تعيشي بالكامل كل موسم من مواسم الحياة. فما هي الحكمة إذاً؟

أعتقد أن الحكمة هي احتواء كامل للحق. والمرأة الحكيمة تعرف كيف تعقد صفقاتها: متى تترك. ومتى تتمسك. كل ابنة للعلي عليها أن تتمسك بكلمة الله وبمواعيده. وعليها أن تترك كل عدم غفران ومرارة واستياء وكل أمر أو إنسان لا نستطيع تغييره. هذا مجرد تفسير مختصر. أما السلوك بالحكمة فهو سبب كتابتي لهذا الكتاب.

عقوبات

العفة أمر أريد أن أخصص له بضع صفحات من هذا الكتاب. ودعونا نبدأ بما ورد في رسالة بولس الرسول الأولى إلى تيموثاوس:

« كن قدوة للمؤمنين: في الكلام، في التصرف، في المحبة، في الروح، في الإيمان، في الطهارة ».
(١ تيموثاوس ٤: ١٢)

يوصينا الرسول بولس حتى في شبابنا أن نكون قدوة في الطهارة والمحبة والإيمان بالقول والفعل، فكم بالحري نحن الذين تقدمت بنا الأيام؟ قمت بتأليف كتاب كامل حول موضوع العفة بعنوان «وضعت قبلة على جبين البنات وجعلتهن يبكين» لذلك سوف أكتفي في هذا الفصل بمناقشة الموضوع باختصار؛ لأنه يؤثر على الأمهات والبنات من خلال استعراض إحدى قصص ديزني الكلاسيكية.

مراتي يا مراتي

منذ عدة سنوات، وبينما كنت أعمل في كتابي «وضعت قبلة على جبين البنات وجعلتهن يبكين» استيقظت وأنا أفكر في قصة «سنووايت». كان صباح أحد أيام الصيف وكنت قد استيقظت مبكرًا بينما كان الجميع لا يزالوا نائمين. نزلت إلى البدروم وبحثت بين قصص الأولاد عن تلك القصة ولكنني لم أجد لها في أي مكان.

استيقظ الجميع، لذلك قمت بتجهيز وجبة الإفطار، ثم سارعت إلى محل لتأجير شرائط الفيديو واستعرت قصة سنووايت. لقد شاهدت هذا الفيلم الكرتوني على شاشة السينما عندما كنت طفلة وأتذكر أنه كان مربعًا بالنسبة لي (حسنًا كنت أعتقد أن بامبي أيضًا فيلم مربع). مرت أكثر من أربعين سنة على آخر مرة شاهدت فيها هذا الفيلم، وكنت متأكدة أنه لن يكون مربعًا بالنسبة لي في هذا السن... حسنًا كنت مخطئة.

ربما تتذكرون الفيلم، كانت هناك حجرة مظلمة تدخلها الملكة الشريرة لتعرف ترتيبها من بين الجميلات فتحصل على لقب «المرأة الأكثر جمالاً في الكون». وفي يوم من الأيام يحدث ما لم يكن في الحسبان. لقد أخذت سنووايت لقب «الملكة الشريرة». في ثورة غضبها، تنظر الملكة الشريرة من النافذة لترى سنووايت تغني في الساحة الخارجية للقصر غير مدركة أنها فازت بمسابقة جمال. وأن حياتها صارت في خطر. كانت سنووايت أميرة تبحث عن أمير، وبينما كانت تغني، جذبت أغنيته الأمير الذي قفز من على السور ليسترق النظر إليها ويرد على أغنيته. ترى الملكة الشريرة هذا

التفاعل بين الاثنين، وتقرر أن سنووايت يجب ألا تتزوج، وأن عليها أن تسترد لقب «المرأة الأكثر جمالاً في الكون». لا مفر إذاً من موت الأميرة. تأمر الملكة بقتل الأميرة ولكنها تنجو وتلوذ بكهف يسكنه الأقزام السبعة. تكتشف الملكة الخدعة وتعرف أن سنووايت لا تزال حية. تتخفى الملكة وتخطط لقتل الأميرة مستخدمة تفاحة مسمومة. تبتلع سنووايت الطعم وتأكل من التفاحة وتسقط في سبات عميق لا تفيق منه إلا إذا قبلها الأمير.

شعرت أثناء مشاهدتي للفيلم بسؤال يطرح نفسه: «حتى متى ستظل النساء من جيلي أسيرات صورتهن في المرأة لدرجة أنهن يرفضن أن يحولن قلوبهن إلى بناتهن؟ لقد طردت البنات من بيوتهن واختبئن في بيوت رجال أغبياء على أمل أن يجدهن أمير أحلامهن وينقذهن».

لقد ضللتنا الطريق

اضطربت من حقيقة ما رأيت، لقد ضللتنا الطريق. وقبل أن تشعر أي أم بالإهانة، أرجو أن تفهموا أن هذا الفيلم يعكس صورة للحرب الروحية. يحاول رئيس هذا العالم أن يفصل بين الأمهات والبنات ليجردهن من نفوذهن وقوتهن. وقعت أسيرة الفكرة، وشعرت للحظة بالألم وبعدها رأيت المشهد يتكرر أينما وجهت نظري. لقد صبّت النساء اهتمامتهن على أمور تافهة وزائلة في هذا العالم، بينما تواجه البنات تحديات الحياة وصراعاتها بمفردهن.

يعادل رئيس هذا العالم أُنْ يفصل بين الأمهات والبنات ليجردهن من نفوذهن وقوتهن.

أرجو أن تفهموا أنني لا أنادي بإهمال النساء لأنفسهن من أجل بناتهن، بل أقول إن هناك انفصال بينهما بدل من وجود ترابط وارتباط. نحن نساء نعيش في هذه الحياة ونعلم أنها تنقسم إلى مواسم، ويجب أن يتواجد الجمال والقوة في كل موسم، ولكننا نختبر ضعف وهشاشة عندما نتخطى موسم بأكمله لكي ندخل في موسم تال. أيضاً تضعف قوتنا بالمثل إذا حاولنا استرجاع ما مضى وأهملنا الاهتمام بما في أيدينا. تستطيع المرأة أن تمكن أخريات من إيجاد الطريق.

لكن مع الأسف لاحظت ظهور بعض مشاعر الغيرة من جمال الابنة. وكأن الأمهات يحاولن الإطاحة بجمال بناتهن بدلاً من الاحتفال به، فنجدهن ناقدات وحاققات ومتنافسات مع بناتهن. وبالإضافة إلى هذه المجموعة من الأمهات. هناك أمهات حمقاوات يتركن دورهن كأمهات ليصبحن صديقات لبناتهن. عندما تتخلى الأم عن دورها تُفقد الكثير من الأمور التي كان يجب أن تُورث لبناتها.

البنات في حاجة إلى أم وليس إلى صديقة. وبمرور الوقت تصبح الأم صديقة ومحط ثقة لابنتها. ولكن هذه النقلة لا تحدث إلا بعد أن تنضج البنات. بناتنا لا يحتجن إلى مزيد من الأنداد. بل يحتجن إلى من هم أكبر وأحكم منهن.

بطريقة ما. وبسبب إهمال الأب وغياب الأم الحقيقية. صارت سنووايت خادمة رغم كونها وريثة. تعكس سنووايت صورة بناتنا اليوم. لكن وعد الله لنا هو:

«إن كانت خطاياكم كالقرمز تبيض كالثلج». (إشعيا ١: ١٨)

كل ابنه لله جميلة وطاهرة ونقية. ليس لأنها عاشت حياتها بالكمال والتقوى. وإنما لأن كفارة المسيح قد غسلت خطاياها. ولأن الله كساها برداء بر لا عيب فيه؛ لذلك فهي رائعة وجميلة في عينيه.

صارت سنووايت خالصة رغم كونها وريثة.

لكن يا ترى. ماذا تمثل زوجة الأب الشريرة؟ وما أكبر الفارق بين هذه العجوز الشريرة وبين سنووايت الرقيقة الوديعه. فبينما نرى ملامح وجه الملكة وقد اتخذت خطوطاً مستقيمة وداكنة. نرى سنووايت بلامحها الرقيقة. ونرى في هذا الفارق تجسيدا لما هو سائد في مجتمعات وثقافات عديدة حيث يُطلق على الطهارة والنقاء ضعف وعدم حيلة. فلماذا يجب أن تنتظر الفتاة أمير أحلامها حتى يجدها؟ يجب أن تستخدم كل ما تملك من حيلة لكي تحصل على ما تريد... الذكاء سيجعلها تحصل على ما تريد... الآن!

نلمح اليوم معركة ضارية من أجل النقاء الجنسي على كل

المستويات. تعكس الملكة الشريرة صورة رئيس هذا العالم. إنها نفس القوة التي تسعى خلف بناتنا وتشن حربها ضد الأمهات أيضاً؛ حيث تفرض سيطرتها ونفوذها ثم تقهر ابنة زوجها وتتصرف بالخداع وليس بالحكمة. على عكس ذلك، تتسم بنات العلي بالقوة والتأثير والحكمة والنعمة والمحبة.

القوة تتشارك

يصنع الله أموراً عظيمة ورائعة من أجل بناته سواء الصغار أو الكبار. وآخر ما يريد إبليس هو أن يرى النساء على اختلاف أعمارهن يتحدن ليعرن قوتهن لبعضهن البعض. لذلك علينا ألا نرفض جمال بناتنا بل علينا جميعاً أن نحميهن ونجهزهن للقاء العريس. كأمهات وجدات، علينا أن نبذل كل جهدنا حتى تستعيد بناتنا مكانتهن السامية والهدف من حياتهن. وإن كنا قد اتخذنا قرارات خاطئة تتعلق بحياتنا الجنسية، علينا أن نجنبهم تلك الطرق ليسلكوا في درب أفضل.

آخر ما يريه إبليس هو أن يرى النساء على اختلاف أعمارهن يتحدن ليعرن قوتهن لبعضهن البعض.

لقد حان الوقت لأن نستخدم حياتنا كنموذج يقدم لهن الأمل والرجاء في المستقبل حتى يرثن وعد الله بالجمال في أكثر علاقاتهن خصوصية لا أن يرثن الخزي والعار والألم.

يهاجم اليوم جمال المرأة وصورتها ونقاءها الجنسي أكثر من أي وقت مضى. لذلك على الأمهات والبنات على حد سواء أن يغيرن من نظرتهم للنقاء والطهر.

أيتها الأمهات، لا تخشين من التكلم مع بناتكن؛ لأنهن في أمس الحاجة لأن يستمعوا إليكن. ويا أيتها البنات، اخبرن أمهاتكن باحتياكن إليهن وإلى آرائهن. إذا كانت هناك مشاكل، توجهن للحصول على المعونة التي تحتاجن إليها.

ملحوظة: يتحدث بولس بعد ذلك في رسالته إلى تيطس عن

الأُمور المتعلقة بالاهتمام ببيوتهن. ولأنني أشعر أن هذا الموضوع على قدر كبير من الأهمية سوف أخصص الفصل التالي للتحديث عن كيفية خلق مناخ مناسب للرعاية داخل المنزل بغض النظر عن المنطقة التي تعيشين فيها. أما الجزء التالي والمختص بالصالح فقد خصصت له الفصل الحادي عشر. لذلك سنناقش الآن الموضوع الخاص بالخضوع.

تتسم بنات العلي بالقوة والتأثير والحكمة والنعمة والرحمة

خاضعات لرجالهن

ينصح الرسول بولس الزوجات أن يكنَّ خاضعات لرجالهن. لكن أرجو أن تفهموا أن الله لم يقصد أن يُسيء الرجل معاملة المرأة. فعلى الرجال ألا يسيئوا استخدام السلطة الممنوحة لهم. بل يستثمروها في مساعدة المرأة على الازدهار. وأن يضعوا حياتهم من أجلهن. إنها وصية للرجال لكي يكونوا صالحين ومحبين وكرماء ومسددين لاحتياجات نساءهم. على الزوج أن يحب زوجته كما أحب المسيح الكنيسة. وأن يحبها كما يحب جسده: فالمرأة تحتاج إلى رعاية زوجها لها بالمحبة والحنو. وفي المقابل يتعين على المرأة أن تخضع لزوجها بطريقة تكرمه وتكرم المكانة التي أعطاها له الرب كرأس لها.

والخضوع لا يعني الطاعة غير الواعية: فالخضوع الصحي يسمح بطرح الأسئلة. ولكنه لا يسمح بالتقليل من شأن السلطة الممنوحة للزوج. اسمحوا لي أن أشرح الأمر. يمكن أن تكوني خاضعة لزوجك وتتساءلين بخصوص صحة القرار. ولكن لا يمكن أن تكوني خاضعة له وأنت تشكين وتقللين من حق زوجك في اتخاذ القرار.

الخضوع موضوع يُثار حوله الكثير من الجدل في كنائسنا. لكنه -ببساطة- يطالب الرجل بالعمل لصالح زوجته لا أن يتسلط عليها. ويحث الزوجة ألا تجعل من قيادة زوجها لها مهمة صعبة. بل تقدم له الرأي وتدعمه بكل قوة وتأييد حتى تكون قيادته أكثر فاعلية.

والخضوع لا يعني تمكين العادات السيئة وردود الفعل غير الصحية. وإنما هو استخدام موقعك كزوجة بحكمة بحيث تُخرجين أفضل ما في زوجك. فعندما تسمحين له بإهانتك أو التقليل من شأنك، فأنت لا تُخرجين أفضل

ما فيه. يمكنك أن تقولي له شيئاً من هذا القبيل: «يا عزيزي أريد أن نتوصل لحل لهذا الأمر ولكن لا أستطيع أن أسمح لك أن تكلمني بهذه الطريقة. دعنا نأخذ قسطاً من الراحة ليهدأ كل منا. وبعدها يمكن أن نعاود مناقشة الأمر».

يمكن للزوجات أن يخضعن لأزواجهن برغم عدم اتفاقهن معهم في القرار. فالخضوع لا يعني أن توقفي ذهنك عن العمل. لقد سئمت الزوجات اللاتي لا يعترضن على عصيان أزواجهن لكلمة الله أو لقوانين البلد بحجة خضوعهن لهم. ذلك ليس خضوعاً بل اشتراك في الجريمة.

والخضوع لا يعني (الطاعة غير اللاعبة)؛ فالخضوع الصحي يسمع بطرح للأسئلة ولكنه لا يسمع بالتقليل من شأن السلطة الممنوحة للزوج.

لا يجب أن تصمت المرأة عند رؤيتها لانتهاك الحق. بل يجب أن تدلي برأيها بأفضل طريقة حتى يسمعها الآخرون جيداً. وتذكرى أن الأسلوب عليه عامل كبير إن كنت تريدين أن يسمعك الآخرون. اخبريه بالطريقة التي تودين أن يخبرك هو بها. قولها بحبة واحترام وصيغتها في صورة طلب ورجاء بسبب كرمه وسعة قلبه.

يرتبط الخضوع ارتباطاً وثيقاً بالاحترام والتقدير. بعكس ما هو سائد في مجتمعاتنا. وقد تُفقد هذه القيمة الرائعة إن لم يحدث تحول جذري للطريقة التي يجب أن يحترم بها كل من الرجل والمرأة بعضهما البعض. لذلك وجب على النساء المتقدمات في العمر تعليم وتدريب الفتيات للتحلي بهذه السمات.

إذا شعر جون بلهجة عدم احترام. لا يستمع إلى ما أقول. قد أكون على صواب. ولكن صوتي لن يُسمع. يجب أن يكون لسان حال المرأة الخاضعة: «أنا هنا من أجلك. ومن أجلنا. أريد أن أشارك معك ولا أريد أن أقلل من شأنك».

المقاومة هي عكس الخضوع وتعني العمل ضد شخص ما أو اتخاذ موقف معادٍ أو معاكس. والزوجة التي تقاوم تتسبب في حدوث انشقاقات وانقسامات في بيتها. أما وحدة الهدف فتجعل كل من في البيت ينمو ويزدهر.

للزوجة التي تقارم تتسبب في حدوث انقسامات في بيتها.

ابحثي عن أفضل "أم" على الإطلاق

إذا أردت أن تطبقي وتعيشي النصائح التي أوصانا بها بولس في رسالته إلى تيطس، اطلبي من امرأة أكبر سنًا وأكثر خبرة أن تقدم لك التدريب الذي تحتاجين إليه.

ذات مرة كنت في صراع مع جون، فأدرت قرص التليفون لكي أحكي ما حدث لصديقتي الحميمة وأطلب نصيحتها. المشكلة عندما تطلبين نصيحة صديقة لك، يتعين عليك أن تعملي بنصيحتها وإلا شعرت الصديقة بالضييق والرفض. الحقيقة أنني كنت في حاجة للتنفيث عما بداخلي لا إلى نصيحة، وبعد أن قصصت عليها الأمر بدأت الصديقة التي كانت في مثل عمري تقريبًا بتقديم النصيحة، إلا أن أمرًا غريبًا حدث معي.

سمعت الروح القدس يتحدث إلى أذني الأخرى، وبالرغم من أن نصيحة صديقتي بدت حكيمة وبناءة، إلا أنني سمعت تحذير الروح القدس يقول: «لا تستمعي إليها إلا إذا كنت تريدين الحياة التي تعيشها». فجأة أدركت أن عليّ أن أتواصل مع شخصية تعيش الآن ما أريد أن أعيشه بعد سنوات.

أنهيت الاتصال مع صديقتي وكتبت قائمة بالأشياء التي أريدها: أريد زواج صحي وقوي ومليء بالحب، أريد أن أكبر في العمر والعلاقة مع جون في بيت يملأه الضحك، أريد أن أكون بناءة ومؤثرة حتى وسط الأزمات، لا أريد أن أتمسك بأولادي عندما يكبرون ويتزوجون بأخريات، أريد أن أكون أروع حماة على الإطلاق، أريد أن أكون صادقة مع نفسي.

كلما فكرت في النصيحة التي قدمتها لي صديقتي، أدركت أنها لن تقودني إلى نوعية الحياة التي أريدها لنفسي. كان عليّ أخذ بعض الخطوات على مستوى أعلى لكي أرى نفسي في حياة شخص آخر عاش قبلي نفس التجارب.

وبدأت أتساءل، إلى من أذهب وإلى من أتحذث لكي أكتسب مثل هذه الخبرات ووجهات النظر. أدركت على الفور أنني لست بحاجة إلى صديقة من نفس عمري، بل شخص أكبر وأكثر حكمة، فتوجهت

إلى جدة وانتهى بي الأمر وأنا أقص حكايتي لامرأة رائعة دام زواجها أكثر من ثلاثين عامًا. الحقيقة هي أن هذا الزوج كان زوجها الثالث. لقد اكتسبت حق الدخول إلى حياتي. ليس بسبب ماضيها. بل بسبب الحياة التي كانت تعيشها في الحاضر. لقد اجتازت الصعاب وارتكبت الأخطاء وتعلمت من أخطائها وها هي تعيش حياة يملأها الحب والجمال لمدة ثلاثين عامًا.

أشجعك أن تقومي بعمل قائمة بالأمر التي تتمنيها. ارسمي صورة للأرض التي ترغبين في الوصول إليها. ثم ابحثي عن امرأة تعيش الآن ما تريد أن تعيشينه في المستقبل. ابحثي عن الأمهات والجذات الأكبر سنًا والأكثر حكمة واجعليهن مشيرات لك.

ها قد انتهينا من النصائح التي جاءت في رسالة تيطس. وأرجو أن تطبقها في حياتك. وفي الفصل التالي سوف نتحدث عن بعض العناصر اللازمة لخلق مناخ يشجع على ازدهار المواهب.



خلق المناخ المناسب للرعاية

مناخ (اسم): الظروف المحيطة بالبشر والتي تؤثر على أسلوب حياتهم.

أُتيحت لي مؤخرًا فرصة لكي أكون جزءًا من مؤتمر كان سببًا في شفائي ودعمي بالقوة. كان قلبي مفتوحًا ومصغيًا حتى قبل أن يعتلي أي شخص المنبر. ومع أول ترنيمة تسبيح، انهالت الدموع من عيني. لم تكن كلمات الترنيمة هي السبب ولم يكن التعليم بالشيء الجديد على مسامعي؛ كان السبب هو المناخ العام للمؤتمر الذي أحدث فرقًا كبيرًا وكأنك تزرعين بذرة في التربة الصالحة لها وفي المناخ المناسب لنموها. وكأنك وضعتها في صوبة بدلاً من زراعتها في الجليد. لم تتغير البذرة في الحالتين، سواء في الصوبة أو في الجليد، إلا أن المناخ المهيأ لها هو الذي يجعلها تنمو وتزدهر.

هكذا يساعد المناخ المحيط على هدم أو تعزيز الجو اللازم للرعاية والتنشئة. سوف أخصص هذا الفصل لمناقشة بعض الطرق العملية التي من شأنها أن تخلق مناخًا يساعد على نمو وازدهار ما وضعه الله داخلك وداخل حياة كل من يقترب منك.

أهمية الطقوس

يمكن أن تكون الطقوس أمرًا جيدًا. دعوني أشرح لكم. عندما كان أولادي صغار في السن، كانت حياتنا غير عادية بسبب كثرة أسفار جون التي كنا نرافقه فيها. كنا نحشد أمتعتنا في سيارتنا الهوندا بعناية وحرص شديد

وفي الكرسي الخلفي كنا نضع شنطة سفر بين الكرسيين المتشابهين والمحصنين لأولادنا أديسون وأوستن حتى نفصل بينهما فلا يتمكن من ضرب أو إيذاء بعضهما البعض. وبعدها كنا نسلح أنفسنا بعدد من شرائط الترانيم وقصص الأطفال المصورة. ثم نبدأ مع جون بكل شجاعة رحلة السفر التي قد تستمر لأكثر من عشر ساعات.

عندما كنت حامل في أليس. كان علينا أن نتوقف كل ثلاث ساعات تقريباً حتى أتمكن من تحريك عضلات جسمي (كنت في معظم الأحيان. أدور حول السيارة بضع مرات) كما كنا في حاجة إلى دخول دورة المياه.

اختلفت أماكن إقامتنا في تلك الأوقات. فكنا ننام أحياناً في بيوت أعضاء الكنيسة. أو في خيمة في الحديقة الخلفية لأحد المنازل. وفي معظم الأحيان كنا نقيم في البيوت النقالة. كل هذا كان معناه مستويات مختلفة من الراحة وأجواء مختلفة ومتباينة. كما أن هذا النوع من الخدمة كان يتطلب النوم في ساعة متأخرة والاستيقاظ. في كثير من الأحيان. في وقت مبكر.

تعامل الأولاد مع السفر بطريقة لا بأس بها. وذلك لأنه برغم اختلاف أماكن النوم في أثناء انتقالنا من مكان إلى آخر. لم تتعب طقوس النوم. في كل ليلة كنت أهزهم وأغني لهم وعندما كانوا أصغر سنًا كنت أحممهم أيضًا. لقد تمتع أولادي منذ ولادتهم بنفس الطقوس كل ليلة: في البداية كان الحمام المهدئ ثم وقتاً للأحضان واللعب وقراءة القصص وترديد الأغاني. وبالرغم من عدم وجود كرسي هزاز. إلا أنني كنت أخذهم في حضني وأهزهم جيئةً وذهاباً حتى يخلدوا للنوم. أما الأوقات التي كنا نغير فيها هذا الطقس. فكانوا يدخلون في نوبات غضب وصراخ كما يفعل كل طفل مُتعب.

أذكر جيداً عندما كان جون وقتها يحاول وضعهم في كرسي السيارة داخل مطبخ البيت الذي كنا نقيم فيه على أمل أن يعتقد الصبي أنه مسافر في السيارة فيخلد للنوم... إلا أن هذه الحيلة لم تنجح أبداً.

مثل هذه الطقوس تجعلهم يشعرون بأنهم في بيتهم بالرغم من بعدهم عنه مئات الأميال. تمارس كل أم في كل مكان بعض الطقوس الخاصة بها والتي من شأنها أن تشعر الطفل بالأمان والراحة حتى عند وجوده في أماكن غير مألوفة.

الأم قادرة على خلق مناخ يبعث على الراحة

تتمتع كل أم بقدره رائعة على خلق مناخ من الراحة لأولادها. مسؤوليتها العظيمة هي أن تتواصل بحميمية مع أولادها وبناتها. ويعتبر الروتين من أجح الوسائل التي تعينها على الوصول لهذا التواصل الناجح.

تتمتع كل أم بقدره رائعة على خلق مناخ يبعث على الراحة لأولادها.

ما أكثر المرات التي عدنا فيها إلى غرفتنا في الفندق مرهقين إلى أقصى حد. وكنا نتمنى أن نضع الأولاد في فراشهم أو على الأريكة المزدوجة المخصصة لنومهما لنغوص في نوم عميق أنا وجون. لكن كان من حقهم علينا أن نمنحهم آخر نظرة وآخر أغنية وآخر قصة قبل أن ينتهي اليوم. لقد قضوا نهارهم أو ساعات طويلة منه في دار للحضانة أو اللعب على حجري وأنا جالسة في الصف الأول أثناء الخدمة في الكنيسة (ولا أدري لماذا تطول الخدمات في الكنائس الصغيرة). لقد راقبونا ونحن نمنح الوقت لكل شخص آخر. والآن حان دورهم. حان وقت القبلات والأغاني والأحضان. لا بد من تقديم الرعاية لهم. كان علينا أن نؤكد لهم أن علاقتنا بهم مهمة للغاية. وعندها يزول القلق وترتاح أجسادهم جدهم يغطون في نوم عميق ثم يستيقظون بكل الحماس الموجود في العالم في اليوم التالي. لم أندم يوماً على الأوقات التي قضيتها مع أولادي مساء كل يوم.

والآن وبعد أن كبر أولادي. نادراً ما تمر ليلة دون أن أعد لمن يريد كوباً من الأعشاب الدافئة. ثم أجلس معاً لنلعب بالكروت أو لنشاهد التليفزيون أو أجلس معاً على الأريكة وفي أيدينا كوب دافئ من الأعشاب.

فما هي بعض الأمور التي يمكن أن تفعليها لتخلقي مناخ من الدفء في بيتك؟ ربما يمكنك أن تصنعي شيئاً خاصاً من شيء تقومين به بطريقة روتينية!

دفء المشاعر = الرعاية

اكتب هذا الجزء من الكتاب في أواخر فصل الشتاء. لذلك يبدو وكأنها مزحة أن أتحدث عن الدفء من داخل منزلي بكلورادو. لم

نحظ بمناخ دافئ لفترة طويلة، وها قد حل شهر فبراير ولا تزال بقايا الجليد الذي يتساقط منذ شهر ديسمبر في كل مكان. أجلس الآن أمام الكمبيوتر مرتدية جوب صوف وبيجامة صوف وفوقها روب ضخم وردي اللون. أعرف أن منظرني غير جميل، ولكنني أحاول تدفئة نفسي في طقس تقل درجة حرارته عن الصفر. أتساءل: "كيف تواجه النباتات في الحديقة تلك البرودة الشديدة في موسم الشتاء؟" سبق لنا أن عانينا من مثل هذا الطقس البارد والثلوج، ولكنه لم يدم كل هذا الوقت قبل ذلك.

إن أردنا حياتنا أن تزدهر، يجب أن نحظى بالدفء، أو على الأقل، يكون لدينا أمل فيه. يستخدم الكتاب المقدس أمثلة من النباتات ليعلمنا عن أنفسنا. فالمناخ البارد ليس بالضرورة أمر سيئ بالنسبة للنباتات؛ فبدون موسم الشتاء، كيف لنا أن نحتفل بالدفء؟ لقد نشأت في "فلوريدا"، ولاية الشمس، وهناك تعلمت أن البرتقال لا بد أن يجتاز فترة البرودة لكي نحصل على ثمار حلوة، فبرودة هواء الشتاء تجعل شجرة البرتقال تفرز الحلوة في الثمار، في حين يفشل حر فلوريدا ورطوبتها في ذلك.

لن أرونا حياتنا لن تزدهر، يجب أن نعطى بالدفء.

أما في كلورادو، كان عليّ أن أخلق جوًا معاكسًا لذلك الذي في فلوريدا. فسكان هذه الولاية يبحثون عن الدفء، وفي بيتي ستجدون بطاطين مختلفة الأشكال والأحجام والخامات. هناك الكثير من البلوفرات المصنوعة من الصوف والأغطية التي تشبه الفرو وهناك غطاء من "نيوزيلاندا" يشبه صوف حيوان الماموث. كل هذا لأنني أريد أن يشعر الضيوف وأفراد عائلتي بالدفء في البيت.

لقد سبب بحثي المستديم عن الدفء الإزعاج لجون في وقت من الأوقات، فأنا أحب النوم وسط طبقات من الأغطية؛ لأنني أحب الشعور بالدفء، أما جون فعكسي تمامًا. لذلك أستيقظ في كثير من المرات وفوقي كومة من الأغطية الخاصة بي وبه أيضًا. أما كليتنا "تيا"، فكثيرًا ما جدها مختبئة وسط أكوام من البطاطين.

ما أصعب أن يستريح جسم الإنسان وينعم بالراحة إذا شعر بالبرودة؛ وذلك لأن كل طاقة الجسم تتوجه ناحية تعويض هذا النقص في الحرارة.

لقد خلقنا الله لننعم بالدفء، ولكن منذ شعورنا بالعري في جنة عدن، كان علينا أن نلتمس الدفء من الطبيعة المحيطة بنا؛ فبينما يبوت لنحتمي فيها من العناصر الموجودة في الطبيعة، ولبسنا المعاطف لنحتفظ بحرارة أجسادنا ووضعنا البطاطين على الأسيرة.

كل هذا جيد ولكن نستطيع أيضًا أن نخلق جوًا من الدفء الداخلي الذي يمكن التعبير عنه بابتسامة أو لمسة أو هدية أو وجبة نتناولها معًا أو الاستمتاع بجمال الطبيعة. يعتبر دفء المشاعر جزء أصيل من رعايتنا لأولادنا.

حسنًا، دعونا نرجع خطوة للوراء... أنا أعيش مع خمسة رجال وبيتي ليس جميلًا... ولكنه دافئ وملائم وبعض أركانه غير قابلة للتدمير. يمكن لأولادي دعوة أصدقائهم إلى منزلنا والجلوس على الأريكة دون خوف، ليس لأنها متسخة بالفعل، ولكن لأن كل ما عليها يمكن غسله في غسالة الملابس.

يمكن التعبير عن الرفض بابتسامة أو لمسة أو هدية أو وجبة نتناولها معًا أو الاستمتاع بجمال الطبيعة.

فالدفء إذاً لا يقتصر على درجة الحرارة فقط، وإنما يمكن أن يستشعره الإنسان في مناخ يدعو الآخرين للدخول والاسترخاء. شعارنا في المنزل هو «تفضل بالدخول واللعب- نريد أن نهزمك في هذه اللعبة. وعندما ننهي من اللعب، سنتناول الطعام معًا».

في رأيك، ما هي الطقوس التي تتبعينها في حياة عائلتك؟ ما هي بعض الطقوس التي جعلك تشعرين بالراحة والحب، والتي يمكن أن تتبعينها مع الآخرين؟ وما هي بعض الطقوس التي يمكنك خلقها؟ قد ترغبين في احتساء بعض الأعشاب مع بناتك كل ليلة قبل أن تضعيهن في الفراش. وقد ترغبين في احتساء الشاي وأنت تقرأين لهم بعض القصص في السرير.

الطعام والضحك

في رأيي، الطعام والضحك شيان لا يمكن الاكتفاء منهما في أي بيت.

نعم، قد يعني هذا تناول الطعام بكثرة، ولكن يا له من شعور رائع أن يعلم المرء أنه إن شعر بالجوع سيجد دائماً شيئاً جيداً ليتناوله.

كنت، مع الأسف، أبخل على زوجي وأولادي بالطعام، وأحرمهم من الطعام في كثير من الأحيان، وكنت أتوقع أن يشعر الجميع بالجوع عندما أشعر أنا به. لم يكن في بيتي شيئاً ممتعاً للأكل.. فقط الأطعمة الصحية. بدأ أولادي يسربون الأطعمة غير الصحية إلى حجرة نومهم، وكانوا يبادلون غذاءهم الصحي في المدرسة بوجبة سريعة أو حلوى.

الطعام الصحي شيء جميل ولكن البهجة والضحك يجب أن يكونا جزءاً من غذائنا أيضاً. أما أنا فلا أدري كيف نجحت في استئصال هذا الأمر من حياتنا.

« طوبى لكل من يتقي الرب، ويسلك في طريقه. لأنك تأكل تعب يديك، طوباك وخير لك. امرأتك مثل كرمة مثمرة في جوانب بيتك. بنوك مثل غروس الزيتون حول مائدتك. هكذا يُبارك الرجل المتقي الرب». (مزمو ١٢٨ : ١ - ٤)

كل إنسان يخاف الرب لا يمكن أن يتذمر بل تجده سعيداً. وعندما يجلس على مائدة الطعام يأكل ويستمتع بجود الرب وصلاحه.

حتى وإن كانت كمية الطعام قليلة، ستبدو أكثر بكثير إذا قدمناها بفرح وضحك بدلاً من البخل. اسمحي لهم بتناول رغيف كبير من الخبز وأطباق المعكرونة لإضافة البهجة إلى وجباتهم. كوني كريمة واستمتعي بتلك الأوقات.

كل إنسان يخاف الرب لا يمكن أن يتذمر، بل تجده سعيداً.

الضحك علاج الجسد والنفس. كان جون يستعد لتصوير بعض مقاطع فيديو للدعاية عن كتابه الجديد «فخ إبليس» في بيتنا الصغير. حاولت خلال ذلك الوقت تسلية الأطفال لكي يحتفظوا بالهدوء، إلا أن ضحكاتهم كانت تتسرب من الغرفة التي كنا فيها لتصل إلى مسامع طاقم التصوير وكان عليهم قطع المشاهد وإعادة تصويرها أكثر من مرة. ثم أخيراً أخذت الأولاد ووضعتهم في السيارة بعد أن اعتذرت للمخرج.

لا زلت أتذكر كلماته حتى هذا اليوم: قال: «إن ضحكات الأولاد في

هذا البيت من أعظم البركات التي ستحظين بها. اجعليهم يضحكون واطحكي معهم». ما أكثر الأوقات التي ننشغل فيها نحن الأمهات بأمر الحياة والمهام المطلوبة منا لدرجة أننا ننسى إضافة بعض السحر على حياتنا. اضحكي معهم أثناء وقت الطعام.

وفيما تستعدين لخلق مناخ يكفل الرعاية لأسرتك اسألي نفسك: ما هي الأطعمة التي يمكنني تقديمها لعائلتي ولأصدقائي؟ هل أنا كريمة في تقديم الطعام أم بخيلة؟ كيف يمكن أن أحصل على المزيد من الضحك في حياتي وفي بيتي؟

الإضاءة ومناخ الرعاية

إليك واحدة من أسهل الطرق لخلق مناخ يساعد على الرعاية. إنه أمر بسيط للغاية: راعي أن تكون الإضاءة مناسبة للنشاط الذي تقومون به. فإن حان وقت الراحة، يجب أن تكون الإضاءة ناعمة، وإن حان وقت المذاكرة والتركيب، يجب أن تكون الإضاءة قوية بحيث يكون كل شيء واضح. وإن كنتم تتناولون الطعام، فلا بد أن تكون الإضاءة دافئة وباعثة على الراحة والاسترخاء (بقايا الطعام تبدو أشهى عندما تكون الإضاءة خافتة). لقد اكتشفت أن الإضاءة الخافتة تبعث على الاسترخاء، فعندما يقل مستوى الإضاءة، يميل أفراد عائلتي إلى الهدوء والتواصل معًا.

المناخ يجب أن يكون صحيًا. من المؤكد أننا مررنا جميعًا بأوقات شعرنا فيها باليأس والغم، ولكن مسؤوليتك كأمراة هي الاهتمام بمناخ بيتك ومن الممكن أن تساعدك الموسيقى في تغيير جو البيت. لهذا السبب أقوم بتشغيل الموسيقى في بيتنا بصفة مستمرة.

في أوقات أخرى قد نحتاجين إلى أخذ الأمور إلى مستوى أعمق بأن ترفعي هذا التثقل والغم في الصلاة. تكون صلواتنا فعّالة للغاية عندما ندرک من نحن في المسيح وما نحتاج إلى انتهاره. فإن قممت بتشغيل الموسيقى وضبط الإضاءة ومع ذلك ظل جو البيت كئيبيًا، ما عليك إلا أن تواجهي الأمر في الروح.

تكون صلواتنا فعّالة للغاية عندما ندرک من نحن في المسيح.

ستعترض قوات الظلمة طريقك. لا تسمح لها أن تخيفك... فلا يوجد سبب يجعلها تخيفك. عندما تشعرين بالضيق والغم. ارفعي قلبك في الصلاة لمن هو قادر أن يزيح الغم والضيق.

لا بأس بالأماكن الصغيرة

المساحات الكبيرة ليست بالاختيار الأمثل دائمًا. خلال الخمس وعشرين سنة من زواجنا. عشنا في خمسة بيوت مختلفة. وفي كل هذه البيوت. كنا كعائلة نحب الأماكن الدافئة الصغيرة. في أحد هذه البيوت كان هناك مدخل كبير وحجرة سفرة ومعيشة شاسعة الاتساع. لكننا لم نستخدمهما أبدًا! كنا نسرع الخطى لعبور هذه المناطق الرسمية ذات الأسقف العالية لكي نصل إلى حيث نريد أن نذهب.

كنا نجتمع عادة في الأماكن التي كنا نشعر فيها بالراحة والدفع. وما أكثر المرات التي امتلأ فيها مطبخنا وركن الطعام بأصدقاء أولادي من المراهقين أثناء إعداد المعكرونة. أو تقطيع شرائح الطماطم. مساء أمس جلست أنا وابني البالغ من العمر إثني عشر عامًا على أرضية المطبخ مقابل الحوض نرتشف الشاي ونقوم بحل واجب التاريخ. يمكن أن يسري الشعور بالأمان في الأماكن الضيقة في البيوت التي يملأها الحب.

وأنتِ بصدد خلق مناخ يساعد على النمو والازدهار. راعي وجود مساحة يمكن ملئها دون أن يشعر أحد بالعزلة. أنا شخصيًا أفضل أن أتكلم إلى مائتين امرأة يجلسن في غرفة صغيرة مُكَدَّسة عن أن أتكلم إلى خمسمائة امرأة ينتشرن في كنيسة كبيرة تسع ألف شخص. شعوري سيختلف من هذا المكان إلى ذلك. ستحتار النساء أين يجلسن في الكنيسة الكبيرة. ولن أعرف أنا في أي اتجاه يجب أن أنظر. وسيشعر الجميع بعدم الترابط.

هل تعتقدين أنك بحاجة إلى منزل أوسع حتى تستطيعي تسلية الأولاد بطريقة أفضل أو الترحاب بالآخرين بصورة أحسن؟ هل تترددين في دعوة آخرين لأنك تعتقدين أن منزلك صغير أكثر من اللازم أو متواضع التأنيث. لا تمنعي نفسك... قدمي لهم الدعوة. فالناس يتذكرون دفع المنزل أكثر من شكله.

إن كنت تفكرين في فتح بيتك وحياتك للآخرين، فأنت لست بحاجة إلى بيت أكبر لتكوني أكثر فاعلية أو تأثير.

الانتشار

لكل شيء تحت السماء وقت، وهناك وقت وزمان للتوسع والانتشار. عندما تنمو نبتة ما لتصبح أكبر من الإناء المزروعة فيه، تحتبس جذورها وتكون معرضة للخطر. في الماضي كنت أقوم برفع النبتة من الإناء الصغير وأضعها بجذورها كما هي في إناء أكبر أو في حفرة في الأرض. وكانت النتيجة... كارثة.

لا بد من فض الاشتباك بين الجذور وإلا لن يشعر النبات بأنه تم نقله إلى إناء أوسع، وسيستمر الحال كما كان عليه. لقد ذبلت النباتات التي نقلتها بهذه الطريقة ومات البعض منها في غضون سنة، وعندما رفعت النبات من التربة لاحظت أن الجذور ظلت كما كانت قبل أن أقوم بنقلها.

لكي تعيد زراعة أي نبات، عليك أولاً أن تنشر أو توسع المسافة بين الجذور بحيث لا تأخذ نفس شكل الإناء القديم. يجب إعادة توجيه الجذور في كل الاتجاهات، وهي مهمة كنت أخشاها طوال الوقت؛ لأنني خشيت أن أقوم بتقطيع الجذور أثناء تلك العملية، ولكنني اكتشفت أنها شر لا بد منه.

والآن دعونا نتحدث عن الرعاية في بيت الله، وهو الإناء الذي يحتاج إلى توسع واتساع. كيف يمكن تطبيق فكرة الرعاية التي يجب أن نقدمها للنبات في بيت العلي؟ حسنًا، إن قمنا باسترجاع الثقافة التي تعيش فيها الكنيسة اليوم والخدمات التي تقوم بها النساء، سنكتشف أن معظم الخدمات النسائية محدودة الجذور. ويبدو أن الأشخاص الذين يقومون بالخدمات يكررون أنفسهم. نحتاج إلى أفكار جديدة ودم جديد. نقوم ببناء كنائس أكبر، ولكننا في معظم الأحيان نفشل في رعاية وحب من فيها. كل ما نفعله هو أننا نقوم بنقل النبات من إناء إلى إناء أكبر دون أن نقوم بإعادة توجيه الجذور والتوسيع فيما بينها. لا أشك للحظة أن النساء على اختلاف أعمارهن استطعن أن يرين جزءًا مما في قلب الله تجاه كنيسته ولكننا نجتمع بالنساء دون أن نمتد لنصل إلى جذورهن، وفي نهاية الاجتماع نرسلهن عبر الباب ناصحين إياهن قائلين: «عدن إلى بيوتكن واحسبن»

التصرف، وكنّ أمهات وبنات صالحات». كل هذا جيد وحسن، ولكن العالم أكبر منا ولا يجب أن نكتفي بالخير والصلاح بعد الآن. هناك الكثير من المجروحين والمتألمين خارج أسوار حياتنا.

نقوم ببناء كنائس أكبر ولكننا في معظم الأحيان نفشل في رعاية وحب من فيها.

لا بد أن تمتد الكنيسة وتوسع آفاقها لما هو أبعد من حدود مبانيها. ما أكثر الأوقات التي نضيعها في إخبار النساء بما لا يستطعن عمله بدلاً من إخبارهن بما يستطعن فعله. يا أيتها البنات، بوسع كل منكن أن تعمل ما وضعه الله على قلبها.

«أستطيع كل شيء في المسيح الذي يقويني». (فيلبي ٤: ١٣)

الله لا يعفيك من هذا الوعد لأنك ابنته، فالآية لا تقول: «يستطيع الرجال كل شيء في المسيح». أما النساء فضعيفات لذلك يجب أن يكتفين بشرب الشاي». نعم شرب الشاي أمر جميل ومنعش ولكن مهمتنا هي التغيير. لذلك علينا أن نلتف حول المائدة لنحتفل ونفكر كيف يمكن أن تكون كل منا أداة لتغيير العالم.

لكل منا دائرة نفوذ وتأثير أوكلنا الله عليها، وفي كل عام يجب أن تتسع هذه الدائرة. لماذا؟ لأن أي منا لن تشعر بالرضا إن لم يكن لها دور في تغيير العالم. نعم يبدأ الأمر في البيت ولكنه لا يقف عند هذا الحد. بل يجب أن يمتد لما هو أبعد بكثير.

إن كان تفكيرنا صغير ومحدود، فسوف نتقابل في العام التالي لكي نستمع ونسمع بعضنا البعض، ثم نذهب كل في طريقها وبمفردها مرة أخرى. لا يمكن لأي منا أن تساعد الآخرين على القيام بأمر لم تفعله هي في حياتها. اسألني نفسك: «هل حدث نمو في حياتي؟ هل أعيش ما تعلمته؟ ما هو الشيء الذي يمكنني فعله لكي أعيد توجيه جذور حياتي لكي تتسع وتمتد؟»

لن تشعر أي منا بالرضا إن لم يكن لها دور في تغيير العالم.

لقد سئمت من كوني لطيفة طوال الوقت... أريد أن تمتد جذوري وتنتشر لكي تتسع دائرة نفوذي وتمتد. فإن قمنا بإعادة توجيه تلك الجذور. سوف نمو لنصير أكثر شبهاً بما رأينا وسمعنا. سوف نكون أقوى وأصلب وسيزداد الساق في النمو والجذور في العمق. وإلا انتقلنا من اجتماع إلى آخر دون أن ننمو على الإطلاق.

« هؤلاء هم الذين يدخلون البيوت، ويسبون نسيات محمّلات خطايا، مساقات بشهوات مختلفة. يتعلمن في كل حين، ولا يستطعن أن يقبلن إلى معرفة الحق أبداً. » (٢ تيموثاوس ٣: ٦-٧)

لماذا تنساق هؤلاء النسوة إلى كل تعليم جديد؟ هل لأنهن لم يسلكن بالتعليم القديم؟ يسمعن ولكنهن لا يقبلن ولا يطبقن ما تعلمنه وهذه هي أولى خطوات الخداع: إذ يبدو أن التعليم القديم لا يكفي الحياة التي يعشنها بلا هدف، لذلك نجدهن يبحثن دائماً عما هو جديد. قد يذهبن من كنيسة إلى أخرى، ومن مؤتمر إلى آخر. ولكن بسبب العطل الموجود في النظام الجذري، لا يثمرن.

يصنع الله أموراً جديدة، ولكنها تبدأ باتباع التعليم القديم الخاص بالتقوى والسلوك بقوة الروح القدس.

فإن اجتمعنا معاً دون أن نُوجّه ونُشجِد. ستظل الأخت فلانة أسيرة خطاياها كما كانت في العام السابق. هل نخشى التربة الجديدة؟ ما أكثر المرات التي عقدنا فيها اجتماعات ومؤتمرات ولكننا فشلنا في تمكين الحاضرين لكي يطبقوا ويعيشوا ما تعلموه. قد ننمو المجموعة في العدد ولكن هل تتغير حياة الأفراد بطريقة عملية ومستمرة؟

الأخلاق الجيدة

لا شك أن موضوع الأخلاق الجيدة أمر مفروغ منه. فلن تحصل أي امرأة على ما تريد -سواء في المؤتمرات أو في الكنائس أو في البيوت- لو عاملناها بوقاحة. لذلك تعتبر الأخلاق الجيدة أمر لا غنى عنه إن أردنا أن نرعى الآخرين. ذلك لأن السلوك بحسب الأصول والاتيكييت يظهر احترامنا لمن هم حولنا ويوقر حضورهم، كما أنه يخلق جوّاً مريحاً للحوار الإيجابي والبناء. عملت أمني بجد واجتهاد لكي نزرع فينا أكبر قدر من أصول الاتيكييت وها

أنا الآن أحاول استرجاع ما ألقيت به جانباً معتقدةً أنه عفى عليه الزمن أو أصبح غير ضروري في عالمنا غير المتحضر. لا أدري كيف حدث هذا، ولكننا، كمؤمنين، نؤيد هذا الأمر. بل وفي بعض الأحيان نبرر وقاحتنا مدعين أنها أمر روحي. وقبل أن تهاجموني، أتمنى أن تستمعوا إليّ أولاً ودعوني أبدأ بوضع بعض القواعد الأساسية: الوقاحة صفة لا يجب أن يتحلى بها المؤمنون وبالأخص المؤمنات من النساء. فكونكِ ابنةً لساكن السماوات لا يعطيك الحق أن تكوني وقحةً على الأرض. لا يجب أن تكوني من عليّة القوم الذين غفرت لهم خطاياهم ... بل نحن خادمات على الأرض لذلك علينا أن نكون أكثر وداعة ورفقة وأدب من أي بنت أخرى عاشت على كوكبنا هذا.

كُونِي ابنةً لساكن السماوات لا يعطيك الحق أن تكوني وقحةً على الأرض.

مع الأسف، قابلت خلال رحلاتي مؤمنات وقحات، لا أجرؤ أن أحكي لكم عنهن. لم يكن من بين الأشخاص الذين استضافونا بل كُنَّ في أغلب الأحيان مؤمنات لا يعلمن أن هناك من يراقبهن. هن أخوات وقحات في المطاعم وفي المطارات، وبنات لا يحسنن التصرف عند مصفف الشعر أو في عيادات طبيب الأسنان، ولكنهن مؤدبات في الأماكن الأخرى مثل الكنائس والمؤتمرات، ولكنه أمر غير مضمون العواقب أيضاً. يجب أن أعترف أنني كنت من بين هؤلاء المؤمنات الوقحات؛ لذلك أكتب هذا الفصل على أمل ألا تظن أي منكن كما كنت أنا. لذلك دعونا نترك كل سلوك مشين سلكنا به في الماضي ونتحلى بالنعمة.

بعض التفاسير:

قبل أن نكمل حديثنا، دعوني أفسر بعض المصطلحات: ترتبط الأخلاق الجيدة بفن الاتيكيت، إلا أنهما أمران مختلفان.

الاتيكيت (اسم): مشتق من كلمة فرنسية بمعنى «تذكرة» وكانت تستخدم لترسم المسار الصحيح الذي كان على النبلاء من الفرنسيين اتباعه وهم يسيرون في حدائق "فرساي".^١

ولتبسيط هذا التعريف حتى يتناسب مع موضوع حديثنا أقول إن كلمة اتيكيت تعني مسار النبلاء في دروب الحياة. ويطلق على فن الاتيكيت "لغة الأخلاق" وهو الأسلوب الذي يجب أن يحكم سلوكنا في كل تعاملاتنا مع الآخرين. أما عن تعريف الأخلاق. فلا يوجد أفضل من تفسير "إميلي بوست": «تتكون الأخلاق من قواعد بسيطة تحكم السلوك. ويمكن للإنسان أن يتعلمها بسهولة إن لم يكن يعرفها بالفعل. الأخلاق هي الشخصية. أو إعلان عن الشخصية الداخلية للإنسان. وانعكاس لنظرته تجاه الحياة». تُظهر أخلاقنا وتصرفاتنا أو تعكس شخصيتنا الداخلية. ويعتبر الاحترام والتقدير والوداعة أساس الأخلاق الجيدة تجاه سكان الأرض. لهذا السبب تعتبر الأخلاق الجيدة أمرًا لا غنى عنه.

«أي إن الله كان في المسيح مصالحًا للعالم لنفسه، غير حاسب لهم خطاياهم، وواضعًا كلمة المصالحة. إذ أنسى كسفاء عن المسيح، كأن الله يعظ بنا. نطلب عن المسيح: تصالحوا مع الله». (٢ كورنثوس ٥: ١٩ - ٢٠)

سفير (اسم): ١. موظف دبلوماسي على مستوى رفيع. مُرسل من قبل بلده ليكون ممثلًا لها على المدى الطويل في بلد آخر. ٢. ممثل رسمي لمؤسسة أو حركة.

في ضوء هذين التعريفين. أقول إن علينا أن نتأهل؛ إذ لم يعد أي منا ممثلًا عن نفسه أمام العالم. بل ممثلًا للملكوت السماوات والهدف هو المسيح. لذلك ليس من المناسب إذاً أن نسلك بوقاحة أو بكبرياء.

لقد صار كل منا ممثلًا للملكوت السماوات والهدف هو المسيح.

بعض قواعد الاتيكيت الخاصة

فيما يلي ستجدون بعض قواعد الاتيكيت الأساسية التي من شأنها خلق مناخ يشجع على النمو والازدهار.

فن التعارف: اصرفي وقتًا للتأكد من أن جميع الحاضرين تم التعريف بهم وأنهم صاروا جزءًا من المجموعة. حتى وإن لم تكوني المضيف أو صاحبة البيت. انتظري بضع دقائق وإن لم يقم المضيف أو المضيفة بهذه المهمة. قومي أنت بها. فلا أحد يحب التواجد مع أشخاص لم يُعرّفه أحد عليهم دون أن يشعر

بالإحراج. قدمي نفسك. أنظري إلى عيني الشخص ثم صافحي يده قائلة: «أهلاً بك، اسمي...» تريح عبارة مثل تلك، الحاضرين؛ لأنهم سيَشعرون أنك تريدين أن تتقابلي معهم وتتعرفي على أسمائهم. يوجد شعور بالراحة عندما يتعرف كل شخص على الأشخاص الموجودين معه. أما إذا نسيت اسم شخص، فلا يوجد ما يمنع أن تسأليه عن اسمه مرة أخرى.

اتيكيك خاص بمطاعم الوجبات: إذا كنت تتعاملين مع أشخاص في مجال صناعة الخدمات، استخدم اسم مقدم الخدمة. فإذا جاءك النادل (الجرسون) لكي يأخذ طلبك، انظري إلى الشارة المكتوب عليها اسمه وقولي: "أهلاً يا شانون، أود أن أطلب..." فمن خلال هذا النوع من التواصل يشعر الشخص بقيمته كأنسان له اسم.

أما إذا قدم لك النادل قائمة المشروبات الكحولية، وأنت لا تريدين تناولها، أرجو ألا تقومي بعمل دعاية مسيحية "نحن لا نحتسي الخمر". سيَشعر الجميع بالغرابة؛ لأن أحد لم يسألك إن كنت تشربين الخمر أم لا. أفضل ما يمكن عمله عندئذ هو أن تقولي مثلاً: "أشكرك، ولكننا لن نحتاج إلى هذه القائمة الليلة". وتذكري أنك حاولين دائماً خلق مناخ يشجع الرعاية والازدهار وتسعين للتفاعل بكرم مع الآخرين ومقدم هذه الخدمة هو واحد من هؤلاء الآخرين.

لا تحتاجين للتفوه بالمزيد؛ فالأمر لا يختلف كثيراً عن عدم تناول المقبلات أو الحلو. أنت لست في حاجة لأن تعلني عدم شربك للكحوليات للعالم كله. كما أن المضيف أو النادل يحاول مساعدتك فقط ولا يحاول أن يتأكد من صلاحك.

قبل مغادرتك المطعم، اتركي بقشيشاً يتناسب مع حجم الخدمة المقدّمة، فبضع جنيهات لن تمثل مبلغاً كبيراً بالنسبة لك ولكنه يعني الكثير بالنسبة لهم. وحتى إن كانت الخدمة رديئة، أرجو ألا تفكري في ترك بعض العملات القليلة (حسناً، هل عرفتم الآن أي كنت تعمل مضيضة من قبل؟ نعم، إنه عمل شاق).

اتيكيك خاص بالخدمة: إن دُعيت لتكوني أحد المتكلمين في مؤتمر ما، وهناك متكلمون آخرون، تأكدي من إكرامك لهم قولي شيئاً مثل: "أعلم أن الله سوف يضيف المزيد في كل خدمة، ولا أريدكم أن تفوتوا على أنفسكم الخدمة التالية التي سوف تقدمها..."

ستشجع مثل هذه الكلمات الحاضرين على الانتباه، كما أنها ستشعر

المتكلم التالي بالراحة والثقة وتذكري أنك موجودة معهم لإجّاح هذا المؤتمر. لستِ مدعوة لكي تتفوقِ عظتكِ على عظاتهم أو للمنافسة معهم على منتجٍ للبيع. أنتم موجودون معاً لبناء وتغيير حياة الحاضرين. احترمي الأوقات المخصصة لكِ، فالاستفاضة تعني استقطاع هذا الوقت من متكلمٍ آخر. اسألي مسؤول المؤتمر عن الوقت المخصص لمحاضرتكِ والتزمي به ولا تطلبي منه أمام الحاضرين المزيد من الوقت. فما أصعب الرفض في هذه الحالات. نعم يمكنكِ أخذ أكثر من ربع ساعة إضافية، ولكن أحداً لن يدعوكِ مرة أخرى.

كوني لطيفة مع الأشخاص الذين أضافوكِ وتأكدي أنهم ينظرون إليكِ كمثل أعلى. ومن المؤكد أنهم بذلوا الجهد والوقت حتى تكوني معهم وليشعرونك بالراحة.

وإذا أضفتِ خادماً في بيتك، لا تثرثري دون توقف وهو في طريقه للخدمة: لأن الخادم يحتاج أن يصرف هذا الوقت في سماع صوت الله بشأن الخدمة. لذلك كوني حساسة للأمر. أما إذا طرح هو بعض الأسئلة، فأجبي على قدر السؤال ولا تبدأي بسرد قصة حياتك أو المشكلات التي تواجهينها. دعيه يركز اهتمامه على الأمور التي يريد الله أن يتكلم بها إلى الحاضرين.

برأت في سرد (العريير من الأمور السخيفة)، فذكرتني صديقة عزيزة (أنه لا يجرم مجال لهذا الحريث في تلك اللحظة).

مهما كان الأمر. فقط لا تتكلمي عن نفسك بدون توقف. بل اطرحي الأسئلة حتى تتمكني من التعرف على الآخرين. ذات يوم كنت متعبة ومنهكة إلى أقصى حد. وبدأت في سرد العديد من الأمور السخيفة. فذكرتني صديقة عزيزة أنه لا يوجد مجال لهذا الحديث في تلك اللحظة. في بعض الأحيان يكون من الأفضل أن نستمع أولاً لكي نتعرف على الأشخاص الذين جتمع معهم.

كوني ابنة كريمة ولا تكتفي بالشعارات

دعونا نلقي نظرةً على ما جاء في (أمثال ١٨: ١٦)

«هدية الإنسان ترحب له وتهديه إلى أمام العظماء».

وفي ترجمة أخرى (الترجمة العربية المبسطة):
« الهدية تؤدي إلى الترحيب، وتمهد لمقابلة العظماء ».

أما أصحاب الشعارات فيقبلون هذه الآية ويكون لسان حالهم: "أنا شخص موهوب، افسحوا لي الطريق". فكونك مرئماً أو متكلم موهوب لا يعطيك الحق أن تكون وقحاً ولا أن تتصرف وكأنك أفضل من الجميع. قد ينطبق هذا الشعار على مشاهير هوليوود، ولكنه مبدأ مرفوض تماماً في ملكة الله. فكل ابنة موهوبة لله تشرفت بمعرفتها كانت متواضعة وكريمة مع أي شخص مهما كان.

يجب أن تقدمي هديتك أو موهبتك للآخرين حتى قبل أن تفتح أمامك الأبواب. كان أليشع يعمل في حقل أبيه عندما دعاه إيليا للخدمة. بمعنى أنك يجب أن تكوني أمينة في استخدام موهبتك وعطيتك قبل أن تفتح هذه الموهبة الطريق أو الباب أمامك.

فإن كانت موهبتك هي الترنيم، يجب أن ترمي الآن. وإن كانت موهبتك هي التعليم أو الوعظ، فيجب أن تقدمي موهبتك للآخرين. وإن كانت موهبتك هي العطاء، فكوني كريمة. اسألي نفسك: هل أنا كريمة فيما لدي؟ هل أعطي بأمانة الآن أم أنتظر الفرصة لكي أعطي؟ كوني أمينة في استخدام المواهب التي منحك الله إياها لأنها أساس رعاية الآخرين.

كوني أمينة في استغلال المواهب التي منحك الله إياها.

إن شئت تعلم المزيد عن الأخلاق والاتيكييت. يمكنك الرجوع إلى بعض المصادر الموجودة على شبكة الانترنت حيث توجد أيضاً بعض الاختبارات التي من شأنها تقييم مهاراتك في الاتيكييت. ضعي هدفاً أن تغيري عادة واحدة كل أسبوع وتأكدي من أنك ستصيري مؤهلة لمرکز سفيرة. لقد أردت أن يكون هذا الفصل عبارة عن مجموعة من الممارسات العملية لأنني أريد أن تمتد الرعاية لتشمل كل جوانب حياتك وتحيطها بالقوة والجمال.



النَّواحُ الذِّي ابتلع حياتي

ينوح (فعل): تعبير عن الألم والحزن والبؤس في شكل بكاء طويل حزين.¹

هناك حادثتان من النواح غيرتا حياتي، أنا لا أقصد العويل؛ لأننا كلنا نعرف كم هو مزعج. فالعويل -كما تعرف كل أم فينا- مركزه الذات، وبالتالي يخلو من أية قوة مُغَيِّرة لأن لا شيء يتغير عندما نكون منشغلين بالرتاء لأنفسنا. أحدث هنا عن بكاء من نوع آخر. إنه النحيب. دعوني أشرح لكل من لم يختبر هذا النوع من البكاء، الفرق بين النحيب وبين البكاء المألوف. يأتي النحيب من الأعماق، ولا يمكن اصطناعه لأنه يحدث فقط عندما تتصارع الروح مع الجسد. فتخرج التأوهات حتى قبل أن تدرك ما حدث، وكأن فيضاً من المشاعر ينهمر فتجد نفسك غارقاً في خضم يأس وحزن لا يمكن وصفه بالكلمات. تكون المواجهة أعمق من أن يحتويها الإنسان.

وقد يأتي النواح نتيجة لخبر مفرح، أو كارثة طبيعية، أو موت أحد الأحباء؛ فيجيش الإنسان بالبكاء حزناً وأسفاً. ويمكن أن يحدث أثناء رفع صلوات التوبة -سواء على المستوى الشخصي أو الجماعي- كما أنه أمر لا يتكرر كل يوم. قد ينوح الإنسان مرة واحدة طوال حياته، وعندما يحدث في حياتك ستدركه على الفور. إنه يشبه ولادة عسرة لألم لا يمكن أن يحتويه الكيان البشري. إنه تعبير عن مشاعر لا يمكن التعبير عنها بالكلمات.

حادثة النواح الأولى

حدث الأمر على غير توقع، بينما كنت أطوي الغسيل في نهاية يوم طويل

وكان ولدائي وقتها في مرحلة ما قبل المدرسة؛ ذهب ولدائي للاستعداد للنوم وانتهزت الفرصة لكي أقوم بطي كومة من الغسيل الذي يبدو أنه متواجد في منزلنا باستمرار. أفرغت السلة التي كانت تحتوي على الملابس المغسولة أمامي وافترشت الأرض -لا أفضل عادة طي الملابس أمام التليفزيون لأن المهمة التي يمكن أن تستغرق خمس دقائق في حجرة الغسيل قد تمتد لنصف ساعة أمام التليفزيون- كنت متعبة جدًا في ذلك اليوم، وكنت في حاجة إلى الاستماع لصوت شخص بالغ (نعم، كان جون مسافرًا في إحدى رحلاته).

بينما كنت أحاول تغيير القنوات بحثًا عن برنامج لطيف، استوقفني منظر جنين داخل رحم أمه. شعرت برغبة في معرفة المزيد عن عالم الأطفال قبل الولادة خاصة بعد أن أصبحت أمًا للمرة الثانية. لم أقم بعمل سونار إلا عندما حملت بابني الثاني لأن السونار لم يكن قد اخترع بعد في حملي الأول.

لم تكن الأجهزة قد تطورت، وكانت الرؤية من خلال السونار مشوشة قليلاً حتى أنني قضيت معظم الوقت أسأل الفني المسؤول عن الجهاز عن تلك الأشياء التي أراها على الشاشة ولسبب ما. كان من الصعب عليّ أن أرى ما كان الفني يراه بوضوح. «تلك هي رأس ابني، حسناً كنت أظن أنها بطنه». وعندما كنت أرى ما يراه، كان يقوم بتغيير الصورة. كانت خبرة محيرة جدًا ... هل هذا ما يجب أن يكون عليه شكل ابني؟

كل ما كنت متأكدة منه هو أنني سأرّق بطفل صحي وسليم. بعدها أعطاني الفني نسخة من صور ابني بالأبيض والأسود (والذي بدا وكأنه كائن فضائي يمص إبهامه). وعندما عرضت هذه الصور على ابني الأكبر أديسون قائلة: «تعال وانظر صورة أخيك الأصغر» هز رأسه وبدا مضطربًا هو الآخر.

وبعكس ما رأيته على شاشة جهاز السونار، كانت صورة الجنين على جهاز التليفزيون واضحة للغاية، وكنت قادرة على تمييز الرأس وملامح وجه الطفل. كان رائع الجمال. رأيت حياة هذا الجنين وهي تسبح داخل بيته المائي. جذب المنظر انتباهي فتابعت البرنامج معتقدة أنه فيلم وثائقي، ولم أكن مستعدة أبدًا لما رأيته بعد ذلك.

كان فيلمًا عن الإجهاض، وقد صوّر من وجهة نظر الجنين. أصابني الرعب وأنا أشاهد الجنين يحاول الابتعاد عن الأداة التي غزت عالمه فجأة وبدون

مقدمات. حاول الجنين التملُّص. ولكن لم يكن هناك مهربيًا. حاول الذهاب في هذا الاتجاه ثم في الاتجاه الآخر. وأخيرًا أصابته الأداة. شاهدت الجنين -الذي كانت تملأه الحياة- يصرخ من الألم. صرخت الأم أيضًا في الوقت الذي مات فيه الجنين. لكن لم تستطع صرختها المسموعة ولا صرخة الجنين عبر المسموعة أن توقف عملية الإجهاض. تم تقطيع الجنين إلى أجزاء صغيرة ليتم شفطها خارج الجسم.

عندها سمعت صوت النواح يعلو في داخلي، وكأني أُمْنَح صوتي للجنين الذي لم يُسمع صوته. لم أتخيل أنه بوسعي عمل كل هذه الضوضاء. توقف الزمن بالنسبة لي، وتوقفت عن مشاهدة البرنامج؛ لأنني كنت أبكي وأنوح على ما رأيت. أسرع ابنائي في نزولهما من الدور العلوي ليجدانني منحنية وسط كومة من الملابس المغسولة. لم يعلما ماذا حدث. وبدأ كل منهما يربت على كتفي قائلاً: «هل أنت بخير يا أمي؟ ماذا حدث؟»

لم أتخيل (أنه) بوسعي عمل كل هذه الضوضاء.

وضعا أيديهما حولي، وقربا وجهيهما مني، ولكنني لم أكن قد انتهيت بعد من النواح. استمررا يربتا عليّ بينما واصلت أنا البكاء على السجادة. وبعدها توقفت عن البكاء تاركةً أنهار من الدموع خلفي. كنت أصلي من أجل غفران. كنت أطلب من الله أن يغفر لأمتنا من أجل تلك الحياة التي أهدرت، يغفر لي أنا نانيتي. اعتذرت عما قلته لجون من قبل: «لا أريد المزيد من الأولاد». ها الأولاد مرفوضون وموتون على أيدي أمهاتهم. لذلك أريد عن طيب خاطر أن أُمْنَح الحياة لمن يريدني الله أن أُنْجِبهم.

عندما عبرت العاصفة، كنت قد سكبنت نفسي بالكامل أمام الله. وعندما عدت إلى رشدي، رأيت ابني ينظر إلى عينيّ وسمعته يقول: «هل أنت على ما يرام؟ هل أنت بخير؟» أخذت الإثنتين في حضني وتركت الملابس غير المطوية على الأرض وأخذتهم إلى الطابق العلوي من أجل وقت إضافي من قصص قبل النوم والأعاني.

بعد أقل من شهر اتسعت حياتي وأصبحت حامل في ابنا الثالث بحلول عيد زواجنا الثامن (لقد كان هدية الله لنا في عيد زواجنا). وبعد أقل من سنة، ولد "جوشوا ألكسندر". كان مصدر بهجة منذ أول لحظة رأيته فيها وكان معنى اسمه جوشوا «الله خلاصي» وألكسندر «حامي

البشرية». لا يمكن لي أن أتخيل عائلتي بدون البهجة التي يبعثها عندما يكون حاضراً. بعد ثلاث سنوات تقريباً. أنعم الله علينا بابتنا الرابع «أردن كريستوفر» وكلمة أردن تعني «الحازم والحاسم» وكريستوفر تعني «الشخص المسحوح». أيضاً لا يمكن أن أتخيل حياتي بدون. إنه عطية من السماء بكل ما حياه الله من رقة وصرافة.

فما الذي حدث عندما نُحت؟ حسناً، لم يكن النواح هو السبب في أنني أصبحت حامل؛ لأنه لم يفتح رحمي، ولكنه فتح عيوني على بعد أعرق للحياة. فجأة شعرت أن قدرتي على الحياة خارج إطار ذاتي قد زادت. وأن حياتي قد اتسعت. لقد صدق ألبرت أينشتاين عندما قال: «تبدأ حياة المرء عندما يحيا خارج إطار ذاته».

أوافقه الرأي، لأنني بالكاد كنت على قيد الحياة قبل ذلك الوقت. كنت بالكاد أتدبر أموري مع وجود طفلين وزوج دائم السفر. كانت حياتي مريحة ويمكنني إدارتها. يكفي طفلين في بيتنا الصغير، وبدا وكأن وجود طفلين هو كل ما نستطيع عمله في وجود راتب صغير وعدم وجود تأمين طبي. أما فكرة وجود طفل آخر فكانت معناها خروجي من دائرة راحتي.

تبراً حياة المرء عندما يعيا خارج إطار ذاته.

ألبرت أينشتاين

أرجو ألا تعتقدن أن كل منكن لابد أن يكون لها المزيد من الأولاد. فأنا لا أنصح أي امرأة أن تجعل خبرتي جزءاً من حياتها. أنا فقط أستخدم مثالاً مما حدث معي في حياتي. كان أمر أردني الله أن أفعله في ذلك الوقت. رأيتم! لقد وضعت حدوداً وحواجز حول حياتي لكي أجعلها جميلة وأمنة ومرتبة. إلا أن الله كان يستعد ليوسع خيمتي من كل جهة من خلال زيادة عدد أفراد أسرتي. كان يوسع قلبي وحياتي. مع وجود طفلين كنت قادرة على طي الغيارات الداخلية. مع وجود طفلين كان بوسعي الاحتفاظ بها لدي. ولكن الحقيقة هي أن أي منا لم يُخلق لكي يحتفظ. بل لكي يتسع. فيا كل ابنة للعلي، الله يريد أن يوسع حياة كل منا. يريد أن يدفعنا من على حافة الأمور التي نستطيع التحكم فيها بقدراتنا البشرية. يريد أن يمدنا بالقوة لكي نرى الحياة التي لنا خارج إطار كل ما هو مرتب ومنظم.

باختصار، يريدنا الله أن نمد ونوسّع جذورنا حتى وإن بدا أن ذلك سيزيد حياتنا تعقيداً.

حادثة النواح الثانية

وقعت الحادثة الثانية مساء أحد الأيام، بينما كنت أرضع طفلي الثالث ألكسندر وأنا أشاهد التلفزيون. قمت بتشغيل التلفزيون عندما مررت بجواره ثم اعتليت الفراش. وبدأت في إرضاع ابني، وفجأة أدركت أن جهاز التحكم عن بعد لا يعمل، وكان علي أن أشاهد ما على تلك القناة لمدة الثلاثين دقيقة التالية، ومرة أخرى لم أكن مستعدة لما كنت على وشك أن أراه.

على شاشة التلفزيون شاهدت جزءاً من برنامج إغاثة يتم تقديمه للأطفال من أفريقيا بدت عليهم علامات البؤس والفقر والجوع. أزعجني ما رأيت وحاولت تغيير القناة. مرة أخرى ضغطت على جهاز التحكم من بعد. حاولت الضغط عليه من زوايا مختلفة ولكن شيئاً لم يحدث. أزعجني ما رأيت. طالما أردت مساعدة الآخرين، ولكن هذا الاحتياج بدا أكبر من قدراتي. حاولت بكل الطرق، إلا أن جهاز التلفزيون رفض الاستجابة.

تركزت الأضواء على امرأتين تقتربا من سيدة من أهل المنطقة حملت طفلاً رضيعاً بين ذراعيها يعاني من سوء تغذية حاد. كان الصغير يتنفس بصعوبة وكان جسده الصغير الضعيف يصارع من أجل البقاء على قيد الحياة ولو للحظة أخرى. كانت أمه قد سارت أميلاً كثيرة ليلاً ونهاراً ولكنها وصلت إلى مركز التغذية بعد فوات الأوان. لم يعد الصغير يقوى على استقبال محاليل التغذية.

رفعت سيدة من جنوب أفريقيا الصغير من حضن أمه، وبدأت في توجيه كلامها للمشاهدين. اقتربت النساء الثلاثة وكانهن يحيطن الصغير حتى لا يفترسه الموت.

كان التناقض شديد للغاية؛ ها أنا أجلس وأرضع صغيري وحولي الوسائد التي وضعتها لراحتي وفوقي المروحة وجهاز التكييف. وهناك كانت الأم الأفريقية التي عجزت عن الحفاظ على حياة صغيرها، لم يمتلئ ثديها باللبن، أما ثدياي فكانا يمتلئنا بأكثر من

حاجة ابني وها هو نائم على صدري شهادة على ذلك. نظرت إليه ولحمت علامات الرضا والسلام على وجهه. بينما كان الطفل الأفريقي يتضور جوعاً.

بعدها انتهت المعاناة وتوقف الطفل عن التنفس: لقد انتهت حياته على تلك الأرض رغم أن أمه كانت تسابق الريح لكي تطيل بقاءه على قيد الحياة. لم تتفاعل الأم على الفور مع الموقف... لقد زاد الحمل الذي كانت تترجح ختته بعد أن احتملت من الألم والأسى ما هو أكثر من احتمالها. كان رد فعلها بمثابة خضوع مرة أخرى للموت والهلاك الموجود في أرضها.

لقد دفعت أخطر أمل لها، ومع ذلك لم يكن كافيًا.

أما أنا فكان رد فعلي سريعاً. بدأت السيدتان في البكاء. وبدأت أنا في النواح. شعرت أن الأمر أكثر من احتمالي. كانت هذه الأم مستعدة أن تعطي كل ما عندها لكي تنقذ حياة طفلها - وهو كل ما تملك في هذا العالم- وها هو الآن يرحل بعيداً عنها. لقد دفعت آخر أمل لها. ومع ذلك لم يكن كافيًا.

في المقابل، كنت أنا أمتلك الكثير ولم أكن أفعل الكثير. في تلك اللحظة رأيت وضعي المالي بطريقة مختلفة تمامًا. في ذلك الوقت كنت شابة وربة منزل أقوم برعاية أولادي الثلاثة الصغار وفقاً لميزانية محدودة جداً. مع حلول الشهر الجديد كنت أقسم راتب جون إلى ثلاثة أقسام. واحد من أجل الغاز والآخر من أجل المشتريات من الأطعمة ثم قسم آخر للنثرات أو لتغطية أية نفقات قد تطرأ فجأة. وعندما ينفذ المال، فلا يوجد المزيد.

عُين جون وقتها راعياً للشباب، وكان يسافر لأوقات طويلة، وكنا نثق في تسديد الله لاحتياجاتنا. كانت لدينا سيارة واحدة نتقاسم استخدامها وكثيراً ما كنت أشعر أننا فقراء -إلى حد ما- ولكن عندما شاهدت هذا البرنامج ورأيت تلك الأم الأفريقية، أدركت أنني غنية.

عندما أدركت هذه الحقيقة، تغير مجرى الأمور: أصبحت أنظر إلى حياتي، وإلى وضعنا المالي، بطريقة مختلفة؛ فلم أعد أنظر إلى ما

ليس عندي بل إلى ما أملكه. صحيح أنه لم يكن كثيرًا ولكني كنت أملك أكثر منها بكثير. قررت أن أعطي أكثر حتى لا يموت الأطفال في العالم.

يجب أن نعطي تجارياً مع قيادة الروح القدس لنا، ولكن يجب ألا نعطي مضطرين تجارياً مع طمع شخصٍ آخر.

كان عليّ أن أتصرف على الفور؛ وضعت طفلي النائم في سريره. وناديت على أولادي وقلت لهم إننا كعائلة يجب أن نعمل شيئاً لمساعدة هؤلاء الأطفال. ووضعنا حدّاً أدنى للمبلغ الذي يجب أن نعطيه. هل أدركتم أهمية الأمر؟ إن لم نتجاوب على الفور مع الاحتياج. قد نتقاضى عنه فيما بعد. أرجو أن تدركوا أنني لا أتكلم عن العطاء نتيجة وجود احتياج معين. بل العطاء نتيجة لإرشاد الروح القدس. نعم يجب أن نعطي لتسديد احتياج ويجب أن نعطي تجارياً مع قيادة الروح القدس لنا. ولكن يجب ألا نعطي مضطرين تجارياً مع طمع شخصٍ آخر.

من المدهش أنه رغم نقص ميزانية البيت، إلا أنني شعرت بالتوسع والكرم. فجأة صار لهذه الأم وربة المنزل هدفاً أكبر وأنبل من القيام بالأعباء المنزلية. طالما حلمت بالسفر إلى الخارج. والمشاركة في مساعدة الآخرين. وفي تلك اللحظة تحقق هذا الحلم. لقد تغير شيء ما في أعماقي وكأني نبتة زرعت في أنسب تربة لها.

بركة العطاء

«من يرحم الفقير يُقرض الرب، وعن معرفه يجازيه». (أمثال ١٩: ١٧)

كم أحب هذه الآية! فعندما نعطي من لا يستطيع أن يرد لنا ما دفعناه، سيعوضنا الله ويجازينا عن عطائنا له.

هناك مجازاة خاصة لنا عندما نسلك بما يليق كأولاد لله.

هناك مجازاة خاصة لنا عندما نسلك بما يليق كأولاد لله. ولأن إلهنا معطاء.

هكذا يجب أن نكون نحن أيضًا. لقد باركنا الله لنكون بركة وما نمسك بأيدينا سيتحول إلى تراب وفناء إن لم نمرره للآخرين. نعم. هناك بركات أنعم الله بها علينا لكي نحتفظ بها. وبعضها لكي يتضاعف. والبعض الآخر لكي نبارك به الآخرين وكلها بركات جعلنا الله وكلاء عليها لا مَلَائِك لها. ومع الوعد هناك تحذير:

«هذا كان إثم أختك سدوم: الكبرياء والشبع من الخبز وسلام الأطمئنان كان لها ولبناتها، ولم تشدّد يد الفقير والمسكين، وتكبرن وعملن الرجس أمامي فزعهن كما رأيت». (حزقيال ١٦: ٤٩ - ٥٠)

فبمجرد أن نشعر بروح الله يرشدنا لأمر معين. علينا أن نتجاوب معه على الفور. لم أكتفِ بإرسال مبلغ مرة واحدة لكي أريح ضميري، بل واطبنا على التبرع لهذه المنظمة. كان عطاؤنا قليلاً في البداية وبمرور الوقت زاد وتضاعف.

«تبسط كفيها للفقير وتمد يديها إلى المسكين». (أمثال ٣١: ٢٠)

من خلال هذه الآية نتعلم أن علينا أن نمد أيدينا ونبسّطها لمساعدة الفقراء. وكم أحب فكرة أن تخرج النساء لما هو أبعد من بيوتهن لمساعدة وإقامة آخرين. لقد حان الوقت الذي يجب فيه على بنات العلي أن يبسطن أيديهن للمحتاجين ويقدمن يد العون للفقراء. بوسع كل منا أن تساهم ولو بجزء صغير. وفي النهاية سيكون التأثير أكبر مما نتصور.

بدأنا نبذر البذور مع مؤسسة "ماسنجر الدولية" "Messenger International". وبعد مرور أربعة عشر عامًا على هذا الحادث لا زلنا ندعم هذه المؤسسة. وبمرور السنوات. نما عطاؤنا المادي وصارت لنا علاقة معهم كانت بركة حياتنا وخدمتنا.

حلم البذرة يكبر

بعد سنوات. حققت البذرة التي زرعتها حلم حياتي: فقد سافر جون

أولاً إلى "أجولا" ليكون واحداً من فريق التغذية الذي دعمناه مادياً لسنوات. بعد ذلك بسبع سنوات سافرت أنا أيضاً للخارج إلى "الفلبين". وبعد رحلة استمرت طوال الليل، وصلت إلى "دنفر" حوالي الساعة الثانية والنصف بعد منتصف الليل. نمت لساعات قليلة ثم استيقظت وأخذت أولادي في حضني، ثم أرسلتهم في طريقهم إلى المدرسة. خلال رحلتي إلى الفلبين، ذكرني الرب بحبي الشديد للنساء الآسيويات. شعرت بقلبي يفيض بالحببة لهن ثم رن جرس التليفون في مكتب جون. وكان المتصل أحد المسؤولين عن مؤسسة للإغاثة. أخبرني بأنه يعلم مدى شغفي ورغبتني في زيارة أفريقيا وأنه لم يتسنى لي السفر مع جون في تلك الرحلة.

استمعت إليه وقلبي يكاد يقفز من بين ضلوعي. قال: «قد يكون من الصعب أن تسافري إلى أفريقيا، ولكن هل أنت مستعدة للسفر إلى كمبوديا؟» «نعم!» أجبت حتى قبل أن أعرف ميعاد الرحلة. لقد وضع الله هذا الشوق في قلبي حتى قبل أن أتلقى المكالمات. أخبرني بالمواعيد واقترح عليّ أن أخبر جون. ولكنني قبلت على الفور. كان عليّ أن أذهب. كنت جزءاً من هذا العمل منذ اليوم الذي شاهدت فيه هذا الطفل يموت. لقد تجاوبت مع الحدث وقتها. وها قد حان الوقت لكي أجاوب معه مرة أخرى وأدعو آخرين للتجاوب أيضاً.

كَانَ عَلَيَّ لَأَنْ أَتَكَلَّمَ نِيَابَةً عَمَّنْ لَيْسَ لَهُمْ صَوْتٌ، وَفِي يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ
سَتَتَكَلَّمِينَ أَنْتِ أَيْضًا نِيَابَةً عَمَّنْ عَجَزُوا عَنِ الْكَلَامِ.

كانت رحلة غيرت حياتي. سرت وسط الأيتام وبكيت مرة أخرى. وضعت يدي على أطفال قذرين دون أن أشعر بالاشمئزاز شممت روائح غريبة تعجز الكلمات عن وصفها. ورأيت بعيني ظلم الإنسان لأخيه الإنسان. والآن. وبعد أن عدت من رحلتي، أقول لكل أم مثلي إن بوسعها أن تصنع اختلافاً. لقد جعلتني هذه الرحلة أتواضع. وفي نفس الوقت، زودتني بالقوة. لم أشعر من قبل بعجزني عن وصف ما رأيت. وما أكثر الأوقات التي خانتني فيها الكلمات فاكتفيت بالبكاء! لكن كان عليّ أن أتكلم نيابةً عمَّن ليس لهم صوت. وفي يوم من الأيام ستتكلمين أنتِ أيضاً نيابةً عمَّن عجزوا عن الكلام.

التحنن والمشاعر البناءة

لقد فتحت تلك الحادثة باباً جديداً في حياتي. وأطلقت مشاعر بناءة بداخلي. وما أكثر المرات التي تحركت فيها مشاعري نتيجة رؤيتي لآلام البشر ولكنني كنت أكتفي بالبكاء ومطالبة الآخرين بعمل أي شيء لمساعدتهم. في الحقيقة، لم أكن أعلم كيف أتصرف. وعندما كنت أرى البؤس والشقاء، كنت أشعر بالعجز والحيرة.

نعم، إن رؤية آلام البشر أمر غير مُريح. كما أن مشاهدة الأطفال الجوعى جعلنا نذرف الدموع. فهل يكفي ذرف الدموع إن لم نفعل شيئاً لتخفيف الألم الذي شعرنا به؟

يجب أن تسألني: "ماذا ينبغي أن أفعل؟" لكل منا دائرة نفوذ وتأثير. وخلال زماننا القصير على هذه الأرض، يمنحنا الله القوة لكي نبدأ التغيير. نعيش في عالم متألم، ولكن الله أودع في داخلنا الحل. نعم، تعج الأرض بالألم والاحتياج. ولكن هناك عدداً من البشر يكفي لسد هذا الاحتياج وشفاء المتألمين. قد يبدأ عطاؤك بالقليل، ولكن تأكدي أن التأثير سيكون كبيراً إن واطببت على هذا العطاء.

«وأما من كان له معيشة العالم، ونظر أخاه محتاجاً، وأغلق أحشاه عنه، فكيف تثبت محبة الله

فيه؟» (١ يوحنا ٣: ١٧)

فإن نظرنا إنساناً محتاجاً ولم نتجاوب معه، فقد أغلقنا نافذة في داخلنا وبالتالي منعنا دخول الضوء والهواء المنعش فزادت الظلمة في داخلنا. أعلم أنه ليس بوسعنا التجاوب مع كل احتياج نراه بطريقة مادية، ولا أصح أن نفعل ذلك، ولكن هناك احتياجات كثيرة يمكننا أن نتجاوب معها ووقتها الآن.

لا يمكن أن يضيع ما يُمنع للآخرين، فقط يُعاد توزيعه

عندما نختار ألا نغض البصر. وعندما لا نكتفي بمجرد الشعور بالحزن والأسى، يسمح لنا الروح القدس أن نرى ونلاحظ الاحتياج الذي نقدر أن نسده أو نتجاوب معه. بعض من هذه الاحتياجات يمكن

أن تُسد من خلال تقديم جزء مما في أيدينا أو في بيوتنا ليصل إلى أيديهم وبيوتهم.
لا يمكن أن يضيع ما يُمنح للآخرين، فقط يُعاد توزيعه. فالخير الموجود في أيدينا والممثل في منتجات أو عناصر هذا العالم ينتقل من شخص إلى آخر. ويتسبب هذا العطاء في تغيير روحي؛ حيث يختبر القلب البشري مشاعر بناءة تساعد على الازدهار والرعاية.

يبدأ الأمر بالقلب

«يا أولادي، لا نحب بالكلام ولا باللسان، بل بالعمل والحق! وبهذا نعرف أننا من الحق ونسكن قلوبنا قدامه». (١ يوحنا ٣: ١٨ - ١٩)

هل لاحظتم أن الأمر يرجع مرة أخرى للقلب؟ إن كان القلب صحيحًا، يكون التجاوب صحيحًا لأننا سنكون قادرين على تمييز الأمور. أما إذا كان القلب على سبيل سيضعف تمييزنا للأمور. وستقل أو ستبطل قدرتنا على التجاوب الفعّال.

نستطيع أن نغلق أحشاءنا بعدم التجاوب مع احتياجات الآخرين. لذلك فمن المنطقي أيضًا أننا نستطيع أن نفتح قلوبنا بالتجاوب مع تلك الاحتياجات؛ فالقلب الذي كان في يوم من الأيام قاسيًا وعنيفًا، ولا يثق في الآخرين، يمكن أن يتحول ليصبح كقلب طفل تملأه المشاعر والرحمة من جديد. كان يسوع يتراءف على الجميع، وكما علّم في (مرقس ٦: ٣٤) لأنه تخن عليهم، وخن على الجموع فصنع معجزة الخبزات والسمكتين في (مرقس ٨: ٢) وخن على المرأة التي مات ابنها في (لوقا ٧: ١٣). كما أنه يترفق بالجهال والضالين كما جاء في (عبرانيين ٥: ٢) ويشفع فيهم. فإن كان يسوع المسيح المملوء بروح الله العلي قد استطاع أن يلمس حياة كثيرين؛ لأنه سمح لمشاعره أن تتحرك عندما رأى الألم والمعاناة، فما الذي يمكن أن يحدث إن سمح جمهور من بنات الرب لمشاعرهن أن تحركهن؟

كونوا وكلاء صالحين

هناك غرباء يحتاجون إلى ابتساماة أو كلمة طيبة، وهناك أصدقاء في

حاجة إلى تشجيع. وهناك هيئات ومؤسسات تحتاج إلى متطوعين. وهناك مؤسسات تقوم على تعضيدك وعطائك. وهناك من لم يسبق لهم أن سمعوا رسالة الإنجيل ويحتاجون أن نعكس هذه الرسالة بحياتنا بدلاً من الاكتفاء بالوعظ بها.

أفضل ما في الموضوع أنه سيظل هناك من يحتاج إلى عطائك أينما كنت.

قد تشعر بأنك مُعوز الآن. ولكن أفضل ما في الموضوع هو أنه سيظل هناك من يحتاج إلى عطائك أينما كنت. فإن هناك المتألمين والمحتاجين إلى ما تمتلك. قد جادلني قائلاً إنك لا تمتلك شيئاً ولكن هذا غير حقيقي. طالما نحن على قيد الحياة سيظل هناك ما يمكن أن نقدمه للآخرين حتى ولو كان هذا الشيء هو كوني عبدة لآخرين حتى لا يرتكبوا الحماقات التي ارتكبتها أنا. مثال على ذلك أقول إنني تحدثت مع كثيرين متألمين عبر شبكة الانترنت. هل يمكنك أن تقومي ببناء حياة شخص آخر برسالة بريد إلكتروني؟ ماذا لو كتبت رسالة تشجيع لشخص ما. بدلاً من رسالة نقد وانتقاد؟ هل لاحظتم أن الله لا يسألنا ماذا فعلنا بما لا نملكه؟ فهو لم يطلب مني أن أقول له ماذا سأفعل لو كان لي صوتاً مثل صوت "سيلين ديون" لأنه يعلم جيداً أنني لا أتمتع بهذا الصوت الخلو. لكنه سيسألني ماذا فعلت بما استؤمنت عليه.

مثال من كلمة الله

أخشى أننا سرعان ما ندين الآخرين لأنهم لم يكونوا وكلاء أمناء على مواهبهم وأموالهم. في حين أننا نهمل ما أوكلنا الله عليه. لقد أعطى الله كل منا موهبة كما استأمننا على بعض القدرات والمهارات. وسيأتي اليوم الذي سنقدم فيه جميعاً حساباً عما استأمننا الله عليه. وعندها لن يهتم الله برأينا حول كيفية استثمار الآخرين لمواهبهم. بل سيسألنا عما فعلنا بما أعطاه لنا.

ليس الهدف هو أن نشعر بالفخر بأنفسنا. بل هو مبدأ من مبادئ ملكوت السماوات. بمعنى أن الأمر مهم جداً بالنسبة لله. لذلك أرجو أن تفتح قلبك وأنت تقرأ هذه الأعداد. حتى ولو كنت قرأتها مئات المرات من قبل:

«وكأنما إنسان مسافر دعا عبده وسلمهم أمواله». (متى ٢٥: ١٤)

دعونا نوضح الأمر حتى لا تختلط علينا الأمور: ها هو يسوع يعطي كل منا -نحن عبده- مهمة تكثير وتضاعف ملكوته وملكه على الأرض. وبينما هو مسافر ليعد لنا مكاناً في السماء، يجب أن ننشغل نحن بعمله على الأرض. ولكي يمتد ملكوته في غيابه، قام بتوزيع الموارد على عبده.

«فأعطى واحداً خمس وزنات، وآخرين اثنين، وآخر وزنة. كل واحد على قدر طاقته. وسافر للوقت». (متى ٢٥: ١٥)

من خلال هذه الأعداد يتضح لنا أن الله يفكر بطريقة تختلف تماماً عن طريقة أي منا في التفكير. قد نفكر نحن أنه من اللطف والكياسة أن نقوم بتقسيم الموارد بالتساوي على الجميع. وقد نقوم بتوزيع الثمان وزنات بالتساوي، فيكون نصيب كل واحد هو ٢,٦٦ وزنة من الفضة. وبذلك سيشعر الجميع بأنهم متساوون وأن الله عادل. دعونا نقوم ببعض العمليات الحسابية لحساب إجمالي العائد في حال قسم الله الوزنات بهذه الطريقة وهو ١٣,٣ وزنة من الفضة.

الحقيقة هي أن الله ليس عادلاً فقط، بل هو حق وعدل. فعندما لا تتساوى القدرات، لا يمكن أن تتساوى الوزنات. فهل يمكن لدونالد ترامب أن يعطي الجزء الأكبر من أمواله لشخص غير موهوب فقط ل يبدو لطيفاً مع الآخرين؟ بالطبع لا. لأنه تصرف غير مسؤول. إن كان هذا هو ما يحدث عندما يبني شخص لنفسه مملكة أرضية، فما بالكم نحن الذين استأمننا الله على ملكوته الأبدي؟ تختلف مبادئ ملكوت السماوات عن المبادئ الاقتصادية في العالم؛ فإله يعطي بحكمة كل إنسان حسب طاقته وقدراته، وليس بحسب عجزه ونقائصه. والآن دعونا نرى ما حدث.

الحقيقة هي أن الله ليس عادلاً فقط، بل هو حق وعدل.

«فمضى الذي أخذ الخمس وزنات وتاجر بها، فربح خمس وزنات أخرى. وهكذا الذي أخذ الوزنتين، ربح أيضاً وزنتين أخريين. وأما الذي أخذ الوزنة فمضى وحفر في الأرض وأخفى فضة سيده». (متى ٢٥: ١٦-١٨)

ضاعف العبد الأول والعبد الثاني الوزنات. أما العبد الثالث. فدفن كزنه أو وزنته. وكان إجمالي العائد هو خمس عشرة وزنة من الفضة. كان من المفترض أن يكون العائد ست عشرة وزنة على الأقل. أما العبدان الأول والثاني. فقد حصلوا على نفس التقدير والتشجيع من السيد.

« فقال له سيده: نعمًا أيها العبد الصالح والأمين! كنت أمينًا في القليل فأقيمك على الكثير. ادخل إلى فرح سيدك. ثم جاء الذي أخذ الوزنتين وقال: يا سيد، وزنتين سلمتني. هوذا وزنتان أخريان ربحتهما فوقهما. فقال له سيده: نعمًا أيها العبد الصالح والأمين! كنت أمينًا في القليل فأقيمك على الكثير ادخل إلى فرح سيدك». (متى ٢٥: ٢١ - ٢٣)

فرح العبدان برجوع سيدهما كما فرح هو بالمكسب الذي ربحه كل منهما لذلك استأمن كل منهما على مسؤوليات أكبر وبعدها قرر أن يقيم احتفالاً للجميع ... حسنًا لم توجّه الدعوة للجميع. لم يفرح العبد الثالث برجوع سيده. بل كان وقحًا بعض الشيء في رده:

« ثم جاء أيضًا الذي أخذ الوزنة الواحدة وقال: يا سيد، عرفت أنك إنسان قاسٍ، تحصد حيث لم تزرع، وتجمع من حيث لم تبذر، فخفت ومضيت وأخفيت وزنتك في الأرض. هوذا الذي لك». (متى ٢٥: ٢٤ - ٢٥)

لقد وصف العبد سيده بأنه رجل قاس. بينما لم يحكم عليه أي من العبدین السابقين بهذا الحكم. لقد تكلم العبدان عن الوكالة والربح فقط. بينما واصل العبد الثالث وصفه للسيد وقال عنه إنه مثل لص يحصد ما لم يزرع ويجمع ما لم يبذر. يا لها من كلمات وقحة. بالطبع لم يُسر السيد.

« فأجاب سيده وقال له: أيها العبد الشرير والكسلان، عرفت أنني أحصد حيث لم أزرع، وأجمع من حيث لم أبذر، فكان ينبغي أن تضع فضتي عند الصيارفة. فعند مجيئي كنت أخذ الذي لي مع ربا. فخذوا منه الوزنة وأعطوها للذي له العشر وزنات. لأن كل من له يعطي فيزداد، ومن ليس له فالذي عنده يؤخذ منه». (متى ٢٥: ٢٦ - ٢٩)

والآن دعونا نتحدث قليلاً عن صفات العبد الثالث؛ كان شريراً بمعنى أنه كان ماکراً. ثم نجدُه أيضاً كسولاً. وهذا يعني أنه كان وكيلاً سيئاً على الوقت، وثالثاً نجدُه غيبياً لأنه لم يحسن التصرف. كان يمكن على الأقل أن يودع الوزنة لدى الصيارفة بدلاً من أن يخبئها في التراب. وآخر تهمة وُجِّهت له كانت عدم الأمانة. بمعنى أنه لم يكن محل ثقة سيده. يا للعار!

الخوف يتدخل

كيف يمكن أن يخطئ العبد المؤمن إلى هذا الحد؟ لابد أن هناك الكثير من الأسباب. ولكن دعوني أذكر واحد منها فقط. ونجدُه مذكوراً في رد العبد على سيده: «فخفت». أرايتم تأثير الخوف؟ كان هذا العبد جباناً. أريدكم أن تعرفوا أن الخوف يمكن أن يجعلكم تفعلون أموراً لم تفكروا في عملها. وتفهوهوا بأشياء لم تتخيلوا قولها. وتستمعوا لأشياء لا يمكن أن تسمعوها لولا الخوف. الخوف سيجعلكم ترون الأشياء بطريقة ملتوية وغير صحيحة. وعندئذ ستشكون فيمن يجب أن تثقون فيه. وتثقون فيمن يجب أن تشكون فيه. ما أمكر الخوف! شوق قلبي هو أن تحيا كل امرأة اليوم حياة تخلو من الخوف.

«طلبت إلى الرب فاستجاب لي، ومن كل مخاوفي أنقذني. نظروا إليه واستاروا، ووجوههم لم تخجل». (مزمور ٣٤: ٤ - ٥)

يعلم الله الأمور التي يستطيع كل شخص فينا أن يتحملها. ماذا لو كان الله أعطى الخمس وزنات للعبد الذي مضى ودفن وزنته؟ لا شك أن النتيجة ستكون مأساوية "فقط إحدى عشرة وزنة". ما أكثر المرات التي سمعت فيها عبارات مثل: «فقط لو كنت أمتلك مالاً لكنت قد أعطيت على الفور». لا لن نفعل لأننا في الحقيقة نمتلك أكثر بكثير ولكننا ننسى ما لدينا لأننا دفناه.

سيجعلكم الخوف ترون الأشياء بطريقة ملتوية وغير صحيحة.

ربما تخاف أن تخسر ما استأمنك الله عليه إن قمت باستثماره. أيها

الأحباء. هذا لن يحدث؛ إنه موسم التضاعف. وها هو الله يقيم وزنات بناته التي دُفنت في التراب لكي يتممن مقاصده من حياتهن ويقمن برعاية أخرين.

ألم يكن قلب ابنة فرعون هو الملاذ لموسى؟

« فنزلت ابنة فرعون إلى النهر لتغتسل، وكانت جواربها ماشيات على جانب النهر. فرأت السفت بين الحلفاء، فأرسلت أمتها وأخذته. ولما فتحت رأت الولد، وإذا هو صبي يبكي. فرقت له وقالت: «هذا من أولاد العبرانيين» فقالت أخته لابنة فرعون: «هل أذهب وأدعوك امرأة مرضعة من العبرانيات لترضع لك الولد؟» (خروج ٢: ٥ - ٧)

ما الذي جعل قلب الأميرة يرق للطفل؟ بكاء الصبي. وما الذي يمكن أن يجعل قلبك يرق؟ الشيء الرائع في هذه القصة هو أن رقة قلب الأميرة وإخلاص الأخت أعاد الصبي إلى رعاية وحضن أمه. إلا أنها ليست مجرد قصة؛ فالله لا يزال يستخدم أميرات وأخوات لإقامة علاقات ماثلة في يومنا هذا. وها النساء من كل أنحاء العالم يتجاوبن مع صرخات الذين حُكِم عليهم بالهلاك. ويتدخلن لإنقاذ حياة الآخرين. لقد أتاح لي الرب فرصة رائعة لكي أكون شريكة لبعض الأفراد المؤثرين الرائعين.

«الله مسكن المتوحدين في بيت. مُخرج الأسرى إلى فلاح. إنما المتمردون يسكنون الرمضاء». (مزمو ٦٨: ٦)

قامت إحدى المؤسسات باتخاذ الآية السابقة شعاراً لها لتأمين المأوى للأيتام في "أوغندا". كان العاملون في المؤسسة يعلمون أن المشكلة لم تكن فقط في إيجاد المأوى؛ لأن هؤلاء الأطفال حُرِموا من المعنى الحقيقي للبيت. فعدم وجود بيت معناه عدم وجود رعاية للجيل التالي من القادة. وبدون قادة سيتم استغلال مصادر وموارد البلد.

ها هو الله يقيم وزنات بناته التي دُفنت في التراب لكي يتممن مقاصده من حياتهن ويقمن برعاية أخرين.

لقد تعرفت مؤخراً على "مارلين سكينر". تلك المرأة الرائعة قليلة الحجم

كندية الجنسية. لقد عملت هذه السيدة لمدة عشرين سنة على بناء بيوت للبنات والأولاد في أوغندا. قامت هي وزوجها "جاري" بتأسيس هيئة "واتوتو" "Watoto" ومن بين الأمور الرائعة التي استخدمهما الله فيها هو بناء بيت لأرملة تعيش مع ثمانية أطفال. وبالشراكة مع هيئة "ماستجر الدولية" "Messenger International" يتم بناء مثل هذه المنازل.

ربما تتساءلين كما تساءلت أنا: «ما الذي يمكنني عمله وأنا امرأة واحدة؟» حسنًا، إن كنتِ قد شعرتِ باتساع في قلبكِ، يمكنكِ دعوة آخرين للاشتراك معكِ في خدمة الآخرين. يمكنكِ تقديم دعمًا لطفل من خلال إحدى المؤسسات مثل "كومباشن" "Compassion". يمكنكِ إطعام الجوع من خلال مؤسسة "لايف أوتريتش" "Life Outreach" أو بناء منازل للأيتام من خلال هيئة مثل "واتوتو" "Watoto".

أؤمن أن النساء سينهضن في الحقبة التالية وسيتشاركن معًا لإنهاء حكم وسلطان الفقر على أرضنا.



دورك

الدور (اسم): جزء أساسي أو عنصر لا غنى عنه. ^١

كتب ألبرت أينشتاين يقول: «كل شيء يجب أن يكون بسيطًا وليس أبسط». الكلمة المفتاحية هنا هي "البساطة" وأرجو أن تلاحظوا أن كلمة بسيط لا تعني سهلاً. أعلم أن ما أطلبه منكم لن يكون سهلاً، ولكنه بسيط وواضح وغير معقد. لقد حوّل يسوع -في كل مرة- ما عقده رؤساء الكهنة وأثقلوا به كاهل الشعب إلى صور كلامية بسيطة يستطيع أي طفل أن يفهمها. فعندما يكون الحق نقيًا بسيطًا، تتجسد الكلمات.

هناك بعض الخطوات البسيطة والفعالة التي يمكنك اتخاذها للسير في طريق الجمال والحرية والهدف الذي أعده لك الرب. اسمحي لكلمة الله أن تغذي أحلامك وآمالك، لأن كلمته قادرة أن تخلق المناخ المناسب لازدهار هذه الأمور في حياتك. ولكن سيحين الوقت الذي يجب فيه على كل منا أن نتخذ قرارها الخاص.

يا ابنة العلي، هل ستختارين أن تكوني مؤثرة وفعالة، أم ستظلي ضحية؟ هل ستتحرك للأمام أم سنتشبث بالماضي؟ هل سنواصل العيش في وحدة أم سنختار أن نترابط معًا ونتحد في الهدف لكي نرعى بعضنا بعضًا؟ الاختيار لنا.

تحركي

عليك أن تختاري إن كنت ستقومي باتخاذ الخطوات العملية التالية أم

لا. الأمر لا يتحقق بصلاة الآخرين من أجلك. نعم يمكن للآخرين أن يصلوا من أجل تصحيح الأوضاع. ولكن عندما يُعلن الحق تقع عليكِ مسؤولية التنفيذ.

أيتها الجميلة، لقد تأخر الوقت. قد تشعرين بالتعب. ولكنه ليس وقتاً للنوم بل للاستيقاظ. يوجد أسيرات كثيرات من أعمار مختلفة. وقد حان وقت تحريرهن. لقد عشن في أسر وعبودية لفترة طويلة بينما هن ملكات وبنات للعلي. نحتاج أن نطلق العنان لموهبة الرعاية المعطاة لك لكي تحرري وتقودي حياتهن إلى ميراثهن الحقيقي.

لقد عشن في أسر وعبودية، لفترة طويلة، بينما هن ملكات وبنات للعلي.

صلاتي هي أن تستيقظ القوة الموجودة داخل كل منكن. لقد حان الوقت لكي نمزج الحق بالفعل. تقابل يسوع أثناء حياته على الأرض مع أناس لديهم أسئلة يبحثون عن إجابات لها وعندما أجاب يسوع على أسئلتهم، تركه البعض منهم.

لماذا؟ لم تكن إجابة يسوع معقدة. ذلك كان المنهج الذي اتبعه رؤساء الكهنة، أما يسوع فكانت إجاباته بسيطة ولكنها صعبة. فما التعقيد في عبارة «اتبعني أنت» خاصة أن يسوع واقف أمامه؟

ما طلبه يسوع لم يكن بالأمر الصعب على المتفرج الناظر للأمر من بعد. لكنه شكل تحدياً لهذا الشخص في تلك اللحظة. وبينما تقومي بمراجعة الخطوات التي سأسردها في هذا الفصل، سوف تجد بعض الخطوات سهلة للغاية ولكن ستجد بعض الآخر غاية في الصعوبة. ولكنها ليست مستحيلة وذلك لأنها تختلف تماماً عن أسلوب الحياة الذي اعتدت عليه.

ولتبسيط هذه العملية سوف أطلق عليها اسم «النهار» وهو الوقت الذي تختارين فيه تغيير مسار حياتك. أرجو ألا تقلل إحداكن من شأن قوة الاختيار لأنها مهمة للغاية. حتى لو لم يحدث شيء كبير على الفور، إلا أن اختيارك على قدر كبير من الأهمية لأنه البداية.

أذكر بوضوح اليوم الذي تغيرت فيه حياتي. وكم تمنيت أن يحدث هذا بينما أنا أصلي من أجل الأمم. ولكن هذا لم يحدث. لقد بدأ التغيير يأخذ مجراه في حياتي بينما كنت أضع مساحيق التجميل على وجهي. كنت

أنظر في المرآة عندما سمعت الروح القدس يقول لي: «ستتغير حياتك اليوم».

كان الصوت واضحًا ومفاجئًا في نفس الوقت، حتى أنني توقفت للحظة ونظرت إلى صورتني في المرآة. بدا كل شيء على ما كان عليه. فما هو الشيء الذي ألهم هذا التغيير؟ كنت أبحث عن التغيير، وللسنوات، كنت أصلي من أجل تغيير في حياتي. ولكن لماذا هذا اليوم بالذات؟

اليوم أستطيع الإجابة على هذا السؤال. في ذلك اليوم قررت أن أنفذ قرارًا كنت قد اتخذته منذ شهور، وكانت أفعالي ما هي إلا خطوات اتخذتها في الاتجاه الصحيح. كنت أبحث عمًا هو أبعد من دائرة راحتني. كنت أتحرك خارج حدود ذاتي متجهة نحو هدف الله من حياتي دون أن أدري. فهل أنت مستعدة لأخذ أول خطوة نحو هدف الله من حياتك؟

الخطوة الأولى: استيقظي

يستيقظ (فعل): بمعنى الهروب من النوم، أو الخروج من حالة تشبه النوم: مثل الموت، الحماقة، عدم الحركة إلى حالة الحركة أو حياة جديدة. أ

عادة ما نبدأ يومنا بالاستيقاظ من النوم، وهكذا يجب أن نبدأ يقظتنا الروحية أيضًا.

« هذا وإنكم عارفون الوقت، أنها الآن ساعة لستيقظ من النوم، فإن خلاصنا الآن أقرب مما كان حين أمانا. قد تناهى الليل وتقارب النهار، فلنخلع أعمال الظلمة ونلبس أسلحة النور». (رومية ١٣: ١١-١٢)

نعيش الآن في زمن الليل كما يتضح لنا من هذه الآية. وهذا الليل قد أوشك على الانتهاء، ويبدو أننا نعيش الآن في اللحظات الأخيرة من هذا الليل والتي تسبق فجر الخلاص. نحن على وشك بزوغ فجر يوم جديد. لذلك علينا أن نستيقظ ونستعد لحلول هذا اليوم.

نحن على وشك بزوغ فجر يوم جدير، لذلك علينا أن نستيقظ ونستعد.

ففي ملكوت الله، نقبل أولاً في الروح وبالروح. وبعدها نختبره. مثال على ذلك، الخلاص الذي نقبله أولاً في أرواحنا عندما ننال الميلاد الثاني، ولكن سيأتي اليوم الذي سننال فيه الخلاص الذي سيشمل كل جوانب الحياة. تشبه كلمة الله الاستيقاظ للبر بإنكار الطبيعة الخاطئة وخلع أعمال الظلمة والتوبة عن الخطايا، وتشمل عملية الاستيقاظ، التوبة، وهي عملية خلع الظلمة. وبمجرد أن يستيقظ الإنسان، علينا أن نهض، وهذا يقودنا إلى الخطوة التالية. فما فائدة الاستيقاظ إن بقينا في الفراش؟

الخطوة الثانية: انهضي

ينهض (فعل): القيام من حالة السكون وعدم الحركة والصمت إلى حالة النشاط والكلام. التحرك إلى مستوى أو مكانة أعلى. القيام بعد الجلوس أو الرقاد أو السجود.^٢

بمجرد أن نستيقظ، علينا أن نهض، لأننا إن لم نفعل ذلك، عرّضنا أنفسنا للوقوع فريسة للنوم مرة أخرى. لقد وضعت المنبه الخاص بي في الجانب الآخر من الغرفة، وبمجرد سماعه، عليّ أن أقوم لكي أغلق الجرس. ما أكثر المرات التي عدت فيها إلى النوم عندما كان المنبه إلى جوار سريري لأنني كنت أقوم بغلق الجرس دون وعي لما أفعله.

نحن مدعوون لشيء معاكس لطبيعتنا وراحتنا والظلمة المحيطة بنا؛ إننا مدعوون لتكون نورًا.

الرغبة في النوم أثناء الليل طبيعة من طبائع البشر، ولكننا مدعوون لشيء معاكس لطبيعتنا وراحتنا وللظلمة المحيطة بنا؛ إننا مدعوون لتكون نورًا.

(استيقظ أيها النائم وقم من الأموات فيضيء لك المسيح). (أفسس ٥: ١٤)

عندما نهض، نغير أوضاعنا. هكذا يوقظنا الله أيضًا لكي نترك ما

مضى ونسعى إلى ما هو أماننا. وبمجرد أن نستيقظ. نخلع القديم ونلبس الجديد. لقد مات الأمس وولّى.

كنت مستيقظة في اليوم الذي أخبرني فيه الروح القدس أن الله سيغير حياتي. ولكنني لم أكن قد نهضت بعد. كنت لا زلت أشعر بالذنب والعار والدينونة. كل يوم. كنت أمتحن نهاري. وأراجع أعمالي في ضوء الظلمة. كنت أستيقظ كل صباح في ظلمة بدلاً من نور. كنت أشعر بحمل على كاهلي. أردت أن أنزع عني أعمال الظلمة الخاصة بالأمس. ولكنني لم أعرف كيف. بمجرد أن نتعامل مع الظلمة. يمنحنا المسيح النور. وبعد أن نهض. علينا اتخاذ الخطوة التالية:

الخطوة الثالثة: البسي وتزيني

يلبس (فعل): يرتدي بنفسه أو بواسطة شخص آخر. وبالأخص ملابس من نوع خاص.^٤

«فلنخلع أعمال الظلمة ونلبس أسلحة النور». (رومية ١٣: ١٢)

لكي نرتدي الملابس. علينا أن نخلع القديم أولاً. قومي بخلع ملابس النوم والبسي ملابس النهار. فبمجرد أن نعترف بخطايانا. نُمَحَى. وبعدها نستطيع أن نلبس ملابس النهار. هذا معناه أننا نستبدل الضمير الملوّث بالخطية والظلمة وعدم الإيمان. بضمير يمتلئ بالإيمان والنور واليقين. هل تعلمون لماذا بقيت في الظلمة كل هذا الوقت بعد أن نلت الخلاص؟ لأنني كنت أسيرة عدم الإيمان. هذا يقودنا إلى الخطوة التالية:

الخطوة الرابعة: الإدراك

يدرك (فعل): يعرف ذهنيًا بوجود شيء معين بسبب ملاحظته أو المعرفة بوجوده.^٥

يجب أن نحيا بالروح مدركين الله. هو صالح. وقادر وموجود. وهو مُجِب وقدوس وأمين وعادل. إنه عظيم. هو البداية والنهاية. كنت أؤمن أن الله كان. ولكنني نسيت أنه لا يزال. كنت أشك فيه في

الحاضر وكنت أراه من خلال عدسات الماضي. كنت أشك في سماعه لصلاتي. لماذا؟ ليس لأنني لم أؤمن في قدرته. بل كنت أعلم أنه قادر. ولكنني كنت أظن أنه لا يريد. فحياتي لم تكن صالحة بالقدر الكافي لكي أنال اهتمامه أو نعمته. ولكن عندما أدركت آمنت.

كنت أؤمن أن الله كان، ولكنني نسيت أنه لا يزال.

عندما يعلن لنا الله حقًا عن صلاحه ورحمته ومحبته. لا يسعنا إلا أن نعيش في إدراك متزايد لمحبته ونوره وجماله. وعندها سنسلك دروب الحياة بطريقة مختلفة مما ينقلنا إلى الخطوة التالية:

الخطوة الخامسة: طريقة رؤيتك للأمور

طريقة رؤية الأمور (اسم): وضع جسدي سواء عن قصد أو غير قصد. وبالأخص أثناء التفاعل مع الآخرين.^١

« استيقظ يا مجدي! استيقظي يا رباب ويا عود! أنا استيقظ سحرًا ». (مزمور ٥٧: ٨)

تتاح أمامك الفرصة لكي تضبطي طريقة رؤيتك للأمور في كل صباح. فبدلاً من انتظار ما ستأتي به الحياة اليوم. واجهي الحياة ثابتة و متمسكة بطريقة رؤيتك للأمور. لقد اختار داود اغنيته التي يبدأ بها يومه. فهل سبق أن استيقظت على أغنية أو ترنيمة؟ فلتبدأي في ترديدها. لقد ساعدت الترنيمة داود أن يسبح الله وأن يواجه يومه.

« أما أنا فبالرأ نظر وجهك. أشبع إذا استيقظت بشبهك ». (مزمور ١٧: ١٥)

أرأيت الطريقة التي ينظر بها داود للأمور؟ لا شك أن الله بار. وأن داود كان على أعتاب عملية التغيير لكي يصير أكثر شبهاً به. هكذا نحن أيضاً يجب أن نتجدد كل صباح من الداخل للخارج. وسيأتي اليوم الذي سيتحقق فيه الأمر بالكامل. ولكن حتى هذا اليوم لابد أن تطور الطريقة التي ننظر بها للأمور.

لا يجب أن يؤثر فينا العالم... يجب أن نؤثر نحن فيه.

لا يجب أن يؤثر فينا العالم ... يجب أن نؤثر نحن فيه؛ لأن النور أقوى من الظلمة. وقد حان الوقت لكي نسلك بهذا الحق. نحتاج أن نتخلص من مبدأ هروب المسيحيين من العالم. يجب أن نغلب هذا العالم.

«ولكننا في هذه جميعها نعظم انتصارنا بالذي أحبنا. فإني متيقن أنه لا موت ولا حياة، ولا ملائكة ولا رؤساء ولا قوات، ولا أمور حاضرة ولا مستقبلية ولا علو ولا عمق، ولا خليفة آخرى، تقدر أن تفصلنا عن محبة الله التي في المسيح يسوع ربنا».
(رومية ٨: ٣٧ - ٣٩)

هذا الإعلان أو التصريح لا يترك مجالاً للخطأ؛ لأنه كما هو... هكذا نحن أيضاً. دعونا ننتقل للخطوة التالية.

الخطوة السادسة: مصدر قوة

مصدر (اسم): شخص أو شيء نافع ويسهم في نجاح أمر ما.^٧

أنتِ جزء لا غنى عنه في هذا الانتصار. وبتداخلك مصادر ثمينة وضرورية يجب المشاركة بها. أنتِ مصدر ورصيد من أرصدة العالم. أنتِ أيتها الجميلة حلاً ولستِ مشكلة. بل أنتِ جزء من الحل لمشاكل البشرية. هناك موهبة في أعماقك لا يستطيع أحد أن يمنحها غيرك. عليك أن تبحثي عن هذه القوة وهذه الموهبة وهذه المقدره. لكي تمنحها لآخرين. لقد خبا الله كنزاً داخلِك.

أنتِ جزء من الحل لمشاكل البشرية.

أرجو أن تعلموا أنني أؤمن بأن الله وحده هو الحل الوحيد. كما أنه المصدر الوحيد للقوة.

«أحبك يارب، يا قوتي». (مزمو ١٨ : ١)

لكن هذا لا ينفي الصفات والأرصدة التي وضعها الله في حياتنا. فما أروع التفاعل الذي يحدث: نحبه بكل قوتنا، فيصير هو مصدر قوتنا. وتحت ظل جناحيه نكتشف قوتنا.

الخطوة السابعة: التوجه

يتجه (فعل): يتحرك ناحية شخص أو شيء.

لا توجد طريقة تقربنا أكثر من الله أفضل من إعلان عظمته. مررت في الماضي بوقت شعرت فيه أن عالمي ينهار. وأن كل حدود الأمان على وشك السقوط. كل ما أعتقد أنه صحيح، ثبت زيفه. لو كان مصدر قوتي هم الناس في ذلك الوقت، لما قويت على الصمود. ذهبت لأستلقي في فراشي وقت الظهيرة، ولكي أنقي ذهني من الضباب الذي اعتراه، ثم استيقظت فجأة عندما قفز الكلب من السرير. وقبل أن يبدأ ذهني في التفكير في حالي، سمعت نفسي أعلن عظمة الله، ورددت الكلمات في ذهني، وفجأة شعرت بأني في حاجة لإعلانها بصوت مسموع. أعلنت عظمة الله، وفي تلك اللحظة تلاشت مشاكلي وهربت من عظمة الإله القدير. وسقط الحمل الموضوع على أكتافي عندما توجهت إلى عرش النعمة.

«لأن ليس لنا رئيس كهنة غير قادر أن يرثي لضعفاتها، بل مجرب في كل شيء مثلنا، بلا خطية. فلنتقدم بثقة إلى عرش النعمة لكي ننال رحمة ونجد نعمة ووعونا في حينه». (عبرانيين ٤: ١٥ - ١٦)

عندما أتقدم إلى عرش النعمة، أدرك عظمته، وعندما أتوجه إليه أصير أكثر جرأة ويهرب كل خوف وعدم إيمان، وعندها أستطيع أن...

الخطوة الثامنة: اطلبني

يطلب (فعل): يسأل شخص أو بطالب بشيء.

ما أكثر بنات العلي اللاتي يخشين أن يطلبن من الرب ما يحتجن إليه.

دعوني أعيد صياغة العبارة السابقة. ما أكثر النساء اللاتي يسألن الشخص الخطأ أن يمنهن ما يريدن. يريدنا الله أن نشعر بحرية في الاقتراب منه. هل تتذكرن أن طرح الأسئلة هو إحدى السمات التي تتمتع بها الابنة؟ الابنة لا تخشى أن تطلب ما تحتاج إليه. عندما يمرض أحد أولادي. أعلم أن صحته تتحسن عندما يعلن حاجته إلى الطعام أو الشراب. لقد حان الوقت لكي نطلب ما نحتاج إليه لكي نستعيد قوتنا.

البنات (الأصحاء) لا يفشين أن يطلبن ما يمتجن (إليه).

الله يدعونا أن نطلب. بل يحثنا مرة ومراراً أن نطلب منه كل ما نحتاج إليه. المشكلة هي أننا في بعض الأحيان نشك في حقنا أن نطلب منه. لذلك دعونا نتعمق قليلاً في هذا الموضوع. لقد بحثت في كلمة الله ووجدت أخوات يتحدن لكي يطلبن الله بما أخذ منهن. وها هي قصة خمس من الأخوات تقدمن بطلبنهن وكن سبباً لتغيير مجرى الأمور.

«فقدمت بنات صلفحاد بن حافر بن جلعاد بن ماكبر بن منسى من عشائر منسى بن يوسف. وهذه أسماء بناته: مَحَلَّة ونُوعَة وحَجَلَة وملكَة وترصة. ووقفن أمام موسى وألغازار الكاهن وأمام الرؤساء وكل الجماعة لدى باب خيمة الاجتماع قائلات: «أبونا مات في البرية، ولم يكن في القوم الذين اجتمعوا على الرب في جماعة قورح، بل بخطيته مات ولم يكن له بنون. لماذا يُحذف اسم أبنينا من بين عشيرته لأنه ليس له ابن؟ اعطنا ملكاً بين إخوة أبنينا» (عدد ٢٧: ١ - ٤)

يا لها من حركة جريئة! هل تتذكرن ما حدث في تلك الأيام؟ لقد انشقت الأرض وابتلعت الناس! كانت المرحلة الأخيرة لأربعين سنة في البرية حيث هلك جيل كامل من شعب إسرائيل. وها هم على أعتاب موسم جديد يقومون بتقسيم أرض الموعد بحسب العشائر.

في تلك الأثناء، تقدمت خمس بنات واعترضن على طريقة تقسيم الرؤساء للأرض. كان القانون ينص على أن تورث الأرض للبنين وليس للبنات. فلماذا يختلف توريث أرض الموعد عن باقي الأراضي؟

كان من الممكن أن تجتمع البنات ويشتكين فيما بينهن ويبكين ويتحدثن عن عدم عدل الله وناموسه. وكان من الممكن أيضاً أن يقبلن الوضع على

أمل أن تتزوج كل منهن بشخص يمتلك أرضًا. إلا أنهن فكرن في الوضع وتصرفن بحكمة. اتفقن على خطة. وأقمن حجة ودفاع وتوجهن إلى خيمة الاجتماع. لقد وقفت هؤلاء البنات وكأنهن رجل واحد أمام موسى والكهنة والرؤساء وكل الجماعة وعرضن قضيتهن.

لم يناقش أحد من قبل موضوع توريث ممتلكات رجل لم يُرزق ببنين. ولم يفكر أحد في تناول هذه القضية. وبذلك كانت هذه الحادثة سبق فريد تطلب أن يقضي موسى بشأنه. لم يعرف موسى كيف يتصرف. فنجده يفعل ما يجب أن يفعله كل تقي... توجه إلى الله.

«فقدم موسى دعواهن أمام الرب. فكلم الرب موسى قائلاً: «بحق تكلمت بنات صلفحاد، فتعطين ملك نصيب بين إخوة أبيهن، وتنقل نصيب أبيهن إليهن. وتكلم بني إسرائيل قائلاً: أيما رجل مات وليس له ابن، تنقلون ملكه إلى ابنته» (عدد ٢٧: ٥ - ٨)

يا للروعة! ترى كيف شعرت كل ابنة من هؤلاء البنات الخمس؟ لقد أعلن الله بذاته حقهن في ملكية الأرض. وأخذ نصيب ميراثهن. لم يكتف الله بإصدار حكم لهن. ولكنه شرع قانونًا لكل بني إسرائيل. لقد كان آخر حكم نطق به موسى قبل أن ينتقل من هذا العالم. وعندما دخل شعب الله أرض الموعد. كان الميراث يُورث للبنات إن لم يكن للأب بنين. يا له من أمرائع!

جعلتني هذه القصة المذكورة في العهد القديم أتساءل: كم من مرة قبلنا أمورًا كان من الممكن أن نرفع دعوانا بشأنها؟ هؤلاء البنات قمن بما وُلدن لأجله. لم تقتصر استجابة الله لطلبهن على عائلتهن فقط. لقد غيرت دعواهن التي قدمنها بكل احترام وتقدير بشأن وضعهن الراهن مفهوم الجماعة بشأن سيادة الذكور. لولا تدخلهن لفقدت آلاف العائلات ميراثها.

أسمع تلك الكلمات تتردد من السماء: «اطلبي يا ابنتي، اطلبي».

في روعي أسمع تلك الكلمات تتردد من السماء «اطلبي يا ابنة. اطلبي». إنه صوت من السماء يريد أن يُعلن على الأرض. الله في صلاحه يريدك أن تعلمي وتدركي أنه صالح.

«لأن أباكم يعلم ما تحتاجون إليه قبل أن تسألوه». (متى ٦: ٨)

لا تتخيلن -ولو للحظة- أن الآب فوجئ أو اندهش من طلب الأخوات. ربما يكون موسى قد فوجئ ومعه الرؤساء. ولكن الله لم يُفاجأ أبداً.

«لأن كل من يسأل يأخذ، ومن يطلب يجد، ومن يقرع يُفتح له». (متى ٧: ٨)

أعتقد أن دعوة يسوع للمرأة السامرية أن تطلب، كانت بمثابة أكثرهم حدة وغرابة. كان يسوع بمفرده عند البئر عندما جاءت امرأة لتستقي ماءً.

«فجاءت امرأة من السامرة لتستقي ماءً، فقال لها يسوع: أعطيني لأشرب». (يوحنا ٤: ٧)

طلب يسوع بكل أدب من المرأة السامرية صاحبة السمعة المشكوك في أمرها أن تعطيه ليشرب. اندهشت المرأة! ماذا يفعل هذا الرجل اليهودي بالتكلم مع امرأة سامرية؟ فيم يفكر من وراء طلبه منها أن يشرب؟ هل هناك ما يخفيه خلف هذا الطلب؟ وقبل أن تجيبه سألته:

«فقلت له المرأة السامرية: «كيف تطلب مني لتشرب، وأنت يهودي وأنا امرأة سامرية؟» لأن اليهود لا يعاملون السامريين. أجاب يسوع وقال لها: «لو كنت تعلمين عطية الله، ومن هو الذي يقول لك أعطيني لأشرب، لطلبت أنتِ منه فأعطاك ماءً حياً». (يوحنا ٤: ٩ - ١٠)

هل سمعتن ما قاله يسوع للمرأة السامرية؟ إنه يتحدثنا قائلاً: «لو كنت تعلمين؟» في هذا العدد يدعوننا أن نوسّع طريقة نظرنا للأمر «لو كنت تعلمين عطية الله، ومن هو الذي يقول لك أعطيني لأشرب، لطلبت أنتِ منه». منه».

يا ابنة، أنتِ سرعرة لكي تستعظني (السماء).

في القصة السابقة، جُد يسوع يدعو ابنة، امرأة أن تطلب منه. لقد دعاها أن تطلب عطية الله لحياتها - الماء الحي. يا ابنة، أنتِ مدعوة لكي تستعظني السماء.

« الحق الحق أقول لكم: من يؤمن بي فالأعمال التي أنا أعملها يعملها هو أيضاً، ويعمل أعظم منها، لأنني ماضٍ إلى أبي. ومهما سألتكم باسمي فذلك أفعله لئتمجد الآب بالابن. إن سألتكم شيئاً باسمي فإني أفعله». (يوحنا ١٤: ١٢ - ١٤)

في هذه الآية لا يوجد شخص غير مؤهل لكي يطلب باسم يسوع. مهما كان جنسه أو عرقه أو سنه. يا ابنة. يا أخت. ويا أم. ويا صديقة. أخشى أننا نطلب القليل لأن نطاق تفكيرنا ضيق. قد تشعرين بالعزلة والوحدة والضعف. وربما شعرت أنك غير مؤهلة. ولكن ما أبعد ذلك عن الحقيقة. أنت مؤثرة. وطلبك لا غنى عنه؛ لأن العالم يحتاج إلى ما تطلبينه. يتمجد الآب بالابن عندما يستجيب لصلواتنا.

كل ابن لله يجب أن يطلب كل ما هو صالح وحسن. عليه أن يسأل. وقد حان الوقت لتشارك البنات معهم. لترفع البنات أصواتهن مع البنين لأن البنات يطلبن من أجل أمور تختلف عن تلك التي يطلب البنين من أجلها. هل تتذكرن ما قلته سلفاً: الرجال يخططون للحروب والنساء يخططن للأعراس؟ فما تطلبينه من أجل التخطيط للعرس يختلف عما يطلبه الرجل من أجل التخطيط للحرب. لقد حان الوقت لكي نطلب.

في هذه القصة. نجد المرأة السامرية تسأل بشأن أمور كثيرة: العبادة. العنصرية. الماء الحي. العلاقات. الأنبياء. والمسيا. وعندما حصلت على الإجابات لأسئلتها. ذهبت لتخبر الآخرين بما رأت. ربما لا تطلبين لأنك تخافين ألا تحصلين على ما طلبت. وقد لا تطلبين لأنك تخشين أنك تطلبين ردياً. أو أنك تطلبين في التوقيت الخاطئ. لقد حقق يسوع هذه المعادلة الصعبة:

« وأنا أطلب من الآب فيعطيككم معزياً آخر ليملك معكم إلى الأبد روح الحق الذي لا يستطيع العالم أن يقبله لأنه لا يراه ولا يعرفه وأما أنتم فتعرفونه لأنه ما كتم معكم ويكون فيكم». (يوحنا ١٤: ١٦ - ١٧)

« إن تبتهم في وثبت كلامي فيكم تطلبون ما تريدون فيكون لكم. بهذا يتمجد أبي: أن تأتوا بشمر كثير فتكونون تلاميذي». (يوحنا ١٥: ٧ - ٨)

وعدنا الله بالروح القدس لكي يرشدنا ويقودنا. أما كلمته فستنقي ودافعنا. وعندها سنطلب أي شيء فيكون لنا.

لماذا ينبغي لنا أن نطلب؟ لماذا لا نسمح للأشياء التي ستحدث بالحدوث؟ لأن التلميذ الحقيقي يأتي بثمر كثير. ولا يمكن أن نأتي بثمر دون أن نطلب. فلماذا إذاً يجب أن نكون مثمرة؟ لكي أشعر بقيمتي كامرأة؟ لا. بل لأنه بثمارنا نمجّد الأب. كم أتمنى أن أترجك بصفة شخصية وأن أضيف صوتاً لكلماتي. أيتها الابنة الجميلة.. اطلبي.

هناك شيء معين يحتاج إليه العالم. ولا يوجد من يطلبه سواك. أنت من سيرى المواقف ويستعطف السماء. هل تذكرين صلاة زكريا؟ كان يعتقد أنه يطلب من الله أن يعطيه ابناً ولكنه في الحقيقة كان استجابة صلاة أمه.

عندما ترين احتياجاً، اطلبي من الرب لأجله. عندما ترين ظلمًا، اطلبي عدله. وإذا شعرت بالوحدة، اطلبي منه أن يجعلك رفيقة لشخص آخر. اطلبي من أجل الجمال ومن أجل الفرح والأمان والمساواة بين الجنسين. اطلبي قوة الروح القدس. اسألي من الرب أمّا لك أو ابنة أو جدة. اطلبي من أجل تسديد الاحتياجات، اطلبي أن تكوني صديقة. من أجل البذور التي زُرعت، من أجل خبز للأكل. من أجل قوة للغفران.

قد تمتد قائمة الطلبات ولكن الاحتياج مُلح. وبمجرد أن تطلبي... سيحين وقت...

الخطوة التاسعة: افعلي

بفعل: تنفيذ أمر معين

لا يبقى سوى الفعل، وبأفعالك ستكتبين استجابة السماء لطلبك على الأرض كل يوم. كُتبت الأنجيل والرسائل للكنائس. ولكن القصة التي نحن جزء منها لم تنته بعد، فنحن النسخة الحديثة من سفر الأعمال. لم تنته القصة ولم ينته السباق لأننا جزء من منظومة كبيرة. هناك ميراث يجب أن يُورث وشعلة يجب أن تنتقل من يد لأخرى.

«لذلك نحن أيضاً إذ لنا سحابة من الشهود مقدار هذه محيطة بنا، لنطرح كل ثقل، والخطية المحيطة بنا بسهولة، ولنحاضر بالصبر في الجهاد الموضوع أمامنا». (عبرانيين ١٢: ١)

سابقى جيداً أيتها الابنة.
أنت محروسة ومحبوبة وقادرة.

بأنفالك ستكتبين استجابة السماء لطلبك على الأرض كل يوم.

الهوامش

الفصل الأول

1. *Encarta® World English Dictionary [North American Edition] © & (P) 2004 Microsoft Corporation. All rights reserved. Developed for Microsoft by Bloomsbury Publishing Plc. (Included in Microsoft Word 2004 software.) Some of the definitions I use in this book are abbreviated forms from the Encarta Dictionary.*
2. *P. D. Eastman, Are You My Mother? (New York: Random House Books for Young Readers, 1960.)*

الفصل الثاني

1. *Encarta World English Dictionary.*
 2. *Marianne Williamson, A Return to Love (New York: HarperCollins, 1992);*
<http://marianne.com/book/index.htm>.
- ملاحظة: اقتباسي لهذا الجزء -والذي أؤمن أنه يدعم ويشجع القارئ- لا يعني بالضرورة تأييدي لكل أفكار وتعاليم ماريان.

الفصل الثالث

1. *<http://www.answers.com/topic/mother?cat=health>*
2. *Encarta World English Dictionary*
3. *Ibid*
4. *Abbreviated definition from http://encarta.msn.com/dictionary/_/related.html*

الفصل الرابع

1. *Encarta World English Dictionary*
2. *Noah Webster's First Edition of an American Dictionary of the English Language (San Francisco: Foundation for American Christian Education, 1967, 1995), 72.*
3. *Encarta World English Dictionary.*

4. *Ibid.*
5. *Abbreviated definition from: http://encarta.msn.com/dictionary/_lgossip.html.*
6. *Editors of the American Heritage Dictionary, Roget's II: The New Thesaurus, 3rd ed. (New York: Houghton Mifflin Company, 1995.) <http://www.answers.com/isolation?cat=health>*

الفصل الخامس

1. *<http://www.answers.com/true?cat=technology>.*
2. *Noah Webster's.*
3. *Encarta World English Dictionary*

الفصل السادس

1. *Encarta World English Dictionary.*
2. *Noah Webster's, 113*
3. *<Http://net.bible.org/dictionary.php?word=conscience>*
4. *<http://net.bible.org/home.php>*
5. *<http://net.bible.org/dictionary.php?word=heart><http://net.bible.org/dictionary.php?word=Heart>*
6. *Noah Webster's, 87.*

الفصل السابع

1. *American Heritage Dictionary.*
2. *Holman ILLUstrated Bible Dictionary (Nashville, TN: Holman Reference, 2003), 1174*
3. *Strong's Greek Concordance, www.htmlbible.com/sacrednamebible.com/kjvstrongs/STRINDEX.htm*

الفصل الثامن

1. *Encarta World English Dictionary.*
2. *Brown, Driver, Briggs, and Gesenius, "Hebrew Lexicon entry for Gabar," The KJV Old Testament Hebrew Lexicon: <http://www.biblestudytools.net/>*

Lexicons/Hebrew/heb.cgi?number=1396&version=kjv

3. http://www.babynamenetwork.com/baby_names/detail.cfm?name=Elizabeth&gender=female
4. *From Matthew Henry:*

«كان اسمها مريم، وهو نفس الاسم الذي لُقبت به مريم أخت موسى وهارون ومعناه المطوّبة أو المتّعم عليها. وكان لا بد أن تكون هكذا؛ لأنها نالت نعمة فاقت كل بنات بيت داود (راجع لوا: ٢٦-٣٨ في التفسير الكامل للكتاب المقدس. متى هنري): إن اسم "ماريّا" في اللغة الإنجليزية قد اشتق في الأساس من الشكل اللاتيني للأسماء اليونانية في العهد الجديد: "مريم" أو "ماريّا" وترجع كل هذه الاشتقاقات إلى الأصل العبري للاسم "مريم". ولم يتَّفَق بشكل نهائي على معنى الاسم، ولكن هناك عدة معانٍ مثل "بحر الألم أو المرارة" أو "كونه ثوريًا أو مستعصيًا" أو "فرض لطفل".»

الفصل التاسع

1. *Encarta World English Dictionary.*
2. *Ibid.*

الفصل العاشر

1. *Encarta World English Dictionary*
2. http://encarta.msn.com/dictionary_1861585040/ambassador.html

الفصل الحادي عشر

Encarta World English Dictionary

الفصل الثاني عشر

1. *Encarta World English Dictionary*
2. *Ibid.*
3. *Ibid.*
4. *Ibid.*
5. *Ibid.*
6. *Ibid.*
7. *Ibid.*

رأيك يهمنا

إذا كان لديك تعليق أو تأثرت بهذا الكتاب، أكتب تعليقك
على موقعنا الإلكتروني:

www.ptwegypt.com

أو أرسل لنا E-mail على:
ptw@ptwegypt.com

يرعى: (فعل) (١) يقدم الاهتمام الحاني والحماية. (٢) يشجع شخصًا ما على النمو والتطور والازدهار والنجاح.

تصف العبارة السابقة ما تحتاج إليه بنات الله بشدة. وفي هذا الكتاب الرائع. تشرح "ليزا" كيف يمكن للمرأة في كل المراحل العمرية أن تنهض وتستعيد قدرتها على منح واستقبال الرعاية.

لقد صار احتياجنا لمثل هذه القوة أكثر إلحاحًا مما نعرف: فهل انتشغلنا إلى هذا الحد حتى نهمل رعاية المهتمّين من حولنا؟ أم أننا قد أصبحنا مجروحين وخائفين من أن نفتح حياتنا لرعاية الآخرين؟ ماذا يمكن أن نفعل حتى نستخدم - مرة أخرى - هذه اللغة التي تمس قلب المرأة؟ لقد حان وقت شفاء المرأة وتمكينها.

إن لم يسبق لك أن اختبرت الرعاية. ربما أن الأوان: ففي رسالة هذا الكتاب تشرح ليزا كيف يمكن أن تكون لنا تلك الروابط القلبية التي لا غنى عنها؛ فكل منا يحتاج إلى التعزية والتعاضد من الآخرين حتى نحدد هويتنا وصوتنا ونبدأ في تحقيق قصد الله من حياتنا على الأرض.

تقول ليزا: "هناك صوت يدوي في روحي... وهو الدافع لنا لكي ننمو ونتطور ونزدهر؛ فالسماوات تتفاعل وتتواصل مع أرضنا الجريحة والممزقة والساكنين فيها. وفي هذا الوقت، أؤمن أن بنات العلي سيكنّ وكيلات أمينات. الرعاية ليست مكلفة. ولكنها ممتدة؛ فحياة الشخص تمتد وتتسع عندما يُضاف إليها آخرون. عندئذ لن نقوم بوظائفنا فحسب. بل سنزدهر بالفعل.

ليزا بيفيو: واعظة ومؤلفة الكتاب الأكثر مبيعًا "حاربي

كامرأة". من خلال الكتب ووسائل الإعلام والمؤتمرات. وجمّدت نساء كثيرات - من أعمار مختلفة - الحرية والبهجة بسبب التحديات التي وضعتها ليزا أمامهن لكي يجدن الحرية. ويعشن حياة بلا خوف. تشترك ليزا مع زوجها "جون" في تقديم برنامج "الرسول" "The Messenger" والذي يُبثّ في أكثر من مائتي دولة. تعيش ليزا في "كلورادو" مع زوجها وأربعة أبناء. لمزيد من التفاصيل يمكنكم زيارة موقعها :

www.messengerinternational.org



Prepare the way
www.ptwegypt.com